



جين بولز  
سيدتان  
جادتان

ترجمة  
وائل عشري

رواية

# سیدتان جادتان



Two Serious Ladies © Jane Bowles 1943.

سيدتان جادتان

رواية

الطبعة الأولى: ٢٠١٨

رقم الإيداع: ٢٠٣٤ / ٢٠١٧

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٠٣-٠٢٩٧

الغلاف: حاتم سليمان

جميع الحقوق محفوظة

الكتب خان للنشر والتوزيع ®

١٣ شارع ٢٥٤ - دجلة - المعادي - القاهرة.

تليفون: +٢٠٢٢٥١٧٠٦٧٨ - +٢٠٢٢٥١٩٦٥٦٩

بريد إلكتروني: [info@kotobkhan.com](mailto:info@kotobkhan.com)

موقع إلكتروني: [www.kotobkhan.com](http://www.kotobkhan.com)

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب، بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي، والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة، أو استخدام أي وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

Arabic Language Translation Copyright © 2018 Al Kotob Khan for Publishing & Distribution. The Moral Rights of the author have been asserted. All rights reserved.



جين بولز

# سیدتان جادتان

روایت

ترجمت

وائل عشري



فهرسة أثناء النشر  
الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية المصرية

بولز، جين

سيدتان جادتان: رواية/ تأليف جين بولز، ترجمة: وائل عشري، - ط ١ - .  
القاهرة: الكتب خان للنشر والتوزيع، ٢٠١٨

٣٠٢ ص، ٢٠ سم

تدمك: ٧-٢٩-٠٢٩-٨٠٣-٩٧٧-٩٧٨

١ - رواية

أ- العنوان

ب- عشري، وائل (مترجمًا)

الطبعة الأولى ٢٠١٨

رقم الإيداع: ٢٠٣٤

كان والد كرسيتينا جويرنج رجل صناعة أمريكيًا من أصول ألمانية،  
 ووالدتها سيدة نيويورك من عائلة مرموقة جدًا. قضت كرسيتينا النصف  
 الأول من حياتها في بيت جميل جدًا (لا يبعد عن المدينة بأكثر من نصف  
 ساعة) ورثته عن والدتها. في ذلك البيت تربت كطفلة مع أختها صوفي.

كطفلة، كانت كرسيتينا مكروهة جدًا من الأطفال الآخرين. لم تعان  
 قط بسبب هذا على نحو خاص، بما أنها عاشت، حتى في سن مبكرة  
 جدًا، حياة داخلية نشيطة حدثت من ملاحظتها لأي مما كان يحدث من  
 حولها، إلى درجة أنها لم تكتسب قط الطرق الرائجة حينها، وفي سن  
 العاشرة كانت الفتيات الصغيرات الأخريات يصفنها بأنها قديمة الطابع.  
 حينها حتى كان لها سيماء نوع محدد من المتعصبين ممن يعتبرون أنفسهم  
 قادة دون أن يكونوا قد نالوا، ولو مرة واحدة، احترام أي إنسان.

عانت كرسيتينا معاناة فظيعة من أفكار لم تكن لترد قط على خاطر  
 أي من رفاقها، وفي الوقت نفسه تقبّلت مكانتها في المجتمع كأمر مُسلم به

وهو الأمر الذي لم يكن ليحتمله أي طفل آخر. من وقت إلى آخر كانت رفيقة دراسة ما تشعر بالشفقة عليها، وتحاول أن تقضي بعض الوقت معها، لكنها بدلاً من أن تكون ممتنة لهذا، كانت تبذل قصارى جهدها كي تهدي صديقتها الجديدة إلى عبادة ما تؤمن به حينها.

من ناحية أخرى، كانت أختها صوفي تثير إعجاب الجميع في المدرسة. أظهرت موهبة ملحوظة في كتابة الشعر، وقضت كل وقتها مع فتاة هادئة تُدعى ماري تصغرها بعامين.

حين كانت كرسيتينا في الثالثة عشرة من عمرها كان شعرها شديد الاحمرار (حين كبرت ظل تقريباً على الدرجة نفسها من الاحمرار)، كان خذاها لينين وورديين، وأظهر أنفها مسحة من النبل.

في ذلك العام كانت صوفي تأتي بماري إلى البيت تقريباً كل يوم على الغداء. وبعد الانتهاء من الأكل كانت تأخذها في تمشية عبر الغابة، بعد تجهيز سلة لكلٍ منهما كي تعودا فيهما بالزهور. لم تسمح صوفي لكرستينا أن ترافقهما في تلك التمشيات.

"عليك أن تجدي بنفسك أمراً تفعليه،" كانت صوفي تقول لها. غير أنه كان من الصعب على كرسيتينا أن تفكر في شيء تفعله وحدها وتستمع به. كانت معتادة على الدخول في صراعات عقلية عديدة - بشكل عام ذات طابع ديني- وكانت تفضّل أن تكون مع أشخاص آخرين، وأن تنظم ألعاباً. كانت تلك الألعاب، كقاعدة عامة، أخلاقية جداً، وغالباً ما تعلقت بالرب. ورغم ذلك، لم يكن أي أحد آخر

يستمتع بها وكان عليها أن تقضي جزءاً كبيراً من اليوم بمفردها. حاولت الذهاب إلى الغابة مرة أو مرتين بمفردها والعودة ببعض الأزهار، تقليدًا لماري وصوفي، لكن في كل مرة، خشية ألا تعود بما يكفي من الأزهار لصنع باقة جميلة، أعادت نفسها بالسلال إلى درجة أن التمشية بدت كمشقة أكثر منها متعة.

رغبت كرسيتينا أن تحظى بصحبة ماري لبعض الوقت. ذات عصر مشمس جدًا دخلت صوفي إلى البيت من أجل درس البيانو، وظلت ماري جالسة فوق العشب. جرت كرسيتينا التي رأت هذا من مكان ليس بعيد، داخلةً إلى البيت، وقد ازدادت ضربات قلبها من الإثارة. خلعت حذاءها وجواربها، وبقيت في قميص داخلي أبيض قصير. لم يكن هذا منظرًا تبعث رؤيته على السرور، لأن كرسيتينا كانت في ذلك الوقت ثقيلة جدًا، وكانت ساقها سميتين إلى حد كبير. (كان من المستحيل توقع أنه سينتهي بها الحال سيدة طويلة أنيقة.) جرت إلى الخارج فوق العشب الأخضر، وأخبرت ماري أن تراقبها وهي ترقص.

"الآن لا تحولي عينيك عني"، قالت. "سوف أؤدي رقصة عبادة للشمس. ثم أبين أنني أفضل أن يكون لي الرب بدون شمس على الشمس بدون رب. هل تفهمين؟"

"نعم"، قالت ماري. "هل ستؤدينها الآن؟"



"نعم، سوف أؤديها هنا." بدأت في الرقص بغتة. كانت رقصة خرقاء، وإيماءاتها كلها مترددة. حين خرجت صوفي من البيت، كانت كرستينا تجري إلى الخلف وإلى الأمام ويدها مضمومتان في صلاة.

"ماذا تفعل؟" سألت صوفي ماري.

"رقصة للشمس، على ما أعتقد،" قالت ماري. "أخبرتني أن أجلس هنا وأشاهدها."

مشت صوفي إلى حيث كانت كرستينا تدور حول نفسها وتهز يديها بوهن في الهواء.

"حقيرة!" قالت، وفجأة دفعت كرستينا فوق العشب.

لمدة طويلة بعد ذلك، نأت كرستينا بنفسها عن صوفي، وبالتالي عن ماري. سنحت لها فرصة أخرى لأن تكون مع ماري رغم ذلك، وحدث هذا لأن صوفي شعرت بألم أسنان رهيب ذات صباح، وتعيّن على مربيتها أن تأخذها إلى طبيب الأسنان على الفور. وبما أن ماري لم تعرف بذلك، فقد أتت في الأصيل، متوقعة أن تجد صوفي في البيت. كانت كرستينا في البرج حيث كثيراً ما تجمع الأطفال، ورأتها مقبلة في الممشى.

"ماري،" صرخت، "اصعدي هنا." حين وصلت ماري إلى البرج، سألتها كرستينا إن كان سيروق لها أن تلعب لعبة مميزة جداً

معها. "تُسمَّى 'أغفر لكِ كل خطاياكِ،' " قالت كرسيتينا. "سيكون عليكِ أن تخلعي ثوبك."

"هل اللعبة ممتعة؟" سألت ماري.

"لا نلعبها من أجل المتعة، بل لأنه من الضروري أن نلعبها."

"حسنًا،" قالت ماري، "سوف أَلعب معكِ." خلعت ثوبها ومررت كرسيتينا كيسًا قديمًا من الخيش عبر رأس ماري. خرمت ثقبين في الخيش كي ترى ماري من خلاهما ثم ربطت حبلًا حول خصرها.

"هيا،" قالت كرسيتينا، "وسوف تُغفر لكِ كل خطاياكِ. كرري في نفسك: 'ليغفر الرب لي خطاياي.'"

هبطت الدرج مهرولة مع ماري، ثم خرجت وعبرت العشب الأخضر نحو الغابة. لم تكن كرسيتينا متأكدة بعد مما ستفعل، لكنها كانت مثارة جدًا. وصلتا إلى مجرى مائي يلتف حول الغابة. كانت ضفاف المجرى رخوة وموحلة.

"تعالى إلى الماء،" قالت كرسيتينا؛ "أعتقد أن هكذا سنغسل خطاياكِ. عليكِ أن تقفي في الطين."

"بالقرب من الطين؟"

"في الطين. هل لخطيئتِكِ طعام مر في فمكِ؟ من المؤكد أنها كذلك."  
"نعم،" قالت ماري بتردد.

"تريدين إذن أن تكوني نظيفة وطاهرة مثل زهرة، أليس كذلك؟"  
لم ترد ماري.

"إن لم تستلقي في الطين وتدعيني أراكم الطين فوقك ثم أغسلك في  
البحر، فستكونين مدانة إلى الأبد. هل تريدين أن تكوني مدانة إلى  
الأبد؟ هذه هي اللحظة التي عليك فيها أن تقرري."

وقفت ماري تحت غطاء رأسها الأسود بدون أن تقول أي كلمة.  
دفعتها كرستينا على الأرض وبدأت في تغطية الخيش بالطين.  
"الطين بارد،" قالت ماري.

"نيران الجحيم ساخنة،" قالت كرستينا، "إن تركتني أفعل هذا،  
فلن تذهبي إلى الجحيم."  
"لا تأخذي وقتًا طويلاً،" قالت ماري.

كانت كرستينا منفعلة جدًا. كانت عيناها تلمعان. كدست المزيد  
والمزيد من الطين فوق ماري ثم قالت لها:

"الآن أنت مستعدة لأن تتطهري في تيار الماء."  
"لا، أرجوك لا، ليس الماء - أكره التزول في الماء. أخاف الماء."  
"إنسي ما تخافين. الرب يراقبك الآن وليس لديه أي تعاطف بعد  
معك."

رفعت ماري عن الأرض وسارت إلى مجرى الماء، حاملة إياها. نسيت أن تخلع حذاءها وجواربها. كان ثوبها مغطى تمامًا بالطين. ثم غمرت جسد ماري في الماء. كانت ماري تنظر إليها من خلال الثقبين في الخيش. لم يخطر لها أن تقاوم.

"ثلاث دقائق ستكون كافية"، قالت كرستينا. "سوف أصلي صلاة قصيرة من أجلك."

"أوه، لا تفعلي هذا،" استجدت ماري.

"بالتأكيد"، قالت كرستينا، وهي ترفع عينها نحو السماء.

"أيها الرب العزيز"، قالت، "اجعل هذه الفتاة ماري طاهرة مثل يسوع ابنك. اغسل عنها خطاياها كما يغسل الماء الآن الطين عن جسدها. هذا الخيش الأسود يثبت لك أنها تعتقد أنها خاطئة."

"أوه، توفقي"، همست ماري. "بوسعه أن يسمعك حتى إن قلت ذلك في سرِّ فقط. تصيحين بصوت مرتفع جدًا."

"أعتقد أن الدقائق الثلاث قد انتهت"، قالت كرستينا. "هيا يا عزيزتي، الآن يمكنك النهوض."

"هيا نعدو إلى البيت"، قالت ماري. "إنني أتجمد حتى الموت."

جرتا إلى البيت، وصعدتا من السلم الخلفي الذي يقود إلى البرج. كان الجو حارًا في غرفة البرج لأن كل النوافذ كانت مغلقة. شعرت كرستينا فجأة بإعياء شديد.

"اذهبي"، قالت لماري، "أدخلي الحمام، ونظفي نفسك. سوف أرسّم." كانت في اضطراب شديد. "انتهى الأمر"، قالت لنفسها، "اللعبة انتهت. سوف أخبر ماري أن تعود إلى بيتها بعد أن تجف. سأعطيها بعض أقلام رصاص ملونة لتأخذها إلى البيت معها."

عادت ماري من الحمام ملفوفة بمنشفة. كانت ما زالت ترتجف. كان شعرها مبللاً ومسترسلاً. بدا وجهها أصغر مما هو في العادة.

أشاحت كرستينا بنظرها بعيداً عنها. "لقد انتهت اللعبة"، قالت، "استغرقت دقائق قليلة فقط - عليك أن تجفّي - سوف أخرج." غادرت الغرفة تاركة ماري خلفها تُحكّم شد المنشفة حول كتفها.

كامرأة بالغة لم تكن الأنسة جويرنج محبوبة أكثر من حين كانت طفلة. كانت تعيش الآن في بيتها خارج نيويورك، مع مرافقتها، الأنسة جيملون.

قبلها بثلاثة أشهر كانت الأنسة جويرنج جالسة في الردهة، تنظر إلى أشجار سقطت أوراقها في الخارج، حين أتت خادمتها معلنة عن زائر.

"سيد أم سيدة؟" سألت الأنسة جويرنج.

"سيدة."

"أدخليها على الفور"، قالت الأنسة جويرنج.

عادت الخادمة تتبعها الزائرة. نهضت الأنسة جويرنج من مقعدها. "كيف حالك؟" قالت. "لا أعتقد أنني رأيتك قبل هذه اللحظة، لكن تفضلني بالجلوس."

كانت الزائرة صغيرة البنية وممتلئة وبدت في نهايات ثلاثينياتها أو بدايات أربعينياتها. كانت ترتدي ملابس داكنة اللون غير متماشية مع الموضة، وسوى لعينيها الرماديتين الكبيرتين، كان وجهها قد يمر دائماً من دون أن يُلاحظ.

"أنا ابنة عم مربيتك"، قالت للأنسة جويرنج. "عملت معك لسنوات عديدة. هل تتذكرينها؟"

"نعم أتذكرها"، قالت الأنسة جويرنج.

"حسناً، اسمي لوسي جيملون. اعتادت ابنة عمي أن تتحدث عنك وعن أختك صوفي طيلة الوقت. نويت أن أزورك لعدة سنوات الآن، غير أن أمراً ما أو آخر أعاقني دائماً. لكن ها أنا أفعل على أي حال."

احمر وجه الأنسة جيملون. لم تُدعَ بعد إلى التخفف من قبعتهامعطفها.

"لديك بيت رائع"، قالت. "أخمن أنك تعرفين ذلك وتقدرينه كثيراً."

في تلك اللحظة، كانت الأنسة جويرنج تمتلئ بالفضول بخصوص الأنسة جيملون. "ما هو عملك في الحياة؟" سألتها.

"أخشى أنني لا أفعل الكثير. كنت أطبع مخطوطات لمؤلفين مشهورين طوال حياتي، لكن يبدو أنه لم يعد هناك طلب كبير على المؤلفين إلا ربما إن كانوا يقومون بالطباعة بأنفسهم."

لم تقل الآنسة جويرنج، التي كانت منشغلة بالتفكير، أي شيء. تلفتت الآنسة جيملون حولها بقلة حيلة.

"هل تمكثين هنا أغلب الوقت أم تسافرين في الغالب؟" سألت الآنسة جويرنج بغتة.

"لم أفكر في السفر قط،" قالت الآنسة جويرنج. "لا أحتاج إلى السفر."

"بما أنك تنحدرين من العائلة التي تنحدرين منها،" قالت الآنسة جيملون، "أعتقد أنك ولدت ممتلئة بمعرفة عن كل شيء. لا تحتاجين إلى السفر. سنحت لي فرصة السفر مرتين أو ثلاثاً مع مؤلفي. كانوا على استعداد لدفع كل نفقاتي وراتبي كاملاً بالإضافة إلى ذلك، لكنني لم أذهب بالفعل سوى مرة واحدة، وكان ذلك إلى كندا."

"لا يروقك السفر،" قالت الآنسة جويرنج، محدقة فيها.

"لا يتوافق معي. تجربته تلك المرة الواحدة. كانت معدتي مضطربة، وعانيت من صداع عصبي طيلة الوقت. كان ذلك كافياً. لقد تلقيت تحذيري."

"أفهم تماماً،" قالت الآنسة جويرنج.

"أؤمن دائماً،" واصلت الأنسة جيملون، "أن الواحدة تتلقى تحذيرها. بعض الناس لا يكثرثون بتحذيراتهم. حينها يقعون في صراع. أعتقد أن أي شيء تشعرين تجاهه بغرابة أو بعصية، لم تُخلق لي لفعله."  
"استمري"، قالت الأنسة جويرنج.

"حسناً، أعرف، على سبيل المثال، أنني لم أُخلق كي أكون طيارة. أنتني دائماً أحلام تحطم على الأرض. ثمة بعض الأشياء لن أفعلها، حتى إن ظن الناس أنني بغلة عنيدة. لن أعبّر مساحة كبيرة من الماء، على سبيل المثال. كان بوسعي الحصول على كل ما أردت فقط إن عبرت المحيط وذهبت إلى إنجلترا، لكنني لن أفعل أبداً."

"حسناً،" قالت الأنسة جويرنج، "فلتتناول الشاي وبعض السندوتشات."

أكلت الأنسة جيملون بشرافة، وأثنت على طعام الأنسة جويرنج الجيد.

"أحب أن أتناول طعاماً جيداً،" قالت؛ "لم أعد أحصل على الكثير من الطعام الجيد. كان ذلك يحدث حين كنت أعمل عند المؤلفين."

حين انتهتا من الشاي، استأذنت الأنسة جيملون من مضيفتها.

"قضيت وقتاً في غاية الأناقة،" قالت، "أود أن أبقى مدة أطول، لكن الليلة وعدت ابنة أخت لي أن أراقب أطفالها نيابة عنها. ستحضر حفلة راقصة."



"لا بد أنك مكتئبة جداً من الفكرة،" قالت الأنسة جويرنج.

"نعم، أنت على صواب،" ردت الأنسة جيملون.

"فلتعودي قريباً،" قالت الأنسة جويرنج.

في الأصيل التالي أخبرت الخادمة الأنسة جويرنج أن لديها زائرة.

"إنها السيدة نفسها التي زارتك هنا بالأمس،" قالت الخادمة.

"حسنًا، حسنًا،" فكرت الأنسة جويرنج، "هذا جيد."

"كيف حالك اليوم؟" سألتها الأنسة جيملون، بينما تدخل الغرفة.

تحدثت ببساطة شديدة، دون أن يبدو أنها تجد من الغريب أنها قد عادت

بهذه السرعة بعد زيارتها الأولى. "كنت أفكر فيك طيلة ليلة أمس،"

قالت. "إنه أمر غريب. فكرتُ دائماً أنه يجب عليّ أن أقابلك. اعتادت

ابنة عمي أن تخبرني كم أنت غريبة. أعتقد، رغم هذا، أن في استطاعة

الواحدة عقد صداقات بسرعة أكبر مع الغريبيين. أو لا تعقدين معهم

صداقات على الإطلاق - الأمر هذا أو ذلك. العديد من مؤلفي كانوا

غرباء جداً. هكذا كان لي ميزة اختلاط ليست لمعظم الناس. عندي أيضاً

بعض المعرفة بمن أسميهم المسوسين الحقيقيين كما قال الرب."

دعت الأنسة جويرنج الأنسة جيملون إلى العشاء معها. وجدت

صحبتها مهدئة ولطيفة. تأثرت الأنسة جيملون كثيراً بحقيقة أن الأنسة

جويرنج عصبية جداً. حين كانتا على وشك الجلوس، قالت الأنسة

جويرنج إنها لا تستطيع تحمّل الأكل في غرفة الطعام، وطلبت من

الخدامة أن تجهز المائدة في الردهة بدلاً عن ذلك. قضت الكثير جداً من الوقت في إضاءة وإطفاء الأنوار.

"أعرف كيف تشعرين،" قالت الأنسة جيملون لها.

"لا أستمتع بهذا على نحو خاص،" قالت الأنسة جويرنج، "لكن أتوقع في المستقبل أن يكون الأمر تحت السيطرة."

في أثناء شرب النبيذ على العشاء أخبرت الأنسة جيملون الأنسة جويرنج أنه من الصائب تمامًا أن تكون هكذا. "ماذا تتوقعين، يا عزيزتي،" قالت، "أتية من عائلة مثل التي أتيت منها؟ كلكم على درجة عالية من التوتر، كلكم. عليك أن تسمح لي لنفسك بأشياء ليس لبقية الناس أي حق في أن يسمحوا بها لأنفسهم."

بدأت الأنسة جويرنج في الشعور بأنها ثمة قليلاً. نظرت بشكل حالم إلى الأنسة جيملون التي كانت تأكل حصتها الثانية من دجاج مطبوخ في النبيذ. كان ثمة بقعة صغيرة من الدهن في جانب فمها.

"أحب أن أشرب،" قالت الأنسة جيملون، "لكن لا معنى للشرب حين يكون عليك أن تعمل. إنه جيد بما يكفي حين يكون لديك الكثير من وقت الفراغ. عندي الكثير من وقت الفراغ الآن."

"هل لديك ملاك حارس؟" سألت الأنسة جويرنج.

"حسنًا، عندي عممة ميتة، ربما هذا ما تعنين؛ ربما كانت تحرسني."

"ليس هذا ما أعني - أعني أمراً مختلفاً تماماً."  
"حسناً، بطبيعة الحال..." قالت الأنسة جيملون.  
"يأتي الملاك الحارس حين تكونين صغيرة جداً، ويعطيك إعفاءً  
خاصاً."  
"من ماذا؟"

"من العالم. إعفاؤك قد يكون الحظ؛ بالنسبة لي هو المال. معظم  
الناس لديهم ملاك حارس؛ هذا هو السبب في أنهم يتحركون ببطء."

"هذه طريقة تحلية للحديث عن الملائكة الحارسين. ربما ملاكتي  
الحارسة هي ما أخبرتك به عن مراعاة تحذيراتي. أعتقد ربما يكون في  
استطاعتها تحذيري بخصوص كل منا. بهذه الطريقة يمكنني أن أبقىك  
بعيدة عن المشاكل. بطبيعة الحال، مع موافقتك،" أضافت، وقد بدت  
مضطربة قليلاً.

خالج الأنسة جويرنج شعور مؤكد في تلك اللحظة أن الأنسة  
جيملون ليست امرأة لطيفة على الإطلاق، لكنها رفضت أن تواجه  
ذلك لأنها وجدت متعة مفرطة في الإحساس بأنها تُرعى وتُدلل. أخبرت  
نفسها أن ذلك لن يسبب أي ضرر لمدة قصيرة.

"أنسة جيملون،" قالت الأنسة جويرنج، "أعتقد أنها ستكون فكرة  
رائعة إن جعلت من هذا المكان بيتك - للوقت الراهن، على الأقل. لا  
أعتقد أن لديك أي عملٍ ملحٍ يُجبرك على البقاء في مكان آخر، أليس  
كذلك؟"

"لا، ليس لدي أي أعمال،" قالت الأنسة جيملون. "لا أرى لم لا أستطيع الإقامة هنا - سيكون عليّ أن أجلب أشياء من بيت أختي. خلاف ذلك لا أعرف بأي شيء آخر."

"أي أشياء؟" سألت الأنسة جويرنج بنفاد صبر. "لا تعودني على الإطلاق. يمكننا أن نحصل على الأشياء من المتاجر." نهضت ومشت بسرعة في أرجاء الغرفة.

"حسنًا،" قالت الأنسة جيملون، "أعتقد أنه من الأفضل أن أجلب أشياءي."

"لكن ليس الليلة،" قالت الأنسة جويرنج، "غداً - غداً بالسيارة."  
"غداً بالسيارة،" كرّرت الأنسة جيملون وراءها.

رتبت الأنسة جويرنج لإعطاء الأنسة جيملون غرفة قريبة من غرفتها، وقادتها إليها بعد وقت قصير من انتهاء العشاء.

"هذه الغرفة،" قالت الأنسة جويرنج، "تطل على واحد من أفضل المشاهد في البيت بأكمله." سحبت الستائر. "لديك قمرٌ ونجومك الليلة، آنسة جيملون، وصورة ظليلة لطيفة جداً للأشجار مع السماء في الخلفية."

كانت الأنسة جيملون تقف في شبه ظلام بالقرب من منضدة الزينة. كانت تمرر أصابعها فوق الدبوس على بلوزتها. ودت لو غادرت

الآنسة جويرنج كي تتمكن من التفكير في البيت وفي عرض الآنسة جويرنج، على طريقتها الخاصة.

كان ثمة صوت اندفاع مفاجئ في الشجيرات تحت النافذة. قفزت الآنسة جويرنج.

"ما هذا؟" كان وجهها شاحباً جداً، ووضعت يدها فوق جبهتها. "يؤلمني قلبي كثيراً لمدة طويلة جداً وبقا أفزع"، قالت بصوت ضعيف.

"أعتقد أنه من الأفضل أن أذهب إلى الفراش الآن وأنام،" قالت الآنسة جيملون. غلبها فجأة كل النيذ الذي شربته. استأذنت الآنسة جويرنج على مضض. كانت مستعدة للحديث نصف الليل. في الصباح التالي ذهبت الآنسة جيملون إلى البيت لأخذ أشيائها ولإعطاء أختها عنوانها الجديد.

بعدها بثلاثة أشهر كانت الآنسة جويرنج لا تعرف عن أفكار الآنسة جيملون سوى أكثر قليلاً مما عرفت في الليلة الأولى التي تعشتا فيها معاً. عرفت الكثير جداً رغم ذلك عن طباع الآنسة جيملون الشخصية، وذلك عبر الملاحظة المتأنية. حين جاءت الآنسة جيملون تحدثت كثيراً عن حبها للرفاهية والأشياء الجميلة، غير أن الآنسة جويرنج أخذتها منذ ذلك الوقت في رحلات تسوق لا عدد لها؛ ولم يبدُ قط أنها مهتمة بأي شيء سوى أبسط الضروريات.

كانت هادئة، متجهمه قليلاً حتى، لكنها بدت قانعة إلى حد كبير. استمتعت بتناول الطعام في المطاعم الكبيرة، الغالية، خصوصاً إن رافقت الوجبة موسيقى. لم يبدُ أنها تحب المسرح. كثيراً ما اشترت الأنسة جويرنج تذاكر لمسرحية، وفي اللحظة الأخيرة تمتنع الأنسة جيملون عن الذهاب.

"أشعر بالكسل الشديد،" كانت تقول، "ذلك الفراش يبدو أجمل شيء في العالم في هذه اللحظة."

وحين ذهبت إلى المسرح فعلاً، سرعان ما كانت تشعر بالضجر. وقتما لا يكون تتابع الأحداث في المسرحية سريعاً، كانت الأنسة جويرنج تلمحها تنظر إلى أسفل في حجرها وتلعب بأصابعها.

بدا الآن أنها تشعر بحماس بخصوص أنشطة الأنسة جويرنج يفوق ما تشعر به حيال أنشطتها هي، رغم أنها لم تعد تستمع لتفسيرات الأنسة جويرنج لنفسها بالتعاطف نفسه الذي كان لديها في البداية.

في أصيل يوم الأربعاء كانت الأنسة جيملون والأنسة جويرنج تجلسان تحت الأشجار أمام البيت. كانت الأنسة جويرنج تشرب الويسكي والأنسة جيملون تقرأ. خرجت الخادمة وأعلنت للأنسة جويرنج أن شخصاً ما يريد لها على التلفون.

كانت المكاملة من صديقة الأنسة جويرنج القديمة أنا التي دعتهما إلى حفلة في الليلة التالية. عادت الأنسة جويرنج إلى الحديقة، متحمسة جداً.

"سأذهب إلى حفلة في مساء الغد،" قالت، "لكنني لا أرى كيف أستطيع الانتظار حتى ذلك الوقت - أتطلع بشدة إلى الذهاب للحفلات وأدعى إلى القليل جدًا منها إلى درجة أنني لا أعرف كيف أتصرف حيالها. ماذا سنفعل كي نمرّر الساعات حتى ذلك الحين؟" أخذت بيدي الأنسة جيملون بين يديها.

كان الجو قد بدأ يميل إلى البرودة. ارتعشت الأنسة جويرنج وابتسمت. "هل تستمتعين بحياتنا الصغيرة؟" سألت الأنسة جيملون.

"أنا راضية دائمًا،" قالت الأنسة جيملون، "لأنني أعرف ما آخذ وما أترك، لكنك دائمًا تحت الرحمة."

وصلت الأنسة جويرنج إلى بيت أنا وقد بدت متوردة ومُبَالِغَةً قليلاً في ملابسها. كانت ترتدي ثوبًا مخمليًا وقد شبكت الأنسة جيملون بعض الأزهار في شعرها.

كان الرجال، ومعظمهم في منتصف العمر، يقفون معًا في أحد أركان الغرفة، يسخنون ويستمعون إلى أحدهم الآخر بانتباه. كانت السيدات، وقد وضعن المساحيق حديثًا، يجلسن متناثرات في أرجاء الغرفة، ولا يتحدثن إلا قليلاً. بدت أنا متوترة قليلاً، رغم أنها كانت تبتمس. كانت ترتدي ثوب مضيئة مستوحى من زي فلاح من وسط أوروبا.

"سوف تحصلون على المشروبات خلال دقيقة،" أعلنت لضيوفها،  
وبعدها، حين رأت الأنسة جويرنج، ذهبت إليها وقادتها إلى مقعد  
بجوار السيدة كوبرفيلد بدون أن تقول أي كلمة.

كان للسيدة كوبرفيلد وجه صغير حاد وشعر داكن جداً. كانت  
بنيتها ضئيلة على نحو غير معتاد ونحيفة. كانت تفرك ذراعيها العاريتين  
بعضية وتتلفت في أرجاء الغرفة حين جلست الأنسة جويرنج على  
المقعد جوارها. كانتا قد تقابلتا لأعوام عديدة في حفلات أنا وتناولنا  
الشاي معاً من وقت إلى آخر.

"أوه، كرستينا جويرنج،" هتفت السيدة كوبرفيلد، وقد أدهشها  
أن ترى صديقتها جالسة فجأة بجوارها، "سوف أغادر!"  
"هل تعنين،" قالت الأنسة جويرنج، "أنك ستغادرين هذه  
الحفلة؟"

"لا، سأقوم برحلة. انتظري حتى أخبركِ عنها. إنها فظيعة."

لاحظت الأنسة جويرنج أن عيني السيدة كوبرفيلد كانتا أكثر بريقاً  
من المعتاد. "ما الخطب، يا سيدة كوبرفيلد الصغيرة؟" سألت، وهي  
تنهض من مقعدها وتتلفت حول الغرفة بابتسامة مشرقة على وجهها.

"أوه، أنا متأكدة،" قالت السيدة كوبرفيلد، "أنك لا تودين سماع  
خبر الرحلة. من غير المحتمل أن يكون لديك أي احترام لي، لكن هذا لا  
يمثل أي فرق لأن لدي أقصى احترام لك. سمعت زوجي يقول ذات يوم



إن لك طبيعة متدينة، وكدنا أن نتشاجر شجاراً سيئاً جداً. بالطبع هو مجنون ليقول هذا. أنت عظيمة في عدم إمكانية التنبؤ بأفعالك، ولا تخشين أي أحد سوى نفسك. أكره التدين في الآخرين."

أهملت الأنسة جويرنج الرد على السيدة كويرفيلد لأنها كانت في الثانية أو الثانيةين السابقتين تحملق في رجل بدين داكن الشعر يتهادى عبر الغرفة في اتجاههما. وبينما يقترب، رأت أن له وجهاً مليحاً بألغاد عريضة تبرز من الجانبين لكنها لا تتدلى كما في حالة معظم الأشخاص البدينين. كان يرتدي حلة رسمية زرقاء.

"هل تمنعان إن جلست بجواركما؟" سألهما. "لقد قابلت هذه السيدة الشابة من قبل،" قال، مصافحاً السيدة كويرفيلد، "لكن أخشى أني لم أقابل صديقتها بعد." استدار وهز رأسه للأنسة جويرنج.

تضايقت السيدة كويرفيلد كثيراً من المقاطعة إلى درجة أنها تجاهلت تقديم الأنسة جويرنج إلى السيد. سحب كرسيًا إلى جانب الأنسة جويرنج ونظر إليها.

"لقد أتيت للتو من عشاء رائع،" قال لها، "معتدل في سعره، لكنه مُقدّم بعناية ومُعدّ بشكل ممتاز. إن كان هذا ليثير اهتمامك، يمكنني أن أكتب لك اسم المطعم الصغير."

مد يده إلى جيب صديريته وأخرج محفظة جلدية. لم يجد سوى قصاصة واحدة من الورق لم تكن ممتلئة بالفعل بالعناوين.

"سوف أكتب هذا لك"، أخبر الأنسة جويرنج. "ستقابلين السيدة كوبرفيلد دون شك، وحينها يمكن أن تعطيهما المعلومات، أو ربما يمكنها أن تهاتفك".

أخذت الأنسة جويرنج قصاصة الورق بيدها ونظرت باهتمام إلى الكتابة.

لم يكتب اسم مطعم على الإطلاق؛ بل طلب من الأنسة جويرنج أن توافق على الذهاب معه إلى شقته فيما بعد. أسعدها هذا كثيراً لأنها ما إن تخرج من البيت، يسرها عادة أن تتأخر في الخارج إلى أقصى وقت ممكن.

رفعت نظرها إلى الرجل الذي كان وجهه غامضاً الآن. ارتشف مشروبه بهدوء، وجال ببصره في الغرفة مثل شخص اختتم أخيراً محادثة عمل. ومع هذا، كان ثمة قطرات عرق على جبهته.

حملت السيدة كوبرفيلد فيه بنفور، لكن وجه الأنسة جويرنج أشرق فجأة. "دعوني أخبركما"، قالت لهما، "عن تجربة غريبة وقعت لي هذا الصباح. استقري في جلستك، يا سيدة كوبرفيلد الصغيرة، وأنصتي لي." رفعت السيدة كوبرفيلد نظرها إلى الأنسة جويرنج وأخذت يد صديقتها بين يديها.

"مكثت في المدينة مع أختي صوفي ليلة أمس"، قالت الأنسة جويرنج، "وهذا الصباح كنت أفف أمام النافذة أشرب فنجان قهوة.

البيت المواجه لبيت صوفي يُهدم. أعتقد أنهم ينوون أن يستبدلوا به مجمعاً سكنياً. لم يكن الجو عاصفًا جدًا فقط هذا الصباح، لكنها كانت تمطر بشكل متقطع أيضاً. من نافذتي كنت أستطيع رؤية غرف هذا المبنى من الداخل، لأن الحائط المقابل كان قد أُزيل بالفعل. كانت الغرف ما زالت مفروشة إلى حد ما، ووقفت أنظر إليها، وأراقب المطر يبقع ورق الحائط. كان ورق الحائط به أزهار وتغطيه بالفعل بقع داكنة كان حجمها يزداد.

"كم هو مسل"، قالت السيدة كوبرفيلد، "أو ربما كان مقبضاً."

"في النهاية شعرت ببعض الحزن من مراقبتي ذلك، وكنت على وشك الانصراف حين دخل رجل إلى واحدة من تلك الغرف، متجهًا بتصميم نحو الفراش، تناول غطاءً صغيراً طواه تحت ذراعه. كان الغطاء بلا شك ملكاً شخصياً أهمل أخذه وعاد للتو لحظتها كي يُحضره. ثم مشى في أرجاء الغرفة لمدة وجيزة بدون هدف، وفي النهاية وقف على طرف غرفته ناظرًا إلى أسفل إلى الفناء وذراعه فوق خصره. أستطيع أن أراه بوضوح أكثر الآن، أستطيع أن أتوقع بكل يسر أنه كان فنانًا. بينما وقف هناك، كنت أزداد امتلاءً بالرعب، كما لو كنت أراقب مشهداً في كابوس."

في هذه اللحظة نهضت الأنسة جويرنج فجأة.

"هل قفز، يا آنسة جويرنج؟" سألت السيدة كوبرفيلد بتأثر.

"لا، ظل هناك لفترة طويلة ينظر إلى الفناء في الأسفل بتعبير فضول لطيف على وجهه."

"رائع، يا آنسة جويرنج،" قالت السيدة كوبرفيلد. "أعتقد أنها قصة مسلية، حقًا، لكنها أرعبتني تمامًا، وليس لي أن أستمتع بالاستماع إلى واحدة أخرى مثلها." كانت بالكاد قد أنهت جملتها حين سمعت زوجها يقول:

"سوف نذهب إلى بنما ونبقى هناك لفترة قبل أن نلج المناطق الداخلية."

ضغطت السيدة كوبرفيلد على يد الآنسة جويرنج.

"لا أعتقد أنني أستطيع تحمّل هذا،" قالت. "حقًا، يا آنسة جويرنج، يفزعني جدًا أن أذهب."

"كنت لأذهب على أي حال،" قالت الآنسة جويرنج.

وثبتت السيدة كوبرفيلد عن مسند المقعد وجرت نحو غرفة المكتبة. أغلقت الباب خلفها بحرص ثم تهاوت في كومة صغيرة فوق الأريكة ونشجت بمرارة. حين توقفت عن البكاء وضعت المساحيق فوق أنفها، جلست على حافة النافذة، ونظرت إلى الحديقة المظلمة في الأسفل.

بعدها بساعة أو ساعتين، كان أرنولد، الرجل البدن في الحلة الزرقاء، ما زال يتحدث مع الآنسة جويرنج. اقترح عليها أن يغادرا

الحفلة ويذهبها إلى بيته. "أعتقد أننا سنقضي وقتًا ممتعًا أكثر بكثير هناك،" قال لها. "سيكون هناك ضجيج أقل، وسيمكننا أن نتحدث بحرية أكبر."

لم يكن عند الأنسة جويرنج أي رغبة بعد في الرحيل، لقد استمتعت كثيرًا بوجودها في غرفة ممتلئة بالناس، لكنها لم تعرف كيف تتخلص من قبول دعوته.

"بالتأكيد،" قالت، "فلنغادر." نهضا وغادرا الغرفة معًا في صمت.

"لا تقولي أي شيء لآنا عن مغادرتنا،" أخبر أرنولد الأنسة جويرنج. "فقط سيسبب الأمر بعض التشويش. أعدك بأنني سأرسل إليها بعض الحلوى في الغد، أو بعض الزهور." ضغط على يد الأنسة جويرنج وابتسم لها. لم تكن متأكدة أنه لا يرفع الكلفة بينهما أكثر قليلاً من اللازم.

بعد مغادرة حفلة آنا، مشى أرنولد لفترة مع الأنسة جويرنج ثم أوقف سيارة أجرة. كان الطريق إلى بيته يمر عبر شوارع عديدة مهجورة ومظلمة. كانت الأنسة جويرنج عصبية جدًا وهستيرية بسبب ذلك إلى حد أن أرنولد شعر بالذعر.

"أعتقد دائمًا،" قالت الأنسة جويرنج، "أن السائق ينتظر فقط أن يستغرق الركاب في الحديث كي ينطلق عبر شارع ما، إلى مكان موحش ولا يمكن الوصول إليه حيث إما يعذبهم وإما يقتلهم. أنا متأكدة أن

أغلب الناس يشعرون بالطريقة نفسها التي أشعر بها بخصوص ذلك، لكنه لديهم ما يكفي من الذوق السليم كي لا يذكروا الأمر."

"بما أنك تقيمين بعيداً هكذا عن المدينة،" قال أرنولد، "لم لا تقضين الليلة في بيتي؟ لدينا غرفة نوم إضافية."

"ربما أفعل،" قالت الأنسة جويرنج، "رغم أن هذا ضد نظامي بأكمله، لكن على أي حال، لم أبدأ قط في استخدام نظامي هذا حتى، رغم أنني أحكم على كل شيء طبقاً له." بدت الأنسة جويرنج متجهمة قليلاً بعد أن قالت هذا، واستمرت السيارة في المضي بهما صامتتين حتى بلغا مقصدهما.

كانت شقة أرنولد في الطابق الثاني. فتح الباب، ودخلا إلى غرفة صُفّت فيها رفوف كتب حتى السقف. كانت الأريكة مرتبة، وشبشب أرنولد موضوع فوق البساط بجانبها. كان الأثاث ثقيلاً، وتناثرت بعض البُسط المشرقية الصغيرة هنا وهناك.

"أنام هنا،" قال أرنولد، "ويشغل أبي وأمي غرفة النوم. لدينا مطبخ صغير، لكننا نفضّل في الغالب أن نتناول طعامنا في الخارج. توجد غرفة نوم أخرى صغيرة جداً، قصد في الأصل أن تكون غرفة خادمة، لكنني أفضل أن أنام هنا وأترك عيني تتجول من كتاب إلى آخر؛ الكتب عزاء كبير لي." تنهد عميقاً ووضع كلتا يديه فوق كتفي الأنسة جويرنج. "كما ترين، يا سيدتي العزيزة،" قال، "لا أفعل الأشياء التي أود أن أفعلها... أعمل في مجال العقارات."

"ما ذلك الذي تود أن تفعله؟" سألت الأنسة جويرنج، بينما يبدو عليها الضجر وعدم الاكتراث.

"شيئاً ما، بطبيعة الحال،" قال أرنولد، "في مجال الكتب، أو في مجال الرسم."

"ولا تستطيع؟"

"لا،" قال أرنولد، "لا تؤمن عائلتي أن وظائف مثل هذه جادة، وبما أنه يتعين عليّ أن أكسب قوتي وأدفع نصيبي في هذه الشقة، كان عليّ أن أقبل وظيفة في مكتب عمي، حيث، عليّ أن أقول، سرعان ما أصبحت أفضل مندوب لمبيعاته. في المساء، رغم ذلك، لدي الكثير من الوقت كي أختلط بأناس لا شأن لهم بالعقارات. في حقيقة الأمر، قلّما يفكرون في كسب المال على الإطلاق. من الطبيعي أن هؤلاء الناس يهتمون بالحصول على ما يكفي من الطعام. رغم أنني في التاسعة والثلاثين ما زلت أمل بمجدية شديدة أن أتمكن من عمل قطعة تامة مع عائلتي. لا أرى الحياة عبر العينين نفسيهما اللتين ينظران بهما إليها. ويزداد شعوري بأن حياتي معهما هنا تصبح غير محتملة رغم حقيقة أي حر في استقبال من أود بما أنني أدفع جزءاً من مصاريف هذه الشقة."

جلس فوق الأريكة وفرك عينيه بيديه.

"فلتسامحيني، يا آنسة جويرنج، لكنني أشعر فجأةً بالنعاس الشديد. أنا متأكد أن الشعور سيزول."

كان تأثير مشروبات الأنسة جويرنج يتلاشى وفكرت أن الوقت قد حان كي تعود إلى الأنسة جيملون، لكن لم يكن لديها الشجاعة لأن تستقل سيارة بمفردها لكل تلك المسافة الطويلة حتى بيتها.

"حسناً، أعتقد أن في هذا خيبة أمل كبيرة لك،" قال أرنولد، "لكنك ترين أنني وقعت في حبك. أردت أن أحضرك إلى هنا وأخبرك عن حياتي بأكملها، لكنني الآن لا أشعر برغبة في الحديث عن أي شيء."

"ربما في وقت آخر سوف تخبرني عن حياتك،" قالت الأنسة جويرنج، بينما تشرع في المشي ذهاباً ومجيئاً بسرعة كبيرة. توقفت واستدارت نحوه. "ما الذي تنصحي بفعله؟" سألته. "هل تنصحي بالعودة إلى البيت أم بالبقاء هنا؟"

تمعن أرنولد في ساعته. "ابقي هنا بالطبع،" قال.

في تلك اللحظة دخل والد أرنولد، يلبس رداءً بيتياً، ويحمل كوب قهوة في يده. كان نحيفاً جداً وله لحية صغيرة مدببة. كانت هيئته أكثر تميزاً من أرنولد.

"مساء الخير، يا أرنولد،" قال والده. "هل ستقدمني، من فضلك، إلى هذه السيدة الشابة؟"

قدمهما أرنولد لأحدهما الآخر، ثم سأل والده الأنسة جويرنج لماذا لم تخلع معطفها.



"بما أنكِ ساهرة حتى هذا الوقت المتأخر من الليل،" قال، "ولا تستمتعين براحة وأمان فراشك الخاص، ربما على الأقل تكونين على راحتك. أرنولد، ابني، لا يفكر أبداً في مثل هذه الأشياء." أخذ معطف الأنسة جويرنج، وأثنى على فستانها الرائع.

"الآن أخبراني أين كنتما وماذا فعلتما. أنا نفسي لا أخرج إلى المجتمع، لأنني قانع بصحبة زوجتي وابني."

هز أرنولد كتفيه، وتظاهر بأنه يجول بنظرة شاردًا في أرجاء الغرفة. لكن أي شخص له فقط القليل من قوة الملاحظة كان في إمكانه أن يرى أن وجهه عدواني تمامًا.

"الآن أخبراني عن هذه الحفلة،" قال والد أرنولد، وهو يسوي الكوفية التي كان قد لفها حول رقبته. "أخبريني أنت." أشار إلى الأنسة جويرنج التي كانت قد بدأت بالفعل في الشعور بقدر أكبر من المرح. لقد فضّلت على الفور والد أرنولد على أرنولد ذاته.

"سوف أحكي لك عنها،" قال أرنولد. "كان هناك الكثير من الناس هناك، أغلبهم فنانون مبدعون، بعضهم ناجح وثري، البعض الآخر أثرياء ببساطة لأنهم ورثوا مالاً من فرد ما من أفراد العائلة، وآخرون بالكاد لديهم ما يكفي طعامهم. لا أحد من هؤلاء الناس، رغم هذا، كان مهتمًا بالمال كهدف في ذاته لكن كان ليقنع، كل فرد منهم، فقط بما يكفي طعامه."

"مثل الحيوانات البرية،" قال والده، وهو ينهض على قدميه. "مثل الذئب! ما الذي يفصل رجلاً عن ذئب إن لم يكن أن الرجل يرغب في تحقيق ربح؟"

ضحكت الأنسة جويرنج حتى سالت الدموع فوق وجهها. تناول أرنولد بعض المجلات من فوق المنضدة، وشرع في تصفحها بسرعة كبيرة.

حينها دخلت والدة أرنولد إلى الغرفة حاملةً في يد طبقاً مكدمساً بالكعك وفي الأخرى فنجان قهوة.

كانت رثة الثياب متواضعة المظهر ولها تقريباً نفس بنية أرنولد. كانت ترتدي ثوباً وردي اللون.

"مرحباً،" قالت الأنسة جويرنج لوالدة أرنولد. "هل لي أن آخذ قطعة من كعكك؟"

لم تقدم والدة أرنولد، وكانت امرأة تنقصها اللباقة، الكعك إلى الأنسة جويرنج؛ بل إنها، بينما تحتضن الطبق قريباً منها، قالت للأنسة جويرنج: "هل تعرفين أرنولد منذ مدة طويلة؟"

"لا، قابلت ابنتك الليلة، في حفلة."

"حسناً،" قالت والدة أرنولد، بينما تضع الصينية على المنضدة وتجلس فوق الأريكة، "لا أعتقد أن هذا وقت طويل، أليس كذلك؟"

تضايق والد أرنولد من زوجته وأظهر ذلك بوضوح على وجهه.

"أكره هذا الثوب الوردى،" قال.

"لماذا تتحدث عن هذا الآن في وجود صحبة؟"

"لأن الصحبة لا تغير من شكل الثوب." غمز في صراحة للآنسة جويرنج ثم انفجر ضاحكاً. مرة أخرى ضحكت الآنسة جويرنج بعدوبة على ملاحظته. كان أرنولد أكثر تهماً حتى مما كان عليه منذ لحظة.

"الآنسة جويرنج،" قال أرنولد، "كانت تخشى أن تذهب إلى بيتها وحدها، لهذا أخبرتها أنه يمكنها على الرحب والسعة أن تنام في الغرفة الإضافية. رغم أن الفراش هناك ليس مريحاً جداً، أعتقد أنها على الأقل سيكون لديها بعض الخصوصية."

"ولم،" قال والد أرنولد، "كانت الآنسة جويرنج تخاف من العودة إلى بيتها بمفردها؟"

"حسناً،" قال أرنولد، "في الحقيقة ليس أمناً تماماً لسيدة أن تميم في الشوارع أو حتى أن تكون في سيارة أجرة بدون مرافق في مثل هذه الساعة المتأخرة. خصوصاً إن كان مشوارها بعيداً. بطبيعة الحال إن لم يكن مشوارها بعيداً جداً هكذا كنت لأرافقها بنفسى."

"هذه الطريقة التي تتحدث بها تجعلك تبدو مثل مخنث،" قال والده. "ظننت أنك وأصدقائك لا تخشون مثل هذه الأشياء. ظننت أنكم بريون، وأن الاغتصاب لا يعني لكم أكثر من اللعب ببالونة."

"أوه، لا تتحدث هكذا،" قالت والدة أرنولد، وهي تبدو مذعورة حقًا. "لم تتحدث هكذا معهما؟"

"أتمنى أن تذهبي إلى الفراش،" قال والد أرنولد. "في الحقيقة، سوف أمرك أن تذهبي إلى الفراش. ستصاين بالبرد."

"أليس فظيماً؟" قالت والدة أرنولد، وهي تبسم للآنسة جويرنج. "حتى في وجود صحبة في البيت لا يستطيع أن يسيطر على طبيعته الأسدية. له طبيعة مثل أسد، يزجر في البيت طيلة اليوم، ويتضايق جداً من أرنولد وأصدقائه."

اندفع والد أرنولد خارج الغرفة وسمعوا صوت باب يُغلق بعنف في آخر الردهة.

"ساحيني،" قالت والدة أرنولد للآنسة جويرنج، "لم أود أن أزعج الحفلة."

كانت الآنسة جويرنج متضايقة جداً، إذ وجدت الرجل العجوز منعشاً تماماً، بينما أرنولد نفسه كان يثير كآبتها.

"أعتقد أنني سأريك أين ستامين،" قال أرنولد، ناهضاً عن الأريكة وفي فعله ذلك ترك بعض المجلات تنزلق من حِجره إلى الأرضية. "أوه، حسناً،" قال، "من هذه الناحية. أنا نعسان جداً، ومشمئز من الأمر بأكمله."

تبعث الأنسة جويرنج أرنولد إلى نهاية الردهة على مضض.  
"مسكينة أنا،" قالت لأرنولد، "عليّ أن أعترف أنني لا أشعر برغبة في النوم. لا يوجد ما هو أسوأ، أليس كذلك؟"

"لا، الأمر مروع،" قال أرنولد. "أنا شخصياً مستعد للسقوط على السجادة والاستلقاء هناك حتى ظهيرة الغد، أنا منهك تماماً."

فكرت الأنسة جويرنج أن هذه الملاحظة لا تنم عن حسن ضيافة، وبدأت في الشعور ببعض الرعب. تعيّن على أرنولد أن يبحث عن مفتاح الغرفة الإضافية، وثركت الأنسة جويرنج واقفة وحدها أمام الباب لبعض الوقت.

"سيطري على نفسك،" همست بصوت مسموع، إذ إن ضربات قلبها كانت قد بدأت في التسارع. تساءلت كيف سمحت لنفسها أن تبتعد هكذا عن بيتها وعن الأنسة جيملون. عاد أرنولد أخيراً بالمفتاح، وفتح باب الغرفة.

كانت غرفة صغيرة جداً وأكثر برودة بكثير من الغرفة التي كانوا يجلسون فيها. توقعت الأنسة جويرنج أن يكون أرنولد مُخرجاً إلى أقصى حد بسبب ذلك، لكن رغم أنه ارتعش وفرك يديه معاً، لم يقل أي شيء. لم تكن هناك أي ستائر على النافذة، لكن كان ثمة شيش أصفر، وكان مسدلاً بالفعل. ألقت الأنسة جويرنج بنفسها فوق الفراش.

"حسنًا، يا عزيزتي"، قال أرنولد، "تصبحين على خير. سوف أذهب إلى الفراش. ربما نذهب في الغد لرؤية بعض اللوحات، أو إن أردت فسوف أذهب إلى بيتك." وضع ذراعيه حول عنقها، وقبلها قبلة خفيفة جدًا فوق الشفتين، وغادر الغرفة.

كانت غاضبة إلى درجة أنه كان ثمة دموع في عينيها. وقف أرنولد خارج الباب لمدة قصيرة ثم بعد عدة دقائق سار مبتعدًا.

ذهبت الأنسة جويرنج إلى الخزانة وأسندت رأسها فوق يديها. ظلت في هذا الوضع لمدة طويلة رغم أنها كانت ترتعش من البرد. في النهاية كان هناك دقة خفيفة على الباب. توقفت عن البكاء فجأة مثلما بدأت وهرعت لفتح الباب. رأت والد أرنولد يقف في الخارج في الردهة سيئة الإضاءة. كان يرتدي منامة وردية مخططة، وأعطاهها سلامًا موجزًا على سبيل التحية. بعدها وقف في سكون تام، منتظرًا على ما يبدو أن تطلب منه الأنسة جويرنج الدخول.

"ادخل، ادخل"، قالت له. "أنا مسرورة لرؤيتك. بحق السماء، شعرت أنني أهجر."

دخل والد أرنولد ووازن نفسه على طرف فراش الأنسة جويرنج حيث جلس يؤرجح ساقيه. أشعل غليونه بطريقة تميل إلى الافتعال وأجال بصره في جدران الغرفة من حوله.

"حسنًا، يا سيادة"، قال لها، "هل أنت فنانة أيضًا؟"

"لا،" قالت الأنسة جويرنج. "أردت أن أكون قائدة دينية حين كنت صغيرة والآن فقط أقيم في بيتي وأحاول ألا أكون تعيسة أكثر من اللازم. عندي صديقة تقيم معي، وهو ما يجعل الأمر أيسر."

"ما رأيك في ابني؟" سأل، بينما يغمز لها. "لقد قابلته للتو،" قالت الأنسة جويرنج.

"سوف تكتشفين سريعاً،" قال والد أرنولد، "أنه شخص قليل القيمة. ليس لديه أي فكرة عن معنى أن تقا تل. لا أعتقد أن النساء يروقهن ذلك كثيراً. في حقيقة الأمر، لا أعتقد أنه كان هناك نساء عديدات في حياة أرنولد. ولتسأحييني على إعطائك هذه المعلومة. أنا شخصياً معتاد على القتال. لقد قاتلت جيراني طيلة حياتي بدلاً من الجلوس معهم وشرب الشاي مثلما يفعل أرنولد. وقد قاتلني جيراني مثل نمور أيضاً. ليس هذا بالشيء الذي يميل إليه أرنولد. كان طموح حياتي دائماً أن أكون أعلى قليلاً في الشجرة من جيراني وكنت مستعداً أيضاً أن أقر بالعار التام حين ينتهي بي الأمر أن أحط في مرتبة أدنى قليلاً من أي شخص أعرفه. لم أخرج منذ سنوات كثيرة. لا يأتي أحد لرؤيتي ولا أذهب لرؤية أي أحد. الآن، فيما يخص أرنولد وأصدقائه لا يبدأ أي شيء حقاً ولا ينتهي. إنهم بالنسبة لي مثل سمك في ماء قذر. إن لم تسرهم الحياة على نحو ما، وإن لم يروقوا لأي أحد في مكان ما، حينها يذهبون إلى مكان آخر. يهدفون إلى الإرضاء وإلى الحصول على الرضا؛ لهذا السبب من السهل أن يأتي أحد ما من الخلف ويضربهم على رؤوسهم، ذلك لأنهم لم يمارسوا أي كراهية حقيقية في حياتهم."

"ياها من عقيدة غريبة!" قالت الأنسة جويرنج.

"هذه ليست عقيدة"، قال والد أرنولد. "هذه هي أفكارى الخاصة، مستمدة من تجاربي الشخصية. أو من إيماناً راسخاً بالتجربة الشخصية، ألا تؤمنين بها؟"

"أوه، نعم"، قالت الأنسة جويرنج، "وأعتقد أنك محق بخصوص أرنولد." شعرت بمتعة غريبة في الحط من شأن أرنولد.

"أرنولد"، واصل والده، وبدا أنه يزداد سروراً بينما يتحدث، "أرنولد لا يستطيع أن يتحمل أبداً أن يقبض عليه أي أحد متلبساً بالجلوس في أسفل المراتب. يعرف الجميع كم هو كبير بيتك، والرجال المستعدون لرهن سعادتهم بهذا هم رجال من حديد."

"أرنولد ليس فنائاً على أي حال"، تدخلت الأنسة جويرنج.

"لا، ذلك هو الأمر تحديداً"، قال والد أرنولد، بينما يزداد حماسه. "هذا هو الأمر تحديداً! ليس لديه القوة ولا الشجاعة ولا المثابرة كي يكون فنائاً جيداً. على الفنان أن يكون لديه قوة عضلية وجرأة وشخصية. أرنولد مثل زوجتي"، أضاف. "تزوجتها حين كانت في العشرين بسبب مصالح معينة في مجال العمل. كلما أخبرتها بذلك، تبكي. إنها مغفلة أخرى. لا تحبني على الإطلاق، لكن يربحها أن تفكر في ذلك، لهذا تبكي. هي غيورة إلى أقصى حد أيضاً وقد التفت حول أسرتها وبيتها مثل ثعبان ضخم، رغم أنها لا تقضي وقتاً ممتعاً هنا.



حياتها، في حقيقة الأمر، حياة بائسة، عليّ أن أقر بذلك. ينجبل أرنولد منها وأنا أضايقها طوال اليوم. لكن رغم حقيقة أنها امرأة جبانة، فإنها قادرة على إظهار قدر ما من العنف والقوة. لأنها هي أيضاً، مثلي، وافية لمثال واحد، علي ما أعتقد."

لحظتها كانت هناك قرعة قوية علي الباب. لم يتفوه والد أرنولد بأي كلمة، لكن الأنسة جويرنج هتفت بصوت واضح: "من؟"

"أنا، والدة أرنولد،" جاء الرد. "أرجو أن تسمح لي بالدخول علي الفور."

"لحظة واحدة،" قالت الأنسة جويرنج، "وسوف أفعل بكل تأكيد."

"لا،" قال والد أرنولد. "لا تفتحي الباب. ليس لديها أي حق علي الإطلاق في أن تأمر أي أحد بأن يفتح الباب."

"من الأفضل أن تفتحيه،" قالت زوجته. "وإلا فسوف أتصل بالشرطة. أعني هذا بكل جدية. لم أهدد قط بالاتصال بها من قبل، كما تعرف."

"نعم، هددت بأن تتصلي بها مرة من قبل،" قال والد أرنولد، وقد بدا قلقاً جداً.

"بالنظر لما أشعر به تجاه حياتي،" قالت والدة أرنولد، "فإنني سوف أفتح قريباً كل الأبواب وأدع الجميع يدخل البيت ويشهد عاري."

"هذا هو آخر شيء يمكن أن تفعله،" قال والد أرنولد. "تتحدث مثل مغفلة حين تكون غاضبة."

"سأدعها تدخل،" قالت الأنسة جويرنج، بينما تتوجه نحو الباب. لم تشعر بالكثير من الفزع لأن والدة أرنولد، بالحكم من صوتها، بدت كما لو كانت حزينة أكثر منها غاضبة. لكن حين فتحت الأنسة جويرنج الباب أدهشها أن ترى أنه، على عكس توقعها، كان وجهها شاحباً من الغضب وكانت عيناها شقين صغيرين ضيقين.

"لماذا تتظاهرين دائماً بالاستغراق التام في النوم؟" قال والد أرنولد. كانت هذه هي الملاحظة الوحيدة التي تمكّن أن يفكر فيها، رغم أنه هو نفسه أدرك إلى أي حد لا بد أنها بدت غير كافية لزوجته.

"أنتِ عاهرة،" قالت زوجته للأنسة جويرنج. صدمت هذه العبارة الأنسة جويرنج صدمة شديدة، وهو ما أثار دهشتها، ذلك أنها اعتقدت دائماً أن مثل هذه الأمور لا تعني أي شيء لها.

"أخشى أنه قد جانبك الصواب تماماً،" قالت الأنسة جويرنج، "وأعتقد أننا سنكون يوماً ما صديقتين مقربتين."

"سأشكرك إن سمحت لي أن أتخير أصدقائي،" ردت عليها والدة أرنولد. "لدي أصدقائي بالفعل، في حقيقة الأمر، ولا أتوقع أن أضيف أي أحد إلى قائمتي، والأقل احتمالاً بين الجميع، أنت."

"رغم هذا لا يمكنك التيقن،" قالت الآنسة جويرنج متراجعة قليلاً بوهن، وهي تحاول أن تستند بطريقة مريحة على الخزانة. لسوء الحظ، في وصفها للآنسة جويرنج بأنها عاهرة فقد اقترحت والدة أرنولد على زوجها الموقف الذي سيأخذه كي يدافع عن نفسه.

"كيف تجرئين!" قال. "كيف تجرئين على وصف أي أحد في بيتنا بأنها عاهرة! إنك تنتهكين قوانين الضيافة إلى أقصى حد ولن أقبل بهذا."

"لا تتنمر عليّ"، قالت والدة أرنولد. "يتعين عليها أن تغادر على الفور في هذه اللحظة وإلا فسوف أثير فضيحة وستندم أنت بسبب ذلك."

"انظري، يا عزيزتي،" قال والد أرنولد للآنسة جويرنج. "ربما يكون من الأفضل أن تغادري بالفعل، لمصلحتك الخاصة. لقد بدأ النور في الظهور، لهذا ليس عليك أن ترتعي على الإطلاق."

نظر والد أرنولد حوله بعصبية ثم هرع خارجاً من الغرفة، متجهاً إلى نهاية الردهة، تتبعه زوجته. سمعت الآنسة جويرنج صوت إغلاق باب بعنف وتخيلت أنهما سيواصلان جدالهما وحدهما.

أما عنها هي، فقد أسرعت إلى نهاية الردهة وخرجت من البيت. وجدت سيارة أجرة بعد السير لوقت قصير ولم تقض سوى عدة دقائق في السيارة قبل أن تسقط في النوم.

في اليوم التالي كانت الشمس ساطعة وكل من الأنسة جيملون والأنسة جويرنج تجلسان في الحديقة وتتجادلان. كانت الأنسة جويرنج مستلقية فوق العشب. بدت الأنسة جيملون أكثرهما سخطاً. كانت عابسة، تنظر بطرف عينها إلى البيت الذي كان وراءهما. كانت عينا الأنسة جويرنج مغمضتين، ثمة ابتسامة خافتة على وجهها.

"حسنًا،" قالت الأنسة جيملون بينما تتلفت حولها، "تعرفين أقل القليل عما تفعلين حتى إنها جريمة حقيقية ضد المجتمع أن يكون في يديك أي أملاك. يجب أن تكون الأملاك في يد من يحبونها."

"أعتقد،" قالت الأنسة جويرنج، "أنني أحبها أكثر من معظم الناس. تعطيني شعورًا مريحًا بالأمان، كما شرحت لك عشرات المرات على الأقل. ومع هذا، كي أنفذ فكري الصغيرة الخاصة عن الخلاص، أؤمن حقًا أنه من الضروري لي أن أعيش في مكان أكثر تواضعًا وتحديدًا في مكان لم أولد فيه."

"في رأيي،" قالت الأنسة جيملون، "في وسعك تمامًا تحقيق خلاصك خلال ساعات معينة من اليوم بدون الاضطرار إلى تغيير مكان كل شيء."

"لا،" قالت الأنسة جويرنج، "لن يكون هذا متماشيًا مع روح العصر."

تململت الأنسة جيملون في مقعدها.

"بوسع روح العصر، أيًا ما كان ذلك،" قالت، "أن تتدبر أمرها بكل جمال من دونك - ربما تفضّل هذا."

ابتسمت الأنسة جويرنج وهزت رأسها.

"الفكرة،" قالت الأنسة جويرنج، "هي أن نتغير بدايةً بإرادتنا الخاصة وطبقًا لدوافعنا الداخلية قبل أن يفرضوا علينا تغيرات اعتباطية تمامًا."

"ليس عندي أي دوافع من هذا النوع،" قالت الأنسة جيملون، "وأعتقد أن لديك جرأة هائلة كي تتوحدني مع أي أحد آخر. في حقيقة الأمر، أعتقد أنك إن غادرت هذا البيت، فسوف أفقد فيك أي أمل وأعتبرك مجنونة لا رجاء منها. بالنظر لكل شيء، لست الشخص الذي يهتم بالعيش مع مجنونة، ولا يهتم بذلك أي أحد آخر."

"حين أتخلّى عنك،" قالت الأنسة جويرنج، وهي تعتلد في جلستها وترجع برأسها إلى الوراء في فخامة، "حين أتخلّى عنك، سأكون قد تخلّيت عما هو أكثر من بيتي، يا لوسي."

"تلك واحدة من وقاحاتك،" قالت الأنسة جيملون. "تدخل من أذن ثم تخرج من الأخرى."

هزت الأنسة جويرنج كتفيها ودخلت إلى البيت.

وقفت لبرهة في الردهة تعيد ترتيب بعض الزهور في مزهرية، وكانت على وشك التوجه إلى غرفتها كي تنام حين ظهر أرنولد.

"مرحبا،" قال أرنولد، "أردت أن آتي لرؤيتك قبل الآن، لكنني لم أتمكن من ذلك. قضينا واحداً من تلك الغداءات العائلية الطويلة. أعتقد أن الزهور تبدو جميلة في هذه الغرفة."

"كيف حال والدك؟" سألته الأنسة جويرنج.

"أوه،" قال أرنولد، "على ما يرام، أعتقد. صلتنا بأحدنا الآخر ضعيفة جداً." لاحظت السيدة جويرنج أنه يتعرق مرة أخرى. من الواضح أنه متحمس جداً بسبب وصوله إلى بيتها، لأنه نسي أن يخلع قبعته المصنوعة من القش.

"هذا بيت جميل حقاً،" أخبرها. "له طابع مجد قديم يفتني. من المؤكد أنك تكرهين مغادرته في أي وقت. حسناً. يبدو أن والدي معجب بك جداً. لا تسمح لي له أن يغتر أكثر من اللازم. يعتقد أن الفتيات مهوسات به."

"أنا متيمة به،" قالت الأنسة جويرنج.

"حسناً، أمل أن حقيقة أنك متيمة به،" قال أرنولد، "لن تتعارض مع صداقتنا، لأنني قررت أن أقابلك كثيراً، طبعاً بافتراض أن ذلك مقبول لك."

"بالتأكيد،" قالت الأنسة جويرنج، "وقتما تريد."

"أعتقد أنه سيروفي أن أكون هنا في بيتك، وليس عليك أن تشعرني أن هذا حمل. سأسر تماماً إن جلست وحدي أفكر، ذلك لأنني

كما تعرفين متلهف جداً على تحقيق ذاتي على نحو مختلف عن حالي في الوقت الحاضر، وهو حال لا يرضيني. كما يمكنكِ التخيل، من المستحيل عليّ حتى أن أنظم حفلة عشاء لعدة أصدقاء لأن لا والدي ولا والدي يتزحزان عن البيت إلا إن فعلت."

جلس أرنولد على مقعد بجوار نافذة كبيرة ومدد قدميه.

"تعالي هنا!" قال للآنسة جويرنج، "وراقبي الريح تتموج عبر قمم الأشجار. لا يوجد أي شيء أكثر روعة في العالم." رفع نظره إليها بجدية شديدة لبرهة.

"هل لديكِ بعض اللبن وبعض الخبز والمربى؟" سأها. "أتمنى ألا يكون بيننا رسميات."

اندهشت الآنسة جويرنج من أن يطلب أرنولد منها طعاماً كي يأكله بعد وقت قصير هكذا من غدائه، وقررت أن هذا هو بدون شك سبب بدانته.

"لدينا بالتأكيد،" قالت بعدوبة، وانصرفت كي تعطي الطلب للخادمة.

في هذه الأثناء قرّرت الآنسة جيملون أن تدخل البيت وإن أمكن أن تلاحق الآنسة جويرنج برأيها. حين رآها أرنولد أدرك أنها المرافقة التي تحدثت عنها الآنسة جويرنج في الليلة السابقة.

نهض واقفاً على الفور، إذ كان قد قرّر أنه من المهم جداً له أن يصادق الآنسة جيملون.

كانت الأنسة جيملون نفسها مسرورة جداً لرؤيته، لأنهما نادراً ما يكون لديهما صحبة وكانت تستمتع بالحديث تقريباً مع أي أحد أكثر من الحديث مع الأنسة جويرنج.

قدما نفسيهما وجذب أرنولد مقعداً للأنسة جيملون بالقرب من مقعده.

"أنت رفيقة الأنسة جويرنج،" قال للأنسة جيملون. "أعتقد أن هذا رائع."

"هل تعتقد أن هذا رائع؟" سألت الأنسة جيملون. "هذا مثير للاهتمام حقاً."

ابتسم أرنولد بسعادة بسبب ملاحظة الأنسة جيملون هذه، وواصل الجلوس بدون أن يقول أي شيء لبرهة.

"هذا البيت مرتب بذوق رفيع،" قال أخيراً، "ويمتلئ بالراحة والسكينة."

"يعتمد كل شيء على كيف تنظر إليه،" قالت الأنسة جيملون بسرعة، مع هز رأسها والنظر إلى خارج النافذة.

"ثمة أشخاص،" قالت، "يصرفون السكينة من أمام الباب كما لو كانت تينياً أحمر يزفر النار من منخاره، وثمة أشخاص لا يدعون الرب في حاله أيضاً."



مال أرنولد إلى الأمام وحاول أن يبدو مراعيًا ومهمًا في نفس الوقت.

"أعتقد،" قال بوقار، "أعتقد أنني أفهم ما تودين قوله."

بعدها نظر كلاهما عبر النافذة في نفس الوقت ورأيا الأنسة جويرنج على مبعدة واضعة وشاحًا فوق كتفها وتحدث إلى شاب لم يستطيعا تمييز هيبته لأنه كان في مقابل الشمس مباشرة.

"هذا هو المندوب،" قالت الأنسة جيملون، "أعتقد أنه لا يوجد ما يمكن التطلع إليه من الآن فصاعدًا."

"أي مندوب؟" سأل أرنولد.

"المندوب الذي ستبيع بيتها من خلاله،" قالت الأنسة جيملون.  
"أليس الأمر أفزع من أن تعبر عنه الكلمات؟"

"أوه، أنا آسف،" قال أرنولد. "أعتقد أنها حماقة كبيرة منها، لكنني لا أعتقد أن الأمر يخصني."

"سوف نقيم،" أضافت الأنسة جيملون، "في بيت متواضع من أربع غرف ونقوم بالطهو بأنفسنا. سيكون في الأرياف تحوطه الغابة."

"يبدو هذا قائمًا بالفعل، أليس كذلك؟" قال أرنولد. "لكن لم يجب على الأنسة جويرنج أن تقرر أن تفعل أمرًا مثل هذا؟"

"تقول إنها مجرد بداية في خطة هائلة."

بدا أرنولد حزيناً جداً. لم يستمر في الحديث مع الأنسة جيملون بل  
زم شفثيه فقط ونظر إلى السقف.

"أعتقد أن أهم شيء في العالم،" قال بعد مدة، "هو الصداقة  
والفهم." نظر إلى الأنسة جيملون متسائلاً. بدا كما لو كان قد تحلى عن  
شيء ما.

"حسناً، يا آنسة جيملون،" قال مرة أخرى، "ألا توافقين معي  
على أن الصداقة والتفهم هما أهم الأشياء في العالم؟"

"نعم،" قالت الأنسة جيملون، "والاحتفاظ بعقلك مهم أيضاً."  
سرعان ما دخلت الأنسة جويرنج بحزمة من الأوراق تحت ذراعها.

"هذه،" قالت، "هي العقود. يا! إنها طويلة، لكنني أعتقد أن  
المندوب رجل عذب. قال إنه يعتقد أن هذا البيت رائع." مدت يدها  
بالعقود إلى أرنولد أولاً ثم إلى الأنسة جيملون.

"عليّ أن أفكر،" قالت الأنسة جيملون، "أنك قد تحشين النظر في  
المرأة خوفاً من أن تري شيئاً مفرط الجموح والغرابة. لا أود النظر إلى  
هذه العقود. أرجو أن تأخذها من حجري على الفور. يا يسوع الرب  
القادر!"

بدت الأنسة جويرنج، في حقيقة الأمر، جاححة قليلاً بالفعل،  
وعلى الفور لاحظت الأنسة جيملون بعين يقظة أن اليد التي حملت بها  
العقود كانت ترتعش.

"أين بيتك الصغير، يا آنسة جويرنج؟" سأها أرنولد، محاولاً أن يدخل نبرة أكثر بساطة على الحوار.

"البيت في الجزيرة،" قالت الآنسة جويرنج، "لا يبعد كثيراً عن المدينة بالعبرة. أتذكر أنني زرت هذه الجزيرة حين كنت طفلة وأني كرهتها دائماً إذ بوسع الواحد أن يشم مصانع الغراء من البر حتى حين يمشي عبر الغابة أو بين الحقول. أحد أطراف الجزيرة كثيف السكان، رغم أنه ليس بإمكانك سوى شراء بضائع من الدرجة الثالثة من أي من المتاجر. في عمقها، الجزيرة برية أكثر وقديمة الطابع؛ ورغم ذلك، ثمة قطار صغير يقابل العبارة بانتظام وينقلك إلى الطرف الآخر. هناك ترسو في بلدة صغيرة ضائعة تماماً وتبدو قاسية جداً، وتشعر بالقليل من الرعب، على ما أعتقد، حين تجد أن البر المقابل لهذه البقعة على نفس بؤس الجزيرة ذاتها ولا يقدم لك أي حماية على الإطلاق."

"يبدو أنك قد نظرت في الموقف بحرص شديد ومن كل زاوية،" قالت الآنسة جيملون. "تحياي لك!" لوحت للآنسة جويرنج من مقعدها، لكن كان من الممكن للواحد أن يرى أنها لا تشعر بأذى قدر من الخفة.

تحرك أرنولد بعدم ارتياح فوق مقعده. سعل ثم خاطب الآنسة جويرنج بركة شديدة.

"أنا متأكد أن للجزيرة مزايا معينة أيضاً، تعرفين بها، لكنك ربما تفضلين أن تفاجئينا بها بدلاً من إحباطنا."

"لا أعرف بأي مزايا لها حالياً،" قالت الآنسة جويرنج. "لماذا، هل ستأتي معنا؟"

"أعتقد أنه سيروفي أن أفضي الكثير من الوقت هناك معك؛ أعني، إن دعوتني."

كان أرنولد حزينًا ومرتبكًا، لكنه شعر أن عليه أن يبقى قريبًا من الآنسة جويرنج بأي ثمن وفي أي عالم تقرر أن تنتقل إليه.

"إن دعوتني،" قال مرة أخرى، "فسيبرني أن أخرج إليك لفترة قصيرة على أي حال وسنرى كيف يسير الأمر. يمكنني أن أواصل الاحتفاظ بنصبي من الشقة التي أتشارك فيها مع أبوي بدون الاضطرار إلى قضاء كل وقتي هناك. لكنني لا أنصحك ببيع بيتك الجميل؛ الأفضل أن تؤجربه بأكمله أو تؤجري غرفه بينما أنت بعيدة. بكل تأكيد قد تغيرين رأيك وتودين العودة إليه."

توردت الآنسة جيملون من السرور.

"إن هذا أكثر إنسانية من أن تفكر في فعله،" قالت، لكنها بدت أكثر تفاؤلاً بمقدار بسيط.

بدا أن الآنسة جويرنج تحلم ولا تنصت لما يقول أي منهما.

"حسنًا،" قالت الآنسة جيملون، "ألن تردي عليه؟ لقد قال: لم لا تحولين المكان لدار ضيافة أو تؤجرينه وبعدها إن تبدل رأيك يكون في إمكانك العودة إليه."

"أوه، لا،" قالت الأنسة جويرنج. "شكراً جزيلاً، لكن لا يمكنني أن أفعل هذا. لا يوجد أي معنى في أن أفعل هذا."

سعل أرنولد كي يداري حرجه من أن يقترح شيئاً أثار على ما يبدو استياء الأنسة جويرنج بوضوح تام.

"عليّ،" قال لنفسه، "عليّ ألا أضع نفسي أكثر من اللازم في صف الأنسة جيملون، وإلا فستبدأ الأنسة جويرنج في الاعتقاد بأن عقلي في مستوى عقلها."

"ربما كان من الأفضل على كل حال،" قال بصوت مرتفع، "أن تباعي كل شيء."

وقف السيد والسيدة كوبرفيلد في مقدمة القارب بينما يُبحر إلى داخل مرفأ  
بنما. كانت السيدة كوبرفيلد مسرورة جداً لرؤية اليايسة أخيراً.

"عليك أن تُقرّ الآن"، قالت للسيد كوبرفيلد، "أن اليايسة ألطف  
من البحر." هي شخصياً كان لديها خوف كبير من الغرق.

"الأمر ليس مجرد الخوف من البحر"، أكملت، "لكنه ممل. إنه  
الشيء نفسه طوال الوقت. الألوان جميلة، بطبيعة الحال."

كان السيد كوبرفيلد يتمعن في خط الشاطئ.

"إن وقفت ساكنةً، ونظرت بين المباني على أرصفة الميناء"، قال،  
"فسيكون بمقدورك لمح بعض القطارات الخضراء محملة بالموز. يبدو أنها  
تمر كل ربع ساعة."

لم ترد عليه زوجته؛ بدلاً عن هذا ارتدت القبعة الحامية من  
الشمس التي كانت تحملها في يدها.

"ألم تبدأ في الشعور بحرارة الشمس بالفعل؟ أنا بدأت،" قالت له أخيراً. وما أنها لم تتلق رداً فقد تحركت بمحاذاة حافة القارب ونظرت إلى الماء في الأسفل.

على الفور أتت امرأة ممتلئة كانت قد تعرفت عليها على متن القارب كي تتحدث معها. ابتهجت السيدة كوبرفيلد.

"لقد جعلت شعرك!" قالت. ابتسمت المرأة.

"الآن تذكري،" قالت للسيدة كوبرفيلد، "اللحظة التي تصلين فيها إلى فندقك، مددي جسدك واستريحي. لا تسمح لي لهم بجرك عبر الشوارع، بصرف النظر عن أي وقت جامع يعدونك به. لا يوجد سوى قرود في الشوارع على أي حال. لا يوجد أي شخص حسن الشكل في هذه البلدة بأكملها ليس على اتصال بالجيش الأمريكي، والأمريكيون يبقون في الغالب في حيهم الخاص. الحي الأمريكي يُسمى كرسسوبال. وهو منفصل عن كولون. كولون لا تمتلئ سوى بالهجائن والقرود. كرسسوبال لطيفة. كل من في كرسسوبال لديه شرفة صغيرة مظلمة. لا يرد على خاطرهم أبداً أن يظللوا أنفسهم، القرود في كولون. لا يعرفون حين تلدغهم ناموسة على أي حال، وحتى إن عرفوا فعلاً فلن يرفعوا يداً كي يبعدها. تناولي الكثير من الفاكهة وخذي حذرِك من المتاجر. معظمها يمتلكها هندوس، وهم مثل اليهود، كما تعرفين. سيغشونك بكل طريقة ممكنة."

"لست مهتمة بشراء أي شيء،" قالت السيدة كوبرفيلد، "لكن هل تسمحين لي بزيارتك حين أكون في كولون؟"

"أحبك، يا عزيزتي،" ردت المرأة، "لكنني أود أن أقضي كل دقيقة مع ولدي بينما أنا هنا."

"لا بأس في هذا،" قالت السيدة كوبرفيلد.

"بالطبع لا بأس في هذا. لديك زوجك الجميل."

"لا فائدة في ذلك،" قالت السيدة كوبرفيلد، لكن ما إن قالت هذا حتى شعرت بالرعب من نفسها.

"حسنًا الآن، هل تشاجرتما؟" قالت المرأة.

"لا."

"أعتقد إذن أنك امرأة ضئيلة رهيبة كي تتحدثي عن زوجك بهذه الطريقة،" قالت، بينما تسير مبتعدة. نكست السيدة كوبرفيلد رأسها، وعادت كي تقف بجوار السيد كوبرفيلد.

"لماذا تتحدثين مع مثل هؤلاء المغفلين؟" سأل.

لم ترد.

"حسنًا،" قال، "بحق السماء، انظري إلى المشهد الآن، هل تفعلين؟"

أخذًا سيارة أجرة، وأصرّ السيد كوبرفيلد على الذهاب إلى فندق في وسط البلدة. عادة ما يقيم كل السياح حتى من معهم القليل من المال في فندق واشنطن، المطل على البحر، خارج كولون بعدة أميال.



"لا أعتقد،" قال السيد كوبرفيلد لزوجته، "لا أعتقد في إنفاق المال على رفاهية لن تكون لي إلا لأسبوع على أقصى تقدير. أعتقد أنه من الممتع أكثر أن أشتري أشياء تبقى من بعدي ربما لحياة أخرى. يمكننا بالتأكيد أن نجد فندقًا مريحًا في البلدة. حينها يكون في مقدورنا أن ننفق مالنا على أشياء أكثر إثارة."

"الغرفة التي أنام فيها مهمة جدًا بالنسبة لي،" قالت السيدة كوبرفيلد. كانت تئن تقريبًا.

"يا عزيزتي، الغرفة ليست في الحقيقة سوى مكان تنامين فيه وتغييرين ملابسك. إن كانت هادئة والسرير مريح، فلا ضرورة لأي أمر آخر. ألا توافقين؟"

"تعرف جيدًا أنني لا أوافق."

"إن كنت ستشعرين بالتعاسة، فسنذهب إلى فندق واشنطن،" قال السيد كوبرفيلد. فجأة فقد هيئته. أعتمت عيناه، وعبس. "لكنني سأكون بائسًا هناك، يمكنني أن أؤكد لك. سيكون الوقت مملًا جدًا هناك." كان مثل طفل وتعيّن على السيدة كوبرفيلد أن تواسيه. كان لديه طريقة مخادعة لجعلها تشعر بالمسؤولية.

"على أي حال، النقود في معظمها نقودي،" قالت لنفسها. "أنا من ستدفع معظم مصروفات هذه الرحلة." ورغم هذا، لم يكن في استطاعتها أن تكتسب شعورًا بالقوة من خلال تذكير نفسها بذلك. كان

السيد كوبرفيلد يتحكم فيها تمامًا، كما يفعل تقريبًا أي أحد كانت على اتصال به. ورغم هذا، أكد أناس معينون يعرفونها جيدًا أنها قادرة على أخذ خطوة جذرية ومستقلة فجأة بدون دعم من أي أحد.

نظرت خارج نافذة سيارة الأجرة، ولاحظت أنه يوجد قدر رائع من النشاط يجري حولها في الشوارع. الناس، في معظمهم كانوا زنوجًا ورجالًا بأزيائهم من أساطيل كل الأمم، يجرون هنا وهناك، ويصدر عنهم الكثير جدًا من الضجيج إلى حد أن السيدة كوبرفيلد تساءلت إن كان اليوم عطلة من نوع ما.

"تبدو مثل مدينة تُنهَب باستمرار،" قال زوجها.

كانت البيوت مطلية بألوان زاهية ولها شرفات واسعة في الأدوار العليا، تدعمها من أسفل أعمدة خشبية طويلة. على هذا النحو كونت البيوت ما يشبه البواكي لتظليل من يمشي في الشارع.

"هذا الطراز المعماري بارع جدًا،" لاحظ السيد كوبرفيلد. "كانت الشوارع لتكون غير محتملة إن كان على المرء أن يسير فيها بدون أي شيء فوق رأسه."

"لن يمكنك تحمّل ذلك أيها السيد،" قال سائق السيارة، "أن تسير بدون أي شيء فوق رأسك."

"على أي حال،" قالت السيدة كوبرفيلد، "دعنا نختار واحدًا من هذه الفنادق بسرعة، وندخل فيه."

وجدا واحداً في قلب حي الأضواء الحمراء تماماً، ووافقا على تفقد بعض الغرف في الطابق الخامس. كان المدير قد أخبرهما أن تلك الغرف ستكون بالتأكيد الأقل ضجيجاً. قرّرت السيدة كوبرفيلد، التي كانت تخاف المصاعد، أن تصعد الدرج على قدميها وتنتظر أن يصل زوجها بالحقائب. حين وصلت إلى الطابق الخامس، فاجأها أن تجد أن القاعة الرئيسية فيها ما لا يقل عن مائة مقعد من مقاعد غرف الطعام ولا شيء خلاف ذلك. بينما نظرت حولها، تصاعد غضبها ولم يكن يمكنها إلا بصعوبة شديدة أن تنتظر وصول السيد كوبرفيلد في المصعد كي تجربه برأيها فيه. "عليّ أن أذهب إلى فندق واشنطن"، قالت لنفسها. وصل السيد كوبرفيلد أخيراً، يسير بجوار صبي يحمل الحقائب. جرت نحوه.

"هذا أقبح شيء رأيته في حياتي"، قالت.  
"انتظري لحظة، من فضلك، ودعيني أعد الحقائب؛ أود التأكد أن كلها هنا."

"بالنسبة لي، يمكنها أن تكون في قاع البحر - كلها."  
"أين آلتى الطابعة؟" سأل السيد كوبرفيلد.  
"تحدث معي فوراً"، قالت زوجته، وقد أخرجها الغضب عن طبيعتها.  
"هل تهتمين بأن يكون لك حمام خاص؟" سأل السيد كوبرفيلد.  
"لا، لا، لا أهتم بهذا. لا يتعلق الأمر بالراحة على الإطلاق.  
الأمر يتعدى هذا بكثير."

ضحك السيد كوبرفيلد. "أنت مجنونة،" قال لها ملاطفاً. كان مسروراً أن يكون في المنطقة الاستوائية أخيراً، وكان أكثر من مسرور من نفسه لأنه تمكن من إثناء زوجته عن التوقف في فندق غالي الثمن على نحو يثير السخرية حيث كان ليحيطهم السياح. أدرك أن الفندق خبيث، لكن كان هذا ما أحبه.

تبعاً فرّاش الفندق إلى إحدى الغرف، وما إن وصلا هناك حتى بدأت السيدة كوبرفيلد في دفع الباب إلى الخلف وإلى الأمام. كان يفتح في الاتجاهين ولا ينغلق إلا بخطف صغير.

"يمكن لأي أحد أن يقتحم هذه الغرفة،" قالت السيدة كوبرفيلد.

"أستطيع أن أقول إنه يمكنهم هذا، لكن لا أعتقد أن هذا محتمل جداً، ألا توافقين؟" حرص السيد كوبرفيلد على عدم طمأنة زوجته قط. لقد تعامل مع مخاوف زوجته بما تستحقه. ومع هذا، لم يصبر، واستقر رأيهما على غرفة أخرى، لها باب أكثر متانة.

اندهشت السيدة كوبرفيلد من حيوية زوجها. لقد اغتسل وخرج كي يشتري بابايا.

استلقت فوق الفراش تفكراً.

"الآن،" قالت لنفسها، "حين آمن الناس بالرب كانوا يحملونه من مكان إلى آخر. حملوه في الأدغال وعبر الدائرة القطبية. كان الرب يعتني

بالجميع، وكل الرجال كانوا إخوة. الآن لا يوجد ما تحمله معك من مكان إلى آخر، وعلى قدر ما يعني، ليكن هؤلاء الناس حيوانات كإنجارو حتى؛ لكن بطريقة ما يتعين أن يكون هنا شخص ما سيدكرني بشيء ما... عليّ أن أجد عشًا في هذا المكان العجيب.

كان هدف السيدة كوبرفيلد الوحيد في الحياة أن تكون سعيدة، رغم أن من لاحظ سلوكها من الناس على مدار سنوات كان ليدّش من اكتشاف أن هذا كل شيء.

نهضت من فراشها، وجذبت هدية الأنسة جويرنج، طقم مانيكير، من مقبضها. "الذاكرة"، همست. "ذكرى أشياء أحببتها منذ كنت طفلة. زوجي رجل بدون ذاكرة." شعرت بألم حاد من التفكير في هذا الرجل الذي راقها أكثر من بقية الناس، هذا الرجل الذي كان يعتبر كل شيء لم يعرفه بعد متعةً. بالنسبة لها، كل ما لم يكن حلمًا قديمًا بالفعل، كان أمرًا فظيعةً. عادت إلى فراشها وسقطت سريعًا في نوم عميق.

حين استيقظت، كان السيد كوبرفيلد يقف بالقرب من الطرف الآخر من السرير، ويأكل بابايا.

"عليك أن تجربها،" قال. "تعطيك الكثير من الطاقة بالإضافة إلى أنها لذيذة. هل تتناولين بعضها؟" نظر إليها بخجل.

"أين كنت؟" سألته.

"أوه، أتمشى عبر الشوارع. في حقيقة الأمر، مشيت لأميال. عليك أن تخرجي، حقًا. إنها بيت مجانين. الشوارع مليئة بالجنود والبحارة والعاهرات. النساء كلهن يرتدين ثيابًا طويلة... ثيابًا رخيصة بشكل لا يُصدّق. سيتحدث الجميع معك. هيا اخرجي."

كانا يمسيان عبر الشوارع متشابكي الأذرع. كانت جبهة السيدة كوبرفيلد تلتهب حرارة ويدها باردتين. شعرت بشيء ما يرتجف في معدتها. كلما نظرت أمامها كانت نهاية الشارع تنحني ثم تستقيم مرة أخرى. أخبرت السيد كوبرفيلد بذلك فأوضح لها أن هذا نتيجة لأنهم خرجوا منذ فترة قصيرة جدًا من السفينة. فوق رأسيهما كان الأطفال يتقافزون في الشرفات الخشبية، ويجعلون البيوت تهتز. اصطدم شخص ما بكتف السيدة كوبرفيلد وكادت أن تقع. في الوقت نفسه كانت واعية جدًا بالرائحة القوية العطرة لعبير زهور. كان الشخص الذي اصطدم بها زنجية ترتدي رداءً مسائيًا من الحرير وردي اللون.

"لا أستطيع أن أخبركم كم أنا آسفة. لا أستطيع أن أخبركم،" قالت لهما. ثم تلفتت حولها بغموض، وشرعت في الدندنة.

"قلت لك إنها بيت مجانين،" قال السيد كوبرفيلد لزوجته.

"اسمعي،" قالت الزنجية، "اذهبي إلى الشارع التالي وسيعجبكم هناك أكثر. عليّ أن أقابل صاحبي في ذلك البار." أشارت إليه. "إنه بار

جميل. يذهب الجميع إلى هناك،" قالت. اقتربت ووجهت حديثها إلى السيدة كوبرفيلد فقط. "تعال في رفقتي، يا عزيزتي، وستقضين أسعد وقت في حياتك. سأكون ما تهوين. هيا."

أخذت يد السيدة كوبرفيلد في يدها، وبدأت في جرها بعيداً عن السيد كوبرفيلد. كانت أضخم منهما.

"لا أعتقد أنها تريد الذهاب إلى بار الآن،" قال السيد كوبرفيلد. "نود أولاً أن نستكشف البلدة لبعض الوقت."

داعبت الزنجية وجه السيدة كوبرفيلد براحة يدها. "هل هذا ما تودين فعله يا عزيزتي، أم هل تودين أن تأتي معي؟" توقف رجل شرطة، ووقف على بعد عدة أقدام منهم. أطلقت الزنجية سراح يد السيدة كوبرفيلد، ووثبت عبر الشارع ضاحكةً.

"أليس هذا أغرب شيء رأيتَه على الإطلاق؟" قالت السيدة كوبرفيلد، مبهورة الأنفاس.

"من الأفضل أن تهتمي بشؤونك الخاصة،" قال رجل الشرطة. "لم لا تذهبين لتفقد المتاجر؟ الجميع يتمشى في الشوارع التي توجد فيها المتاجر. اشترى شيئاً من أجل عمك أو ابن عمك."

"لا، ليس هذا ما أريد أن أفعل،" قالت السيدة كوبرفيلد.

"حسناً، إذن، اذهبي لمشاهدة فيلم،" قال الشرطي بينما يسير

مبتعداً.

كان السيد كوبرفيلد يضحك بهستيرية، وقد وضع منديله فوق فمه. "هذه هي الأشياء التي أحبها،" تمكّن من القول. سارا مسافة أبعد، وانعظفا داخلين في شارع آخر. كانت الشمس تغرب والهواء راكداً وحاراً. في ذلك الشارع لم تكن هناك أي شرفات، فقط بيوت صغيرة من طابق واحد. أمام كل باب، كانت امرأة واحدة على الأقل جالسة. سارت السيدة كوبرفيلد إلى نافذة أحد البيوت ونظرت إلى الداخل. كانت الغرفة في الداخل ممتلئة تقريباً تماماً بسرير ضخّم عليه مرتبة غير مستوية فرش فوقها غطاء من الدانتيل. ألقى مصباح كهربائي تحت غطاء من شيفون أرجواني بضوء صارخ على السرير، وكان ثمة مروحة يد مدموغة بـ"بنما سيتي" مفتوحة فوق الوسادة.

كانت المرأة الجالسة أمام هذا البيت عجوزاً إلى حد ما. جلست فوق مقعد ومرفقاها يرتاحان فوق ركبتيها، وقد بدا للسيدة كوبرفيلد، التي التفتت الآن كي تنظر إليها، أنها كانت في الغالب من النوع الغرب هندي. كانت صغيرة الصدر وضامرة، بذراعين وكتفين عضلية تماماً. كان وجهها الذي بدا ساخطاً وجزء مع رقبتها قد غطيا بجرص بمسحوق لتفتيح لون البشرة، لكن صدرها وذراعيها ظلوا داكنين. استمتعت السيدة كوبرفيلد حين رأت أن فستانها مصنوع من قماش شفاف أرجواني له طابع مسرحي. كانت هناك خصل رمادية جذابة في شعرها.

التفتت الزنجية، وحين رأت أن كلاً من السيد والسيدة كوبرفيلد يراقبانها، نهضت وسوت طيات ثوبها. كانت عملاقة تقريباً.



"كلاكما مقابل دولار،" قالت.

"دولار،" رددت السيدة كوبرفيلد وراءها. اقترب السيد كوبرفيلد، الذي كان يقف بجوار حافة الرصيف، منهما.

"فريدا،" قال، "هيا نتمشى في بعض الشوارع الأخرى."

"أوه، أرجوك!" قالت السيدة كوبرفيلد. "انتظر دقيقة."

"دولار هو أفضل سعر يمكن أن أعطيه،" قالت الزنجية.

"إن أردت أن تبقي هنا،" اقترح السيد كوبرفيلد، "فسوف أتمشى قليلاً وأعود إليك بعد قليل. ربما من الأفضل أن يكون معك بعض النقود. ها هو دولار وخمسة وثلاثون سنتًا، تحسبًا للظروف..."

"أريد أن أتحدث معها،" قالت السيدة كوبرفيلد، وهي تنظر بثبات في الفضاء.

"سأراك إذن في خلال عدة دقائق. لا أستطيع الثبات في مكان،" أعلن، وسار مبتعدًا.

"أحب أن أكون حرة،" قالت السيدة كوبرفيلد للمرأة بعد أن انصرف. "هل ندخل إلى غرفتك الصغيرة؟ لقد أثارت إعجابي من خلال النافذة..."

قبل أن تنتهي من عبارتها، كانت المرأة تدفعها عبر الباب بكلتا يديها، وأصبحتا داخل الغرفة. لم تكن هناك أي سجادة على الأرض،

وكانت الحوائط عارية. الزينات الوحيدة كانت تلك المرئية من الشارع. جلستا فوق الفراش.

"كان عندي جرامافون صغير في ذلك الركن هناك،" قالت المرأة.  
"أقرضني إياه شخص ما أتى من سفينة. أتى صديقه واسترده."

"تي-تاتا-تي-تاتا،" قالت، ودقت بكعبها لعدة ثوان. أخذت بكلتا يدي السيدة كوبرفيلد في يديها وسحبتهما من الفراش. "هيا الآن، يا عسل." ضمت السيدة كوبرفيلد إليها. "أنت صغيرة الحجم جداً ولذيذة تماماً. أنت لذيذة فعلاً، وربما وحيدة." وضعت السيدة كوبرفيلد خدها فوق صدر المرأة. ذكّرتها رائحة الأرجوان المسرحية بدورها الأول في مسرحية مدرسية. ابتسمت للزنجية، وبدت رقيقة ولطيفة على قدر ما تستطيع.

"ماذا تفعلين في الأصيل؟" سألت المرأة. "ألعب الورق. أذهب لمشاهدة فيلم..."

ابتعدت السيدة كوبرفيلد عنها. خذاها كانا متوهجين. أنصتتا كلتاهما إلى المارين بالخارج. كان في إمكانهما الآن أن تسمعا كل كلمة تُقال خارج النافذة. كانت الزنجية مقطبة. على وجهها نظرة قلق عميق.

"الوقت من ذهب، يا عسل،" قالت للسيدة كوبرفيلد، "لكن ربما أنت أصغر سنًا من إدراك ذلك."

هزت السيدة كوبرفيلد رأسها. شعرت بالحزن، بينما تنظر إلى الزنجية. "أنا عطشانة،" قالت. فجأة سمعتا صوت رجل يقول:

"لم تتوقعي أن تريني أعود بهذه السرعة، يا بودي Podie؟" ثم ضحكت عدة فتيات بهستيرية. عادت عيون الزنجية إلى الحياة.

"أعطيني دولارًا واحدًا! أعطيني دولارًا واحدًا،" صرخت بهياج في السيدة كوبرفيلد. "لقد أنهيت وقتك هنا على أي حال." أعطتها السيدة كوبرفيلد دولارًا بسرعة، وهرعت الزنجية خارجة إلى الشارع. تبعتها السيدة كوبرفيلد.

أمام البيت كانت عدة فتيات يتعلقن برجل ثقيل البنية يرتدي حلة من الكتان غير مكوية. حين رأى زنجية السيدة كوبرفيلد في رداها الأرجواني، ترك الأخريات ووضع ذراعيه حولها. أجالت الزنجية نظرها في سعادة، وقادته إلى داخل البيت بدون حتى أن تهز رأسها لتوديع السيدة كوبرفيلد. بعدها بقليل أسرعت الأخريات عبر الشارع وثركت السيدة كوبرفيلد وحدها. مر بها الناس على جانبيها، لكن لم يثر أي منهم اهتمامها بعد. من ناحية أخرى، كانت هي ذاتها مصدر اهتمام كبير من الجميع، خصوصًا لهؤلاء النسوة الجالسات أمام أبوابهن. وسرعان ما دنت منها فتاة بشعر أجعد.

"اشتريني لي شيئًا، يا ماما،" قالت الفتاة.

ولأن السيدة كوبرفيلد لم ترد بل ببساطة أعطت الفتاة نظرة طويلة حزينة، فقد قالت الفتاة:

"ماما، يمكنك اختياره بنفسك. يمكنك حتى أن تشتري لي ريشة، لا أهتم." ارتجفت السيدة كوبرفيلد. فكرت أنها لا بد تحلم.

"ماذا تعنين، ريشة؟ ماذا تعنين؟"

تلوت الفتاة من الفرح.

"أوه، ماما،" قالت بصوت تكسر في حلقتها. "أوه، ماما، أنت خفيفة الدم! أنت خفيفة الدم. لا أعرف ما هي الريشة، لكن أي ما تريدن في قلبك، تعرفين قصدي."

سارتا عبر الشارع إلى المتجر وخرجتا بعلبة مسحوق تجميل صغيرة. ودعتها الفتاة، واختفت عند الناصية مع بعض الأصدقاء. مرة أخرى كانت السيدة كوبرفيلد وحدها. مرت سيارات الأجرة يملؤها السياح. "السياح، بشكل عام،" كتبت السيدة كوبرفيلد في يومياتها، "بشر مطبوع فيهم تماماً أهمية نمط حياتهم الخاص وعدم قابليته للتغير إلى حد أن بوسعهم السفر عبر أكثر الأماكن روعة بدون أن يجربوا أي شيء أكثر من رد فعل بصري. يجد السياح الأكثر قسوة أن كل مكان يشبه الآخر."

سرعان ما عاد السيد كوبرفيلد وانضم إليها. "هل قضيت وقتاً رائعاً؟" سألها.

هزت رأسها ورفعت عينيها نحوه. فجأة شعرت بالتعب إلى حد أنها بدأت في البكاء.

"أيتها الطفلة الباكية،" قال السيد كوبرفيلد.

أتى شخص من خلفهما. قال صوت منخفض: "هل ضلت الطريق؟" استدارا كي يريا فتاة ذكية الطالع بقسمات حادة وشعر مجعد تقف خلفهما مباشرة. "لم أكن لأتركها في الشوارع هنا إن كنت مكانك،" قالت.

"لم تضل الطريق؛ كانت مكتئبة فقط،" أوضح السيد كوبرفيلد.

"هل ستظنان أنني وقحة إن طلبت منكما أن نذهب إلى مطعم لطيف حيث يمكننا جميعاً أن نتناول العشاء؟" سألت الفتاة. كانت جميلة فعلاً.

"ها بنا،" قالت السيدة كوبرفيلد بحماس. "بكل تأكيد." كانت متحمسة الآن؛ داخلها شعور أن هذه الفتاة ستكون على ما يرام. مثل معظم الناس، لم تؤمن قط أن أمراً رهيباً من الممكن أن يتبع أمراً رهيباً آخر. لم يكن المطعم لطيفاً في الحقيقة. كان معتماً جداً ومستطيلاً جداً ولم يكن فيه أي أحد على الإطلاق.

"ألا تفضلين أن تأكلي في مكان آخر؟" سألت السيدة كوبرفيلد الفتاة.

"أوه، لا! لا أود أن أذهب أبداً إلى أي مكان آخر. سأخبرك إن لم تغضبي. يمكنني أن أحصل على القليل من النقود هنا حين آتي ببعض الناس."

"حسنًا، دعيني أعطيك المال وسنذهب إلى مكان آخر. سأعطيك ما يعطيك،" قالت السيدة كوبرفيلد.

"هذا سخيف،" قالت الفتاة. "هذا سخيف جدًا."

"سمعت أن هناك مكانًا في هذه المدينة يمكننا أن نطلب فيه استاكوزا رائعة. ألا نستطيع أن نذهب هناك؟" كانت السيدة كوبرفيلد تتضرع إلى الفتاة الآن.

"لا-هذا سخيف،" نادت نادلاً وصل توأ مع بعض الجرائد تحت ذراعه.

"أدالبرتو، أحضر لنا بعض اللحم وبعض النيذ. اللحم أولاً." قالت هذا بالإسبانية.

"كم تميدين التحدث بالإنجليزية!" قال السيد كوبرفيلد.

"أحب دائماً أن أكون مع أمريكيين حين أستطيع،" قالت الفتاة.

"هل تعتقدين أنهم كرماء؟" سألت السيدة كوبرفيلد.

"أوه، بالتأكيد،" قالت الفتاة. "بالتأكيد هم كرماء. هم كرماء حين يكون معهم المال. هم أكثر كرمًا حتى حين يكون معهم عائلاتهم. عرفت رجلاً مرة. كان رجلاً أمريكيًا. رجلاً حقيقياً، وكان يقيم في فندق واشنطن. تعرفان أن هذا أجمل فندق في العالم. في كل عصر كانت زوجته تنام القيلولة. كان يأتي سريعاً في تاكسي إلى كولون وكان متحمساً جدًا ومرعوباً من ألا يعود إلى زوجته في الوقت المناسب، إلى

حد أنه لم يكن يأخذني قط إلى غرفة، لهذا كان يذهب معي إلى متجر بدلاً من ذلك، وكان يقول لي: بسرعة، بسرعة - اختاري شيئاً - أي شيء تريدينه، لكن لتسرعني في اختيارك."

"هذا مرعب!" قالت السيدة كوبرفيلد.

"كان فظيماً،" قالت الفتاة الإسبانية. "كنت أجن تماماً حتى إنني في مرة جُننت فعلاً وقلت له: 'حسناً، سوف أشتري هذا الغليون لعمي.' لا أحب عمي، لكنني اضطررت لإعطائه الغليون."

قهقهت السيدة كوبرفيلد.

"الأمر مضحك، أليس كذلك؟" قالت الفتاة. "أقول لك إن عاد في أي وقت فلن أشتري غليوناً آخر لعمي حين يأخذني إلى المتجر. ليست قبيحة."

"من؟" سأل السيد كوبرفيلد.

"زوجتك."

"أبدو فظيعة الليلة،" قالت السيدة كوبرفيلد.

"على أي حال لا يهم لأنك متزوجة. ليس لديك ما تقلقين بشأنه."

"ستغضب جداً منك إن قلت لها هذا،" قال السيد كوبرفيلد.

"لم ستغضب؟ هذا أجمل شيء في العالم بأكمله، ألا يكون لديك أي داع للقلق."

"ليس هذا ما يتكون منه الجمال،" تدخلت السيدة كوبرفيلد. "ما علاقة غياب القلق بالجمال؟"

"إنه شديد الارتباط بما هو جميل في العالم. حين تستيقظين في الصباح والدقيقة الأولى التي تفتحين فيها عينيك ولا تعرفين من تكونين أو كيف كانت حياتك - هذا جميل. ثم حين تعرفين من أنت وأي يوم من أيام حياتك هذا، وما زلت تفكرين أنك تبحرين في الهواء مثل طائر سعيد - هذا جميل. بمعنى، حين لا يكون لديك أي سبب للقلق. لا تستطيعين إخباري أنك تحبين أن تقلقي."

تكلف السيد كوبرفيلد ابتسامة. بعد العشاء شعر فجأة أنه متعب جدًا واقترح أن يذهب إلى غرفتهما، غير أن السيدة كوبرفيلد كانت أكثر توترًا من أن تفعل ذلك، لهذا سألت الفتاة الإسبانية إن كانت توافق على قضاء المزيد من الوقت في صحبتها. قالت الفتاة إنها ستفعل إن لم تمنع السيدة كوبرفيلد في العودة معها إلى الفندق حيث تقيم.

ودعنا السيد كوبرفيلد وسارتا في طريقهما.

كانت حوائط فندق لاس بالماس خشبية ومطلية بلون أخضر براق. كانت توجد الكثير جدًا من أقفاص الطيور موضوعة في القاعات ومندلية من الأسقف. كان بعضها خاليًا. كانت غرفة الفتاة في الطابق الثاني ولها حوائط خشبية مطلية بلون براق مثل الممرات.



"هذه الطيور تغني طيلة اليوم"، قالت الفتاة، وهي تشير إلى السيدة كوبرفيلد بأن تجلس على الفراش بجوارها. "أحياناً أقول لنفسي: أيها الحمقى الصغار، عمّ تغنون في أقفاصكم؟ ثم أفكر: 'باسيفيكا، أنت على قدر حماقة تلك الطيور. أنت أيضاً في قفص لأنك مفلسة. ليلة أمس كنت تضحكين لثلاث ساعات مع رجل ألماني لأنه أعطاك بعض المشروبات. وفكرت أنه غبي.' أضحك في قفصي وهي تغني في أقفاصها."

"أوه حسناً،" قالت السيدة كوبرفيلد، "لا يوجد حقيقة أي صلة بيننا وبين الطيور."

"ألا تعتقدين أن هذا حقيقي؟" سألت باسيفيكا بمشاعر متقدة. "أقول لك إنه حقيقي."

سحبت فستانها عبر رأسها، ووقفت أمام السيدة كوبرفيلد مرتدية سروالها التحتي.

"أخبريني،" قالت، "ما رأيك في تلك الكيمونوات الحريرية الجميلة التي يبيعها الهندوس في متاجرهم. إن كنت مع زوج غني مثلك، كنت لأخبره بأن يشتري لي واحدة منها. لا تعرفين كم أنت محظوظة. كنت لأذهب معه إلى المتاجر كل يوم وأجعله يشتري لي أشياء جميلة بدلاً من الوقوف في الشارع والبكاء مثل طفلة صغيرة. لا يجب الرجال رؤية النساء ييكن. أتعقدن أنهم يحبون رؤية النساء ييكن؟"

هزت السيدة كوبرفيلد كتفيها. "لا أستطيع التفكير"، قالت.

"أنتِ على حق. يروقهم رؤية النساء يضحكن. على النساء أن يضحكن طوال الليل. راقبي أي فتاة جميلة في أي وقت. حين تضحك تكون أكبر بعشر سنوات. هذا لأنها تضحك أكثر من اللازم. تكبرين عشر سنوات حين تضحكين."

"صحيح"، قالت السيدة كوبرفيلد.

"لا تحزني"، قالت باسيفيكا، "تروق لي النساء كثيراً جداً. تروق لي النساء أحياناً أكثر من الرجال. أحب جدتي وأمي وأخواتي. نقضي دائماً وقتاً طيباً معاً، نساء عائلتي. كنا الأفضل دائماً. كنت الأذكى ومن قامت بأغلب الأعمال. الآن أتمنى لو كنت هناك في بيتي اللطيف، قاعة. لكن، تعرفين، ما زلت أريد أشياءً أكثر مما يجب. أنا كسولة، لكن عندي مزاج رهيب أيضاً. يروق لي من أقابل من الرجال كثيراً. أحياناً يخبروني بما سيفعلونه في حياتهم في المستقبل حين يغادرون القارب. أتمنى من أجلهم أن يحدث ذلك قريباً جداً. القوارب اللعينة. حين يقولون لي إنهم يودون فقط أن يدوروا حول العالم طوال حياتهم في سفينة أقول لهم: 'لا تعرف ما تفتقد. لقد انتهت منك، أيها الصبي.' لا يروقون لي حين يكونون كذلك. لكنني الآن واقعة في حب ذلك الرجل اللطيف وهو هنا في عمل. أغلب الوقت يستطيع أن يدفع الإيجار لي. ليس دائماً كل أسبوع. هو سعيد جداً بأن أكون معه. أغلب الرجال يسعدهم أن أكون معهم. لا

أغتر كثيراً بسبب ذلك. يأتي هذا من الرب،" رسمت باسيفيكا علامة الصليب.

"ذات مرة كنت واقعة في حب امرأة أكبر سنًا،" قالت السيدة كوبرفيلد بلهفة. "كانت قد فقدت جمالها، لكنني في وجهها وجدت شذرات من جمال كان أكثر إثارة بالنسبة لي من أي جمال عرفته في ذروته. لكن من لم يحب شخصًا أكبر سنًا؟ أيها الرب الطيب!"

"تروق لك أشياء غير ما يروق لبقية الناس، أليس كذلك؟ أود أن أمر بتجربة حب امرأة أكبر سنًا. أعتقد أن في هذا عذوبة، لكنني في الحقيقة أنا دائماً واقعة في حب رجل لطيف ما. هذا حظي السعيد، أعتقد. بعض الفتيات، لم يعد في استطاعتهم الوقوع في الحب. لا يفكرون إلا في المال، المال، المال. لا تفكرين كثيراً في المال، أليس كذلك؟" سألت باسيفيكا.

"لا، لا أفعل."

"لنرتح الآن قليلاً، ما رأيك؟" رقدت الفتاة فوق الفراش وأشارت إلى السيدة كوبرفيلد أن ترقد جوارها. تشاءبت، طوت يد السيدة كوبرفيلد بين يديها، وسقطت في النوم على الفور تقريباً. فكّرت السيدة كوبرفيلد أنه من الممكن أن تحصل على قليل من النوم هي الأخرى. في تلك اللحظة شعرت بكثير من السكينة.

أيقظتهما دقات رهيبة على الباب. فتحت السيدة كوبرفيلد عينيها وفي ثانية كانت فريسة لرعب غامر. نظرت إلى باسيفيكا، ولم يكن وجه صديقتها أكثر طمأنة من وجهها.

"Callate!" همست للسيدة كوبرفيلد عائدة إلى لغتها الأصلية.

"ما الأمر؟ ما الأمر؟" سألت السيدة كوبرفيلد بصوت قاسٍ. "لا أفهم الإسبانية."

"لا تقولي أي كلمة،" كرّرت باسيفيكا بالإنجليزية.

"لا أستطيع أن أستلقي هنا بدون أن أقول أي كلمة. أعرف أنني لا أستطيع. ما الأمر؟"

"رجل خمور. واقع في جيبي. أعرفه جيداً. يؤلمني كثيراً حين أنام معه. لقد أتى قاربه مرة أخرى."

أصبحت الدقات أكثر إلحاحاً، وسمعتا صوت الرجل يقول:

"أعرف أنك موجودة يا باسيفيكا، افتحي هذا الباب اللعين إذن."  
"أوه، افتحيه، يا باسيفيكا!" توسلت السيدة كوبرفيلد، قافزة خارج الفراش. "لا شيء يمكن أن يكون أسوأ من هذا الترقب." "لا تكوني مجنونة. ربما كان مخموراً بما يكفي وينصرف."

كانت عينا السيدة كوبرفيلد تلمعان. أصبحت هستيرية.

"لا، لا - لقد وعدت نفسي دائماً أنني سأفتح الباب إن حاول شخص ما اقتحامه. سيكون عدواً أقل وقتها. كلما ظل هناك في الخارج، زاد غضبه. أول ما سأقوله له حين أفتح الباب هو: 'نحن أصدقاؤك،' حينها ربما يصبح أقل غضباً."

"إن كنت ستجعليني أكثر جنوناً حتى مما أنا عليه، فلا أدري ما أفعل،" قالت باسيفيكا. "الآن لنتظر هنا فقط، ونرى إن كان سينصرف. ربما نُحرِّك هذا المكتب خلف الباب. هل تساعديني على تحريكه ووضعه خلف الباب؟"

"لا أستطيع دفع أي شيء!" كانت السيدة كوبرفيلد ضعيفة جداً إلى درجة أنها انزلقت على طول الحائط إلى الأرضية.

"هل عليّ أن أكسر هذا الباب اللعين؟" كان الرجل يقول.

نهضت السيدة كوبرفيلد على قدميها، ترنحت حتى الباب، وفتحته.

كان الرجل الذي دخل الغرفة نحيف الوجه حاد القسماط وطويلاً جداً. كان من الواضح أنه شرب الكثير.

"مرحباً، ماير،" قالت باسيفيكا. "ألا يمكنك أن تدعني أحصل على بعض النوم؟" ترددت لدقيقة، ولأنه لم يرد عليها فقد قالت مرة أخرى: "كنت أحاول أن أحصل على بعض النوم."

"كنت غارقة في النوم،" قالت السيدة كوبرفيلد. كان صوتها مرتفعاً عن المعتاد ووجهها لامعاً جداً. "أسفة أننا لم نسمعك على الفور. لا بد أننا جعلناك تنتظر لمدة طويلة."

"لم يجعلني أحد أنتظر مدة طويلة قط،" قال ماير، بينما يزداد وجهه احمراراً. كانت عينا باسيفيكا تضيقان. كانت توشك على أن تفقد هدوءها.

"أخرج من غرفتي،" قالت لماير.

رداً على هذا، سقط ماير فوق الفراش، وكان أثر جسده كبيراً جداً حتى إنه كاد أن يكسر خشبه.

"لنخرج من هنا بسرعة،" قالت السيدة كوبرفيلد لباسيفيكا. لم تعد قادرة على إظهار أي ائزان. للحظة أملت أن ينفجر العدو باكياً فجأة كما يفعل الأعداء أحياناً في الأحلام، لكنها كانت مقتنعة الآن أن هذا لن يحدث. كان حنق باسيفيكا يتصاعد.

"أنصت لي يا ماير،" كانت تقول. "عد إلى الشارع على الفور. لأنني لن أفعل أي شيء معك سوى ضربك على أنفك إن لم تنصرف. إن لم تكن على طبيعتك المشتعلة هذه كان من الممكن أن نجلس في الطابق السفلي معاً ونشرب كأساً من الرّم. عندي مئات الأصدقاء من الرجال ممن يروقهم مجرد أن يتحدثوا معي ويشربوا معي حتى يسكروا تماماً. لكنك تحاول دائماً أن تضايقي. أنت مثل قرد. أريد أن أكون مطمئنة البال."

"من بحق الجحيم يهتم بيتك!" خار ماير فيها. "في وسعي أن أضع بيوتكن كلها في صف معًا وأطلق عليها النار كأنها بط. القارب أفضل من بيت في أي يوم! في أي وقت! في مطر أو في شمس ساطعة! أو في نهاية العالم!"

"لا يتحدث أي أحد عن البيوت سواك،" قالت باسيفيكا، بينما تحبب الأرض بقدمها، "ثم إنني لا أريد أن أستمع إلى كلامك الأحمق."

"لماذا تغلقين الباب، إذن، إن لم تكن تعيشن في هذا البيت كما لو كنتم دوقات يشربن الشاي معًا، ويصلين ألا يرسو أي منا على شاطئ مرة أخرى أبدًا. كنت خائفة أن أفسد الأثاث، وأسكب شيئًا ما على الأرض. كان لأمي بيت، لكنني كنت أنام دائمًا في البيت المجاور لبيتها. هذا هو مقدار ما أهتم بالبيوت!"

"نُسيء الفهم،" قالت السيدة كويرفيلد بصوت مرتعش. أرادت بشدة أن تذكره بلطف أن هذا لم يكن بيتًا بل غرفة في فندق. لكنها لم تشعر فقط بالخوف من إبداء هذه الملاحظة، بل بالحجل أيضًا.

"يا يسوع المسيح! أنا مشمئزة،" قالت باسيفيكا للسيدة كويرفيلد بدون أن تهتم حتى بخفض صوتها.

لم يبدو أن ماير سمع هذا، غير أنه مال على طرف السرير بابتسامة على وجهه ومد ذراعًا باتجاه باسيفيكا. تمكّن من القبض على طرف سروالها الداخلي وشدها ناحيته.

"لن يحدث هذا ما دمت حية!" صرخت باسيفيكا فيه، لكنه كان قد لف ذراعيه بالفعل حول خصرها، وكان يجثو فوق الفراش، ويشدها إليه.

"يا ربة البيت،" قال، ضاحكاً، "أراهن أنني إن أخذتك إلى عرض البحر فسوف تتقيئين. سوف تُحدثين فوضى في القارب. الآن استلقي هنا وتوقفي عن الكلام."

نظرت باسيفيكا إلى السيدة كوبرفيلد للحظة على نحو ينذر بالشؤم. "حسناً إذن،" قالت، "أعطني أولاً المال، لأنني لا أثق فيك. سأنام معك فقط مقابل إيجاري."

وجه لها ضربة رهيبة على فمها وجرح شفتها. بدأ الدم في النزف على ذقنها.

هرعت السيدة كوبرفيلد خارجة من الغرفة. "سوف أطلب مساعدة، يا باسيفيكا،" صاحت بأعلى صوتها. جرت إلى الطرف الآخر من الردهة وهبطت الدرج، على أمل أن تجد أي أحد يمكنها أن تبلغه بمحنة باسيفيكا، لكنها عرفت أنها لن يكون لديها الشجاعة كي تقترب من أي رجل. في الطابق الأرضي نحت امرأة متوسطة العمر تنسج في غرفتها والباب مُوارب، هرعت السيدة كوبرفيلد داخله إليها.

"هل تعرفين باسيفيكا؟" هشت.



"بكل تأكيد أعرف باسيفيكا،" قالت المرأة. تحدثت مثل امرأة إنجليزية عاشت لسنوات طويلة بين أمريكيين. "أعرف كل من يقيم هنا لأكثر من ليلتين. أنا مالكة هذا الفندق."

"حسناً إذن، تصرفي بسرعة. السيد ماير هناك وهو مخمور جداً."

"لا أفعل أي شيء مع ماير حين يكون مخموراً." صممت المرأة للحظة، وأثار خاطر أن تفعل شيئاً ما مع ماير حسها الفكاهي فضحكت ضحكات مكتومة. "فقط تخيلي الأمر،" قالت، "السيد ماير، هل تتلطف بمغادرة الغرفة؟ لقد ملت باسيفيكا منك. هاهاها- ملت باسيفيكا منك' فلتجلسي، أيتها السيدة، ولتهدي. يوجد بعض الچن في تلك القنينة البلورية هنالك بجوار الأفوكادو. هل ترغبين في شرب البعض منه؟"

"أنا غير معتادة على العنف،" قالت السيدة كوبرفيلد. صبت بعض الچن لنفسها، وكررت أنها لم تكن معتادة على العنف. "أشك أنني سأتجاوز هذه الليلة أبداً. عناد ذلك الرجل. كان مثل مخبول."

"ماير ليس مخبولاً،" قالت المالكة. "بعضهم أسوأ بكثير. أخبرني أنه مغرم جداً بباسيفيكا. كنت دائماً مهذبة معه ولم يتسبب في أي مشاكل لي."

سمعا صرخات من الطابق الأعلى. ميزت السيدة كوبرفيلد صوت باسيفيكا.

"أوه، أرجوك، لنستدع الشرطة،" توسلت السيدة كوبرفيلد.

"هل أنت مجنونة؟" قالت المرأة. "لا تريد باسيفيكا أن تتورط مع الشرطة. تُفضّل أن تُقطع كلتا ساقيهما. بوسعي أن أؤكد لك أن هذا صحيح."

"حسنًا إذن، فلنصعد إلى هناك،" قالت السيدة كوبرفيلد. "أنا مستعدة لفعل أي شيء."

"ظليّ جالسة، يا سيدة - ما اسمك؟ اسمي السيدة كويل."  
"أنا السيدة كوبرفيلد."

"حسنًا، أنظري، سيدة كوبرفيلد، بوسع باسيفيكا أن تعتنى بنفسها أفضل مما يمكن أن نعتنى نحن بها. كلما قل عدد من يتورط في شيء، كان أفضل للجميع. هذا قانون عندي هنا في الفندق."

"حسنًا،" قالت السيدة كوبرفيلد، "لكن قد تُقتل في هذه الأثناء."

"لا يُقتل الناس بهذه السهولة. يفعلون الكثير من الضرب لكن ليس الكثير من القتل. حدثت عدة حوادث قتل عندي هنا، لكن ليس الكثير. لقد اكتشفت أن معظم الأشياء تنتهي نهاية حسنة. بالطبع بعضها تنتهي نهاية سيئة."

"أتمنى لو كان بوسعي أن أشعر بالاسترخاء مثلك بشأن كل شيء. لا أفهم كيف يمكنك الجلوس هنا، ولا أفهم كيف يمكن لباسيفيكا أن تمر بأشياء مثل هذه بدون أن ينتهي بها الحال في مستشفى للمجانين."

"حسنًا، لديها الكثير من الخبرة مع هؤلاء الرجال. لا أعتقد أنها مرعوبة فعلاً. إنها أكثر صلابة منا. هي متضايقة فقط. يروقها أن يكون في وسعها أن تكون غرفتها لها وحدها، وأن تفعل ما يحلو لها. أعتقد أنه أحياناً لا تعرف النساء ما يُردن. هل تعتقدين أنه قد يكون لديها توك صغير إلى ماير؟"

"كيف يمكنها ذلك؟ لا أفهم ما تقصدين."

"حسنًا الآن، ذلك الفتى الذي تقول إنها تحبه؛ الآن، لا أعتقد أنها تحبه على الإطلاق. كان لها واحد بعد الآخر على هذه الشاكلة. جميعهم أغبياء لطفاء. يعبدون الأرض التي تمشي عليها. أعتقد أنها تشعر بالغيرة الشديدة والقلق حين يكون ماير بعيداً إلى درجة أنها تهوى أن تتظاهر أمام نفسها بأنها يروق لها هؤلاء الرجال الصغار أكثر. حين يعود ماير تعتقد بالفعل أنها غاضبة منه بسبب تدخله. ربما أنا على صواب أو ربما على خطأ، لكنني أعتقد أن الأمر يقترب من هذا."

"أعتقد أن هذا مستحيل. لم تكن لتدعه يؤذيها، إذن، قبل أن تذهب إلى الفراش معه."

"بالتأكيد ستفعل،" قالت السيدة كويل، "لكنني لا أعرف أي شيء عن مثل هذه الأمور. باسيفيكا فتاة لطيفة رغم هذا. تأتي من عائلة لطيفة أيضاً."

شربت السيدة كوبرفيلد الجبن واستمتعت به.

"ستنزّل إلى هنا قريبًا كي نتحدّث"، قالت السيدة كويل. "الجو معتدل هنا والكل يُمتّع نفسه. يتحدّثن، ويشربن، ويمارسن الحب؛ يذهبن في نزّهات خلوية؛ يذهبن إلى السينما؛ يرقصن؛ أحيانًا طوال الليل... لا يمكن أن أكون وحيدة هنا إلا إن أردت هذا... يمكنني دائمًا أن أذهب وأرقص معهن إن شعرت برغبة في ذلك. لدي رجل يأخذني إلى أماكن الرقص حينما أريد أن أذهب، ويمكنني دائمًا أن أنضم إلى الجمع. أحب الحياة هنا. ما كنت لأعود إلى موطني ولا مقابل شحنة من القروود. الجو حار هنا أحيانًا، لكنه معتدل في الغالب، ولا أحد في عجلة من أمره. لا يثير الجنس اهتمامي وأنا مثل طفلة. لا تزعجني أحلام إلا إن أكلت شيئًا يثقل على معدتي. عليك أن تدفعي ثمنًا إن دلت نفسك. عندي توك رائع إلى الاستاكوزا المطهّوة بطريقة نيوبرج. أعرف تمامًا ما أفعله حين أتناولها. أذهب إلى مطعم بل جراي لنقل مرة كل شهر مع ذلك الرجل."

"استمري"، قالت السيدة كوبرفيلد التي كانت مستمتعة بالحديث.

"حسنًا، نطلب استاكوزا بطريقة نيوبرج. أقول لك هي ألذ شيء في العالم..."

"ما رأيك في أرجل الضفادع؟" سألت السيدة كوبرفيلد. "أفضّل الاستاكوزا بطريقة نيوبرج."

"تبدين سعيدة إلى حد أنني أشعر أنني سوف أعشش هنا، في هذا الفندق. كيف ستجدين هذا؟"

"افعلي ما تودين فعله بحياتك الخاصة. هذا هو شعاري. ما المدة التي تودين الإقامة فيها هنا؟"

"أوه، لا أعرف"، قالت السيدة كوبرفيلد. "هل تعتقدين أنني سأستمتع هنا؟"

"أوه، لا نهاية للمتعة"، قالت المالكة. "رقص، شرب... كل ما هو مبهج في هذا العالم. لا تحتاجين إلى الكثير من النقود. يأتي الرجال من السفن بجيوبهم منتفخة. أقول لك إن هذا المكان هو بلدة الرب ذاته، أو ربما بلدة الشيطان." ضحكت بمودة.

"لا نهاية للمتعة"، كرّرت. نهضت من مقعدها ببعض الصعوبة، وذهبت إلى فونوجراف له شكل صندوق كان في ركن من أركان الغرفة. بعد أن ملأته وضعت أغنية رعاة بقر.

"يمكنك دائماً أن تستمعي إلى هذا"، قالت للسيدة كوبرفيلد، "وقتما يرغب قلبك الصغير. هذه هي الإبر والأسطوانات وكل ما عليك فعله هو ملؤه. حين لا أكون هنا، يمكنك الجلوس على هذا الكرسي الهزاز والاستماع. عندي مشاهير يغنون في تلك الأسطوانات مثل صوفي تاكر وآل جولسون من الولايات المتحدة، وأقول إن الموسيقى هي نبض الأذن."

"كما أعتقد أن القراءة ستكون ممتعة جداً في هذه الغرفة — في الوقت نفسه الذي يستمع فيه الواحد إلى الجرامافون"، قالت السيدة كوبرفيلد.

"القراءة - يمكنك عمل كل القراءة التي تريدينها."

جلستا لبعض الوقت تستمعان إلى الأسطوانات وتشربان القهوة.  
بعد ساعة أو نحو ذلك، رأت السيدة كويل باسيفيكا آتية من نهاية  
الردهة. "الآن،" قالت للسيدة كوبرفيلد، "ها هي صديقتك."

كانت باسيفيكا ترتدي ثوباً حريراً قصيراً وشبابش بيتية. كانت  
قد جمّلت وجهها بحرص شديد، وعطرت نفسها.

"انظرا ما أحضر لي ماير،" قالت، وهي تتجه ناحيتهما وتريهما  
ساعة يد كبيرة جداً لها عقارب مشعة. بدت في مزاج لطيف جداً.

"كنتما تتحدثان هنا مع إحدكما الأخرى،" قالت، مبتسمة لهما  
بطيبة. "الآن ماذا لو خرجنا ثلاثتنا وتمشيينا في الشارع وشربنا بعض البيرة  
أو أيًا ما نريد."

"سيكون هذا لطيفاً،" قالت السيدة كوبرفيلد. كانت قد بدأت  
تقلق قليلاً على السيد كوبرفيلد. كان يكره أن تحتفي على هذا النحو  
لمدة طويلة لأن غيابها يُسبب له بعض المشاعر غير المتوازنة ويعوق نومه.  
وعدت نفسها أن تمر بالغرفة، وتُعلمه بأنها ما زالت في الخارج، لكن  
مجرد فكرة أن تقترب من الفندق جعلتها ترتعد.

"أسرعن، يا فتيات،" قالت باسيفيكا.

عُدن إلى المطعم الهادئ الذي أخذت باسيفيكا السيد والسيدة  
كوبرفيلد إليه للعشاء. في مقابله كانت حانة كبيرة جداً مضاءة. كانت

هناك فرقة من عشرة عازفين تلعب هناك، وكانت الحانة مزدحمة إلى درجة أن الناس كانوا يرقصون في الشوارع.

قالت السيدة كويل: "أوه، باسيفيكا! ها هو المكان الذي بوسعك أن تقضي فيه أفضل أوقات حياتك الليلة. انظري كم يستمتعون."

"لا، سيدة كويل،" قالت باسيفيكا. "سنكون على ما يرام هنا. الأضواء ليست ساطعة جدًا والمكان أكثر هدوءًا، وبعدها سنذهب إلى الفراش."

"نعم،" قالت السيدة كويل، بينما يتجههم وجهها. فكّرت السيدة كوبرفيلد أنها رأت في عيني السيدة كويل نظرة ألم وإحباط.

"سأذهب إلى هناك ليلة الغد،" قالت السيدة كويل بوداعة. "لا يعني الأمر شيئًا. كل ليلة لديهم هذه الحفلات الراقصة. هذا لأن القوارب لا تكف عن الانجاء، والفتيات لا يتعبن أيضًا،" قالت للسيدة كوبرفيلد. "هذا لأنهن ينمن كل ما يردن في أثناء النهار. بوسعهن النوم جيدًا في أثناء النهار كما يفعلن في أثناء الليل. لا يتعبن. ولم يتعبن؟ لا يتعبك أن ترقصي. الموسيقى تملكك."

"لا تكوني حمقاء،" قالت باسيفيكا. "هن دائمًا متعبات."

"حسنًا، أيهما؟" سألت السيدة كوبرفيلد.

"أوه،" قالت السيدة كويل، "باسيفيكا تنظر دائمًا إلى الجانب الأكثر إظلامًا في الحياة. هي الأكثر كآبة بين من عرفت."

"لا أنظر إلى الجانب المظلم، أنظر إلى الحقيقة. أنت حمقاء قليلاً  
أحياناً، يا سيدة كويل."

"لا تتحدثي معي هكذا وأنت تعرفين كم أحبك"، قالت السيدة  
كويل، وقد بدأت شفتاها في الارتعاش.

"أنا أسفة، سيدة كويل"، قالت باسيفيكا بوقار.

"ثمة شيء جدير جداً بالحب في باسيفيكا،" فكرت السيدة  
كوبرفيلد في نفسها. "أعتقد أنها تأخذ كل أحد بمجدية شديدة."

أخذت بيد باسيفيكا في يدها.

"خلال دقيقة سيكون لدينا شيء لطيف نشربه"، قالت، وهي  
تبتسم لباسيفيكا. "ألست مسرورة؟"

"نعم، سيكون لطيفاً أن نشرب شيئاً"، قالت باسيفيكا بتهذب؛  
لكن السيدة كويل فهمت المرح في كلامها. فركت يديها معاً وقالت: "أنا  
معكما."

نظرت السيدة كوبرفيلد إلى الشارع في الخارج ورأت ماير يمر. كان  
مع شقراوين وبعض البحارة.

"ها هو ماير"، قالت. نظرت المرأتان الأخريان عبر الشارع،  
وراقبته ثلاثهن يغيب.



ذهب السيد والسيدة كوبرفيلد إلى بنما سيتي ليومين. في اليوم الأول بعد الغداء اقترح السيد كوبرفيلد أن يتمشيا نحو أطراف المدينة. كان هذا أول ما يفعله دائماً حين يصل إلى مكان جديد. كانت السيدة كوبرفيلد تكره معرفة ما حولها، لأنه دائماً ما يتضح أنه أكثر غرابة حتى مما تخشى.

تمشياً لفترة طويلة. بدأت الشوارع تشبه أحدها الآخر. عند إحدى النواصي، أخذاً طريقاً صاعداً بتدرج، وعند أخرى هبطاً بغتة إلى البقاع الطينية بالقرب من البحر. كانت البيوت الحجرية عديمة اللون تماماً في الشمس الملتهبة. كانت كل النوافذ محترقة تماماً؛ وكان هناك أثر قليل للحياة في أي مكان. بلغا ثلاثة أولاد عراة يتنازعون حول كرة، وانعطفوا هابطين في اتجاه البحر. أقبلت امرأة ترتدي حريراً أسود في اتجاههما ببطء. حين تجاوزها استدارت وحملت فيهما بدون حياء. التفتا عدة مرات وكان ما زال في إمكانهما رؤيتها تقف هناك تراقبهما.

كان الموج عالياً. شقا طريقهما بموازاة الشاطئ الموحد. خلفهما كان فندق حجري ضخمة مُشيد أمام جرف منخفض، لهذا كان في الظل بالفعل. كانت البيوت الطينية والماء ما زالوا معرضين للشمس. واصلاً السير حتى وجد السيد كوبرفيلد صخرة ضخمة مستوية السطح كي يجلسا عليها.

"الجو جميل جداً هنا،" قال.

اندفعت كابوريا وهي تميل إلى جانب في الوحل تحت أقدامهما.

"أوه، انظري!" قال السيد كوبرفيلد. "ألا تحبينها؟"

"نعم، أحبها بالفعل"، ردت، لكنها لم تستطع كبت شعور متصاعد بالخوف بينما تتلفت حولها ناظرةً إلى المشهد. كان أحد ما قد طلى الكلمات *Cerveza—Beer* بحروف خضراء على واجهة الفندق.

شمّر السيد كوبرفيلد بنظونه وسأل إن كانت تود أن تذهب حافية إلى حافة الماء معه.

"أعتقد أنني تقدمت بما يكفي"، قالت.

"هل أنت متعبة؟" سأها.

"أوه، لا. لست متعبة." كان ثمة تعبير ألم قوي على وجهها بينما تجيبه فسأها ما المشكلة.

"أنا تعيسة"، قالت.

"مرة أخرى؟" سأل السيد كوبرفيلد. "ما السبب الآن لأن تكوني تعيسة؟"

"أشعر أنني تائهة تماماً وبعيدة جداً ومرعوبة بشدة."

"ما المرعب في هذا؟"

"لا أعرف. كل شيء غريب جداً ولا صلة له بأي شيء."

"إنه متصل بينما،" لاحظ السيد كوبرفيلد بحدة ممرورة. "ألن تفهمي ذلك أبداً؟" صمت. "لا أعتقد أنني سأحاول أن أجعلك تفهمين

بعد الآن... لكنني سأسير إلى طرف الماء. تفسدين كل متعة لي. لا يوجد أي شيء على الإطلاق يمكن أن يفعله معك أي شخص." كان متجهماً.

"نعم، أعرف. أعني اذهب إلى حد الماء. أعتقد أنني متعبة بالفعل."

راقبته يتخيّر طريقه بين الأحجار الضئيلة، ذراعاه مفرودتان من أجل التوازن مثل ذراعي من يمشي على حبل، وتمنت أن تكون قادرة على الانضمام إليه لأنها كانت مغرمة به كثيراً. بدأت في الشعور بالقليل من الخفة. كانت هناك ريح قوية، وكانت سفن شراعية رائعة تمر بسرعة كبيرة على مسافة ليست بعيدة عن الشاطئ. ألقّت برأسها إلى الوراء وأغمضت عينيها، آملة ربما أن تصبح خفيفة بما يكفي لأن تجري وتنضم إلى زوجها. غير أن الريح لم تهب بما يكفي من القوة، ووراء عينيها المغمضتين رأت باسيفيكا والسيدة كويل تقفان أمام فندق لاس بالماس. كانت قد ودعهما من العربة قديمة الطراز التي استأجرتها كي تأخذها إلى الحطة. فضّل السيد كوبرفيلد أن يمشي، وكانت وحدها مع صديقتها. كانت باسيفيكا ترتدي الكيمونو الستان الذي اشترته لها السيدة كوبرفيلد، وفردتي شبشب منزلي مزيتين بالورود. كانت قد وقفت بالقرب من جدار الفندق تنظر بعينين نصف مغمضتين، وتشتكي من التواجد في الشارع مرتدية كيمونو فقط، لكن السيدة كوبرفيلد لم يكن لديها سوى دقيقة تودعهما فيها ولم تكن لتنزل من العربة.

"باسيفيكا وسيدة كويل،" كانت قد قالت لهما، وهي تميل إلى خارج العربة المكشوفة، "ليس بوسعكما معرفة كم أكره مغادرتكما ليومين فقط حتى. بأمانة لا أعرف كيف سأحتمل هذا."

"اسمعي، يا كوبرفيلد،" ردت السيدة كويل، "اذهبي واستمتعي بأفضل أوقات حياتك في بنما. لا تفكري فينا لدقيقة واحدة. هل تسمعيني؟ أوه، يا إلهي، إن كنت صغيرة بما يكفي للذهاب إلى بنما سيتي مع زوجي، فسيكون التعبير على وجهي مختلفاً عما على وجهك الآن."

"لا يعني شيئاً أن تذهبي إلى بنما سيتي مع زوجك،" أصرت باسيفيكا بحزم. "هذا لا يعني أنها سعيدة. كل واحد يروق له أن يفعل أموراً مختلفة عن الآخرين. ربما تفضل كوبرفيلد أن تذهب لصيد السمك أو أن تشتري فساتين." حينها ابتسمت بامتنان لباسيفيكا.

"حسناً،" ردت السيدة كويل بوهن إلى حد ما، "أنا متأكدة أنك ستكونين سعيدة، يا باسيفيكا، إن كنت ذاهبة إلى بنما سيتي مع زوجك... المكان جميل جداً هناك."

"على أي حال، لقد ذهبتُ إلى باريس،" ردت باسيفيكا.

"حسناً، عداني أن تكونا هنا حين أعود،" تضرعت إليهما السيدة كوبرفيلد. "أنا مرعوبة جداً من أنكما قد تختفيان فجأة."

"لا تختلقي مثل هذه القصص لنفسك، يا عزيزتي؛ الحياة صعبة بما يكفي. إلى أين سنذهب؟" قالت باسيفيكا لها، وهي تتشاب وتجه إلى الداخل. ثم أرسلت قبلة إلى السيدة كوبرفيلد من العتبة ولوحت بيدها.

"أي متعة، أن أكون معهما،" قالت، بصوت مسموع، فاتحة عينيها. "إنهما مصدر طمأنينة كبيرة."

كان السيد كوبرفيلد في طريقه عائداً إلى الصخرة مستوية السطح حيث كانت تجلس. كان معه في يده حجر له ملمس وتكوين غريبان. كان يتسم بينما يقترب منها.

"انظري،" قال، "أليس هذا حجراً مسلياً؟ إنه جميل حقاً. فكّرت أنك قد تودين رؤيته، لهذا أحضرته لك." فحصت السيدة كوبرفيلد الحجر وقالت: "أوه، إنه جميل وغريب جداً. شكراً جزيلاً." نظرت إليه وهو في راحة يدها. بينما تفحصه ضغط السيد كوبرفيلد على كتفها وقال: "انظري إلى هذه السفينة البخارية تشق طريقها وسط الماء. هل ترينها؟" لوى عنقها قليلاً كي يكون بوسعها النظر في الاتجاه الصحيح.

"نعم، أراها. إنها رائعة أيضاً... أعتقد أنه من الأفضل لنا أن نسير عائدين. سوف يحل الظلام قريباً."

غادرا الشاطئ وشرعا في المشي عبر الشوارع مرة أخرى. كان الظلام يهبط، لكن كان هناك المزيد من الناس واقفين في الشوارع الآن. وقد علقوا بدون موارد على السيد والسيدة كوبرفيلد بينما يرون بهما.

"لقد كان هذا أكثر الأيام روعة حقاً،" قال السيد كوبرفيلد. "من المؤكد أنك استمتعت ببعضه، لأننا رأينا بعض الأشياء الاستثنائية." ضغطت السيدة كوبرفيلد على يده بقوة متزايدة.

"ليس لدي أقدام مجنحة مثلك،" قالت له. "فلتسامحني. لا أستطيع الحركة على القدر نفسه من اليسر. في الثالثة والثلاثين عندي عادات معينة." "هذا سيء،" رد. "بطبيعة الحال عندي أنا أيضاً عادات معينة — عادات للأكل، عادات للنوم، عادات للعمل — لكن لا أعتقد أن هذا ما قصدت، أليس كذلك؟"

"دعنا لا نتكلم عن هذا. ليس هذا ما قصدت، لا."

في اليوم التالي قال السيد كوبرفيلد إنهما سيخرجان لرؤية جزء من الأدغال. قالت السيدة كوبرفيلد إنه ليس معهما التجهيزات المناسبة، وشرح لها أنه لم يقصد أنهما سيذهبان للاستكشاف في أعماق الأدغال لكن فقط حول أطرافها حيث توجد طرق.

"لا تدعي كلمة 'أدغال' ترعبك،" قال. "على أي حال الكلمة تعني فقط غابة استوائية."

"إذا لم أشعر برغبة في الدخول فلن أفعل. لا يهم. الليلة سنعود إلى كولون، أليس كذلك؟"

"حسنًا، ربما نكون متعبين جدًا ويكون علينا أن نقضي ليلة أخرى هنا."  
"لكنني أخبرت باسيفيكا والسيدة كويل أننا سنعود الليلة.  
ستشعران بالإحباط إن لم نفعل."

"لا تضعيهما في اعتبارك فعلاً، هل تفعلين؟ على أي حال، يا  
فريدا! على أي حال، لا أعتقد أنهما ستكترثان. سوف تفهمان."

"أوه، لا، لن تفعلنا،" ردت السيدة كوبرفيلد. "ستشعران بخيبة الأمل.  
أخبرتني أنني سأكون قد عدت قبل منتصف الليل وأنا سنخرج ونحتفل. أنا  
متأكدة أن السيدة كويل ستشعر بخيبة أمل شديدة. تحب أن تحتفل."

"من هي السيدة كويل بحق السماء؟"

"السيدة كويل... السيدة كويل وباسيفيكا."

"نعم، أعرف، لكن هذا سخيف جدًا. يبدو لي أنك لا يجب أن  
تهتمي برؤيتهما لأكثر من أمسية واحدة. كنت لأعتقد أنه سيكون من  
السهل معرفة طبيعتهما في وقت قصير جدًا."

"أوه، أعرف طبيعتهما، لكنني أستمع كثيرًا معهما." لم يرد السيد  
كوبرفيلد.

خرجا وتمشيا في الشوارع حتى وصلا إلى مكان توجد فيه بعض  
الباصات. سألًا عن المواعيد، واستقلا باصًا يُدعى شيرلي تمبل. على  
الأبواب من الداخل كانت هناك صور مرسومة لميكي ماوس. ألصق

السائق بطاقات بريدية للقديسين والعذراء المقدسة على الزجاج الأمامي فوق رأسه. كان يشرب كوكا كولا حين دلفا إلى داخل الباص.

"*En que barco vinieron?*" سأل السائق.

"*Venimos de Colon,*" قال السيد كوبرفيلد.

"ماذا كان هذا؟" سأله السيدة كوبرفيلد.

"فقط في أي قارب أتينا، وأجبت بأننا وصلنا توأ من كولون. أغلب الناس خرجوا توأ من قارب ما. يقابل هذا سؤال الناس أين يعيشون، في أماكن أخرى."

"*J'adore Colon, c'est tellement.*" بدأت السيدة

كوبرفيلد. بدا السيد كوبرفيلد محرجاً. "لا تحدّثه بالفرنسية. هذا لا معنى له. حدّثه بالإنجليزية."

"أنا أعشق كولون."

قطب السائق وجهه. "مدينة خشبية قذرة. أنا متأكد أنك ارتكبت خطأ كبيراً. سترين. سوف تحبين بنما سيتي أكثر. متاجر أكثر، مستشفيات أكثر، سينمات رائعة، مطاعم كبيرة نظيفة، بيوت رائعة من الحجر؛ بنما سيتي مكان كبير. حين نمر عبر أنكون Ancon سوف أريك لطف المروج والأشجار والأرصفة. لا يمكنك أن تريني أي شيء مثل هذا في كولون. أتعرفين من يجب كولون؟" مال كثيراً وراء ظهر مقعده، وبما أنهما كانا يجلسان خلفه فقد كان يتنفس مباشرة في وجهيهما.



"تعرف من يجب كولون؟" غمز إلى السيد كوبرفيلد. "هن في كل بقعة من الشوارع. هذا هو الحال هناك؛ لا شيء أكثر. لدينا هذا هنا أيضاً، لكن في مكان منفصل. إن كان يروقك هذا يمكنك الذهاب. لدينا كل شيء هنا."

"أتقصد العاهرات؟" سألت السيدة كوبرفيلد بصوت واضح.

"*Las putas*," فسّر السيد كوبرفيلد للسائق بالإسبانية. كان مسروراً بالمنحى الذي تحول إليه الحديث وقلقاً ألا يتمكن السائق من استيعاب الحديث كاملاً.

غطى السائق فمه بيده، وضحك.

"إنها تحب هذا،" قال السيد كوبرفيلد، حاثاً زوجته.

"لا—لا،" قال السائق، "لا يمكن أن تحب هذا."

"لقد عاملني معاملة عذبة جداً."

"عذبة!" قال السائق، صارخاً تقريباً. "ليس لديهن هذا القدر من العذوبة." صنع دائرة صغيرة جداً بإبهامه وسبابته. "لا، ليست العذوبة — شخص ما يخذلك. هو يعرف." وضع يده على ساق السيد كوبرفيلد.

"أخشى أنني لا أعرف أي شيء عن هذا،" قال السيد كوبرفيلد. غمز له السائق مرة أخرى، ثم قال، "تعتقد أنها تعرف ال... لن أقول الكلمة، لكنها لم تقابل واحدة منهن قط."

"لكنني فعلت. لقد نمت القيلولة حتى مع واحدة منهن."

"القيلولة! زار السائق بالضحك. "لا تسخري من فضلك، أيتها السيدة. ليس هذا لطيفاً، كما تعرفين. "بدا وقوراً جداً فجأة. "لا، لا، لا، " هز رأسه في حزن.

كان الباص قد امتلأ الآن وتعين على السائق أن يبدأ. كلما توقفوا كان يلتفت ويهز إصبعاً إلى السيدة كوبرفيلد. مروا عبر أنكون ومروا بعدة مبانٍ منخفضة مستطيلة مشيدة فوق بعض التلال الصغيرة.

"مستشفيات،" هتف السائق من أجل السيد والسيدة كوبرفيلد. "لديهم أطباء هنا لأي شيء في العالم. يمكن للجيش أن يذهب هناك بدون مقابل. يأكلون وينامون ويُشفون وكل هذا مجاناً. البعض من كبار السن يسكنون هناك لما تبقى من حياتهم. أحلم بأن أكون في الجيش الأمريكي لا أن أقود هذا الباص القذر."

"كنت لأكره أن أجنّد،" قال السيد كوبرفيلد بحنو.

"إنهم يذهبون دائماً إلى عشاء ما وإلى حفلات رقص، حفلات رقص وعشاء،" علّق السائق. كان ثمة هممة من آخر الباص. كانت النساء كلهن حريصات على معرفة ما قاله السائق. واحدة منهن كانت تعرف الإنجليزية فسرت بسرعة للأخريات بالإسبانية. فهقهن جميعهن لخمس دقائق كاملة بعدها. بدأ السائق في غناء "هنالك،" ووصل

الضحك إلى درجة المستيريا. كانوا تقريباً في الريف الآن، يرون بمحاذاة نهر. عبر النهر كان هناك طريق جديد جداً ووراءه غابة كثيفة هائلة.

"أوه، انظري،" قال السيد كوبرفيلد، مشيراً إلى الغابة. "هل ترين الفرق؟ هل ترين ضخامة الأشجار وتشابك الفروع؟ يمكنك رؤية هذا من هنا حتى. لم تبدُ قط أي غابة شمالية بهذا الثراء."

"هذا صحيح، غابات الشمال ليست كذلك،" قالت السيدة كوبرفيلد.

توقف الباص أخيراً عند رصيف صغير جداً. نساء ثلاث فقط والسيد والسيدة كوبرفيلد بقوا بالداخل حينها. نظرت السيدة كوبرفيلد إليهن آملة أن يكن ذاهبات إلى الأدغال هن أيضاً.

نزل السيد كوبرفيلد من الباص وتبعته على مضض. كان السائق في الشارع يدخن. كان يقف بجوار السيد كوبرفيلد، آملاً في أن يبدأ حواراً آخر. لكن السيد كوبرفيلد كان مثاراً إلى درجة كبيرة بسبب وجوده على هذا القرب من الأدغال إلى حد لا يدع له مجالاً للتفكير في أي شيء آخر. لم تنزل النساء الثلاث. بقين في مقاعدهن يتحدثن. نظرت السيدة كوبرفيلد خلفها إلى داخل الباص، وحملت فيهن بتعبير حيرة على وجهها. بدت كما لو كانت تقول: "رجاءً اهبطن، ألن تفعلن هذا؟" كن محرجات وبدأن في القهقهة مرة أخرى.

ذهبت السيدة كوبرفيلد إلى السائق وقالت له: "هل هذه هي المحطة الأخيرة؟"

"نعم،" قال.

"وماذا عنهن؟"

"من؟" سأل، وقد بدا غيبًا.

"هؤلاء النسوة في آخر الباص."

"يركبن الباص. هن نساء لطيفات جدًا. هذه ليست المرة الأولى التي يركبن باصي."

"ذهابًا وإيابًا؟"

"بالتأكيد،" قال السائق.

أخذ السيد كوبرفيلد بيد السيدة كوبرفيلد وقادها إلى رصيف المرفأ. كانت عبارة صغيرة آتية في اتجاههما. بدا أنه لم يكن هناك أي أحد في العبارة على الإطلاق.

فجأة قالت السيدة كوبرفيلد لزوجها: "أنا فقط لا أريد أن أذهب إلى الأدغال. كان الأمس يومًا غريبًا ورهيبيًا جدًا. إن قضيت يومًا آخر مثله فسأكون في حالة رهيبة. أرجوك دعني أعود في الباص."

"لكن،" قال السيد كوبرفيلد، "بعد أن قطعت الطريق بأكمله إلى هنا، يبدو لي في غاية السخف والحمق أن تعودني. يمكنني أن أؤكد لك

أن الأدغال ستثير بعض اهتمامك. لقد ذهبت إليها من قبل. ترين أوراق شجر وأزهاراً لها أغرب الأشكال. وأنا متأكد أنك ستسمعين أصواتاً رائعة. بعض الطيور في المناطق المدارية لها أصوات مثل الإكسيلفون، وبعض الطيور الأخرى تشبه الأجراس."

"اعتقدت أنه ربما حين أصل هنا قد أشعر بالإلهام؛ أنني قد أشعر بالميل إلى الانطلاق. لكنني لا أشعر بهذا على أي نحو. أرجوك دعنا لا نناقش الأمر."

"حسناً،" قال السيد كوبرفيلد. بدا حزيناً ووحيداً. كان يستمتع كثيراً بعرض الأشياء التي تروق له على آخرين. بدأ في المشي مبتعداً نحو حافة الماء وحملق عبر النهر في الشاطئ المقابل. كان نحيفاً جداً ورأسه جميل الشكل.

"أوه، أرجوك لا تكن حزيناً!" قالت السيدة كوبرفيلد، وهي تُسرع إليه. "أرفض أن أسمع لك أن تكون حزيناً. أشعر أنني أشبه ثوراً. أشبه قاتلاً. لكنني سأكون مصدر ضيق شديد على الجانب الآخر من النهر في الأدغال. سيروك الأمر بمجرد أن تكون هناك وسيكون في استطاعتك أن تتوغل أكثر بدوني."

"لكن يا عزيزتي—لا أمانع... أمل فقط أن تتمكني من العودة بسلام في الباص. تعلم السماء متى سأعود. قد أقرّر فقط أن أهييم وأهييم... وأنت لا يروك أن تكوني بمفردك في بنما."

"حسناً إذن،" قالت السيدة كوبرفيلد، "افترض أنني أخذت القطار عائدة إلى كولون. إنها رحلة بسيطة، وليس معي سوى حقيبة واحدة. بعدها يمكنك أن تتبني الليلة إن عدت مبكراً من الأدغال، وإن لم تفعل يمكنك أن تعود في صباح الغد. لقد خططنا للعودة غداً على أي حال. لكن عليك أن تعطيني كلمة شرف بأنك ستأتي."

"هذا معقد جداً،" قال السيد كوبرفيلد. "ظننت أننا سوف نقضي يوماً لطيفاً في الأدغال. سأتي غداً. الحقائق هناك، لهذا لا يوجد أي خطر ألا أعود. وداعاً." أعطها يده. كانت العبارة تحك برصيف المرسى.

"اسمع،" قالت، "إن لم تعد قبل الثانية عشرة الليلة، فسوف أنام في فندق لاس بالماس. سوف أتصل بفندقنا في الثانية عشرة وأرى إن كنت هناك، في حالة إن كنت بالخارج."

"لن أكون هناك قبل الغد."

"إذن سأكون في فندق لاس بالماس إن لم أكن في غرفتنا." "حسناً، لكن كوني بخير، واحصلي على بعض النوم."

"نعم، بالتأكيد سأفعل."

دلف إلى القارب الذي بدأ في الابتعاد.

"أتمنى ألا يكون يومه قد فسد،" قالت لنفسها. كانت الرقة التي تشعر بها تجاهه تقريباً غامرة الآن. عادت إلى الباص وحملت بثبات خارج النافذة لأنها لم تود أن يرى أي أحد أنها كانت تبكي.

ذهبت السيدة كوبرفيلد إلى فندق لاس بالماس مباشرة. بينما كانت تمهبط من العربة رأت باسيفيكا متجهة نحوها وحدها. دفعت للسائق وأسرعت إليها.

"باسيفيكا، كم أنا مسرورة لرؤيتك!"  
تعرفت جبهة باسيفيكا. بدت متعبة.

"أوه، كوبرفيلد،" قالت، "السيدة كويل وأنا لم نعتقد أننا سنراك مرة أخرى أبدًا والآن ها أنتِ تعودين."

"لكن، باسيفيكا، كيف يمكنكِ قول شيء مثل هذا؟ أنا مندهشة من كليتيكما. ألم أعدكما بأنني سأعود قبل منتصف الليل وأننا سنحتفل؟"

"نعم، لكن الناس يقولون هذا كثيرًا. على أي حال، لا يغضب أحد إن لم يعودوا."

"لنذهب ونسلم على السيدة كويل."

"حسنًا، لكنها في مزاج رهيب طوال اليوم، بكت كثيرًا ولم تأكل أي شيء."

"ما الأمر بحق السماء؟"

"لقد تشاجرت، على ما أعتقد، مع صاحبها. لا تروق له. أخبرها بهذا لكنها لا تنصت لي."

"لكن أول شيء قالته لي كان إن الجنس لا يثير اهتمامها."

"لا تهتم كثيراً بالذهاب إلى الفراش، لكنها عاطفية إلى حد رهيب، كما لو كانت في السادسة عشرة. أشعر بالأسف لرؤية امرأة عجوز تتصرف كمغفلة."

كانت باسيفيكا ما زالت ترتدي شبشب البيت. مرا بجوار البار الذي كان ممتلئاً برجال يدخلون السيجار ويشربون.

"يا إلهي! كيف في دقيقة واحدة يجعلون أي مكان ننتاً،" قالت باسيفيكا. "أتمنى لو بوسعي أن يكون لي بيت صغير لطيف بحديقة في مكان ما."

"سوف أقيم هنا، يا باسيفيكا، وسوف نستمتع جميعاً كثيراً."  
"وقت المتعة انقضى،" قالت باسيفيكا بكآبة.

"سوف تتحسن حالتك بعد أن نشرب جميعاً،" قالت السيدة كوبرفيلد.  
دقتنا على باب السيدة كويل.

سمعناها تتحرك داخل غرفتها وتلملم بعض الأوراق. ثم أتت إلى الباب وفتحته. لاحظت السيدة كوبرفيلد أنها تبدو أكثر وهناً من المعتاد.  
"ادخلا،" قالت لهما، "رغم أنه ليس لدي أي شيء أقدمه لكما. يمكنكما الجلوس لبعض الوقت."

لكزت باسيفيكا السيدة كوبرفيلد. عادت السيدة كويل إلى مقعدها وتناولت حفنة من الفواتير كانت ملقاة فوق المنضدة بالقرب منها.



"عليّ أن أعني بهذه. فلتسأحاني، لكنها مهمة جداً."  
التفتت باسيفيكا إلى السيدة كوبرفيلد وتحدثت بصوت منخفض.  
"لا تستطيع حتى أن تراها، لأنها لا ترتدي نظاراتها. إنها تتصرف  
مثل طفلة. الآن ستغضب منا لأن صاحبها، كما تدعوه، تركها وحيدة.  
لن أعامل مثل كلب طويلاً."  
سمعت السيدة كويل ما قالته باسيفيكا، واحمرّ وجهها. التفتت إلى  
السيدة كوبرفيلد.

"هل ما زلتِ تنوين أن تأتي وتقيمي في هذا الفندق؟" سألتها.  
"نعم"، قالت السيدة كوبرفيلد بانسراح، "ما كنت لأعيش في أي  
مكان آخر ولا مقابل العالم. حتى إن زجرت في وجهي."  
"غالبًا لن تجديه مريحًا بما يكفي."

"لا تزجري في وجه كوبرفيلد،" تدخلت باسيفيكا. "أولاً، لقد  
كانت غائبة ليومين، وثانيًا، لا تعرف، مثلما أعرف، طبيعتك."  
"أشكركِ إن احتفظتِ بضمكِ السوقي الصغير مغلقًا،" ردت  
السيدة كويل، وهي ترتب الفواتير بسرعة.

"أسفة أنني أزعجتك، يا سيدة كويل،" قالت باسيفيكا، وهي  
تهب واقفة وتوجه نحو الباب.

"لم أكن أصرخ في السيدة كوبرفيلد، قلت فقط إنني لا أعتقد أنها ستكون مرتاحة هنا." وضعت السيدة كويل الفواتير. "هل تعتقدين أنها ستكون مرتاحة هنا، يا باسيفيكا؟"

"الشيء السوقي الصغير لا يعرف أي شيء عن هذه الأسئلة،" ردت باسيفيكا وغادرت الغرفة، تاركة السيدة كوبرفيلد مع السيدة كويل.

تناولت السيدة كويل بعض المفاتيح من فوق الخزانة، وأشارت للسيدة كوبرفيلد أن تتبعها. مشتا عبر بعض الردهات وصعدتا عدة درجات وفتحت السيدة كويل باب إحدى الغرف.

"هل هي قريبة من غرفة باسيفيكا؟" سألت السيدة كوبرفيلد.

بدون أن ترد قادتها السيدة كويل عائدة عبر الردهات، وتوقفت بالقرب من غرفة باسيفيكا.

"هذه أعلى،" قالت السيدة كويل، "لكنها قريبة من غرفة الآنسة باسيفيكا إن كانت هذه متعتك، وإن كان في استطاعتك تحمل الضجيج."

"أي ضجيج؟"

"ستبدأ في النجيب وجر الأشياء عبر الغرفة في الدقيقة التي تستيقظ فيها صباحًا. لا يؤثر فيها هذا على الإطلاق. إنها صلبة. لا يوجد في جسدها أي رخاوة."

"سيدة كويل —"

"نعم."

"هل يمكن أن ترسلي بأي أحد كي يُحضر زجاجة جن إلى  
غرفتي؟"

"أعتقد أن في وسعي فعل ذلك... حسناً، أتمنى أن تكوني مرتاحة."  
مشت السيدة كويل مبتعدة. "سوف أبعث حقيقتك مع أحدهم،"  
قالت، وهي تلتفت.

كانت السيدة كوبرفيلد قد روعها التحول المفاجئ في الأحداث.

"اعتقدتُ،" قالت لنفسها، "أنهما ستظلان على الحال الذي كاننا  
عليه إلى الأبد. الآن عليّ أن أكون صبورة وأنتظر حتى يكون كل شيء  
على ما يرام مرة أخرى. كلما عشت، قلت قدرتي على التنبؤ بأي  
شيء." استلقت على الفراش، رفعت ركبتيها، وتشبثت بكاحليها  
بكلتا يديها.

"كوني مرحة... كوني مرحة... كوني مرحة،" غنّت، متأرجحة  
على الفراش. كانت هناك خبطة على الباب ودخلت الغرفة رجل في سترة  
مخططة بدون انتظار رد على خبطته.

"طلبت زجاجة جن؟" قال.

"فعلت بكل تأكيد — يا للمرح!"

"وها هي حقيقة. سأضعها هنا."

دفعت له السيدة كوبرفيلد وانصرف.

"الآن"، قالت، وهي تقفز من الفراش، "الآن إلى جرعة صغيرة من الچن لطرده متاعبي بعيداً. فقط لا توجد أي طريقة أخرى على الجودة نفسها. في لحظة معينة يأخذ الچن كل شيء من يدك وتتفايزين حول نفسك مثل طفلة صغيرة. الليلة أريد أن أكون طفلة صغيرة." تناولت ملء كأس صغيرة، وسرعان ما تبعثها بأخرى. الثالثة شربتها ببطء أكثر.

كان الشيش البني لنوافذها مفتوحاً على اتساعه وكانت ریح صغيرة تجلب رائحة دهن قلبي إلى داخل الغرفة. ذهبت إلى النافذة ونظرت إلى أسفل على الزقاق الذي كان يفصل فندق لاس بالماس عن مجموعة من الأكواخ.

كانت سيدة عجوز جالسة فوق مقعد في الزقاق تتناول عشاءها.  
"لا تُبقي على أي قطعة منه!" قالت السيدة كوبرفيلد. نظرت السيدة العجوز إلى أعلى على نحو حالم، لكنها لم ترد.

وضعت السيدة كوبرفيلد يدها فوق قلبها. "Le bonheur"، همست، "السعادة... أي ملاك هي اللحظة السعيدة — وكم لطيف ألا تناضل أكثر مما ينبغي من أجل السكينة الداخلية! أعرف أنني سأستمع بلحظات من المرح، بدون مجهود. لم يعد أي أحد من أصدقائي يتحدث عن الشخصية — وما يثير اهتمامنا أكثر، بالتأكيد، هو أن نكتشف طبيعتنا."

"كوبرفيلد!" اقتحمت باسيفيكا الغرفة. كان شعرها مشعثاً وبدت مقطوعة الأنفاس. "تعالى إلى الطابق السفلي واحصلي على بعض المتعة. ربما لا يكونون من نوع الرجال الذين يروك أن تكوني بصحبتهم، لكن إن لم يروقوا لك يمكنك أن تنصرفي. ضعي بعض أحمر الشفاه على وجهك. هل يمكنني أن آخذ بعضاً من الچن، من فضلك؟"

"لكن منذ دقيقة قلت إن زمن المتعة قد انقضى!"

"من يهتم!"

"بكل تأكيد من يهتم"، قالت السيدة كوبرفيلد. "هذه موسيقى لأذن أي أحد... فقط إن استطعت أن توقفي عن التفكير، دائماً، يا باسيفيكا."

"لا ترغيبين في التوقف عن التفكير. كلما كان في مقدورك التفكير أكثر، كنت أفضل من الآخرين. اشكري ربك أن بوسعك التفكير."

في الأسفل البار قُدمت السيدة كوبرفيلد إلى ثلاثة رجال أو أربعة.

"هذا الرجل هو لو LOU"، قالت باسيفيكا، وهي تجذب مقعداً

من تحت البار وتجعلها تجلس إلى جواره.

كان لو ضئيلاً ويتعدى الأربعين. ارتدى حلة رمادية خفيفة ضيقة جداً عليه، وقميصاً أزرق، وقبعة من الريش. "تريد أن تتوقف عن التفكير"، قالت باسيفيكا للو.

"من يريد أن يتوقف عن التفكير؟" سأل لو.

"كوبرفيلد. الفتاة الصغيرة التي تجلس فوق المقعد، أيها المغفل الكبير."

"أنتِ المغفلة. يزيد شبهك بفتيات نيويورك،" قال لو.

"خذني إلى نونا يورك، خذني إلى نونا يورك،" قالت باسيفيكا، وهي تتواثب فوق مقعدها.

كانت السيدة كوبرفيلد مصدومة لرؤيتها باسيفيكا تتصرف على هذا النحو اللعوب.

"تذكري سرّة البطن،" قال لو لباسيفيكا.

"سرّة البطن! سرّة البطن!" رفعت باسيفيكا ذراعيها وصرخت بسرور.

"ماذا عن سرّة البطن؟" سألت السيدة كوبرفيلد.

"ألا تعتقدين أن هاتين الكلمتين هما أكثر الكلمات فكاهة في العالم بأسره؟ بطن وسرة — بطن وسرة — في الإسبانية هي ombligo فقط."

"لا أعتقد أن أي شيء على هذه الدرجة من الفكاهة. لكنك تحبين أن تضحكي، استمري إذن وضحكي،" قال لو، الذي لم يحاول أن يتحدث مع السيدة كوبرفيلد على الإطلاق.

جذبت السيدة كوبرفيلد كُمتّه. "من أين أنت؟" سألته.

"بتسبيرج."

"لا أعرف أي شيء عن بتسبيرج"، قالت السيدة كوبرفيلد. غير أن لو كان قد حوّل عينيه في اتجاه باسيفيكا.

"سرة البطن"، قال فجأة بدون أن يغيّر من نبرته. هذه المرة لم تضحك باسيفيكا. لم يبدُ أنها سمعته. كانت تقف فوق حاجز البار ملوحة بذراعيها في هياج وتسلط.

"حسنًا، حسنًا"، قالت، "أرى أن لا أحد قد اشترى بعد مشروبًا لكوبرفيلد. هل أنا بصحبة رجال بالغين أم صبية صغار؟ لا، لا... ستجد باسيفيكا أصدقاءً آخرين." شرعت في النزول من فوق البار، أمرة السيدة كوبرفيلد أن تتبعها. في تلك الأثناء أسقطت بمرفقها قبعة رجل كان يجلس جوارها.

"توبي"، قالت له، "عليك أن تشعر بالحجل." كان لتوبي وجه سمين نعسان وأنف مكسور. كان يرتدي حلة ثقيلة بنية داكنة.

"ماذا؟ هل أردت مشروبًا؟"

"بالطبع أردت مشروبًا." كانت عينا باسيفيكا تتألقان. قُدمت المشروبات للجميع وعادت للاستقرار فوق مقعدها.

"هيا، الآن" قالت، "ماذا سنغني؟" "صوتي رتيب"، قال لو.

"الغناء ليس من مواهبي"، قال توبي.

اندهشوا جميعاً لرؤيتهم السيدة كوبرفيلد تدفع برأسها إلى الخلف كما لو كانت قد امتلأت بنشوة مفاجئة وتشرع في الغناء.

"من يهتم إن اهتمت السماء بالسقوط في البحر  
من يهتم أي بنوك تفشل في يونكرز  
ما دام معك القبلة التي تغزو  
لم عليّ أن أهتم؟  
الحياة احتفال واحد طويل  
ما دمت أهتم بك  
وتهتم بي."

"حسناً، جيد... الآن واحدة أخرى،" قالت باسيفيكا بصوت  
لاذع.

"هل غنيت في نادٍ ليلي من قبل؟" سأل لو السيدة كوبرفيلد. كانت  
وجنتاها محمرتين جداً.

"في الحقيقة، لم أفعل. لكن حين أكون في مزاج مناسب، كنت أغني  
بصوت مرتفع جداً على مائدة في مطعم وأجذب الكثير من الانتباه."

"لم تكوني صديقة مقربة هكذا لباسيفيكا حين كنت في كولون آخر  
مرة."

"أيها الرجل العزيز، لم أكن هنا. كنت في باريس، على ما أعتقد."  
"لم تقولين لي أنك كنت في باريس. هل أنت حمقاء أم كنت فعلاً في  
باريس؟"



"كنت في باريس... على أي حال، لقد حدثت أمور أكثر غرابة."

"أنتِ فاخرة إذن؟"

"ماذا تعني، فاخرة؟"

"فاخرة هي ما تفعله الفاخرة."

"حسناً، إن أردت أن تكون غامضاً فهذا حقك، لكن كلمة

'فاخرة' لا تعني أي شيء لي."

"اسمعي،" قال لو لباسيفيكا، "هل تحاول أن تتكبر علي؟"

"لا، إنها ذكية جداً. ليست مثلك."

للمرة الأولى شعرت السيدة كوبرفيلد أن لباسيفيكا فخورة بها. أدركت أن طوال ذلك الوقت كانت لباسيفيكا تنتظر أن تُريها لأصدقائها، ولم تكن متأكدة أنها مسرورة بذلك. التفت لو إلى السيدة كوبرفيلد مرة أخرى.

"آسف، أيتها الدوقة. تقول لباسيفيكا إنك ملمة بكل شيء وإني

لا يجب أن أخاطبك."

ملّت السيدة كوبرفيلد من لو، لهذا قفزت عن مقعدها وذهبت ووقفت بين توي وباسيفيكا. كان توي يتحدث بصوت منخفض، غليظ، مع لباسيفيكا.

"أقول لك لو جاءت بمغنية هنا وطلت المكان قليلاً يمكنها أن تبيع

مالاً كثيراً من هذا البار. الجميع يعرف أنه مكان جيد لاستراحة، لكن

لا توجد موسيقى. أنت هنا، عندك الكثير من الأصدقاء. لك طريقتك..."

"توي، لا أود أن أبدأ بالموسيقى وبكثير من الأصدقاء. أنا هادئة..."

"نعم، أنت هادئة. هذا الأسبوع أنت هادئة وربما في الأسبوع القادم لن ترغب في أن تكوني هادئة."

"لا أعير تفكيري هكذا، يا توي. عندي صاحب. لا أريد أن أعيش هنا لمدة أطول."

"لكنك تعيشين هنا الآن."

"نعم."

"حسنًا، تريد عمل القليل من المال. أقول لك، بقليل من المال يمكننا تحسين المكان."

"لكن لم يتعين أن أكون هنا؟"

"لأن لديك معارف."

"لم أر قط رجلاً مثل هذا. يتحدث طوال الوقت عن العمل."

"لست سيئة في العمل أنت الأخرى. رأيتك تحتالين من أجل

مشروب لصديقتك هذه. تحصلين على نسبتك، أليس كذلك؟"

ركلت باسيفيكا توي بكعبها.

"استمعي لي يا باسيفيكا. يروقي أن أستمع. لكنني لا أستطيع أن أرى شيئاً ما يمكنه أن يحصد المال لا يحصل إلا على أقل القليل."

"كُف عن الانشغال هكذا." دفعت باسيفيكا قبعته عن رأسه. أدرك أنه لا يوجد ما يمكن فعله وتنهى.

"كيف حال إيمان؟" سألتها بضجر.

"إيمان؟ لم أرها منذ تلك الليلة في القارب. بدت رائعة تماماً مرتدية زي بحار."

"تبدو النساء رائعات حين يرتدين ملابس الرجال،" تدخلت السيدة كوبرفيلد بحماس.

"هذا ما تعتقدينه،" قال توبي. "يبدون أفضل بالنسبة لي متزينات."

"إنها لم تتحدث إلا لدقيقة. يبدون لطيفات،" قالت باسيفيكا.

"ليس لي،" قال توبي.

"حسناً، توبي، ربما ليس لك، لكن بالنسبة لها يبدون جميلات هكذا."

"ما زلت أعتقد أنني على صواب. ليس الموضوع مسألة رأي فقط."

"حسناً، لا يمكنك إثبات هذا حسابياً،" قالت السيدة كوبرفيلد. نظر توبي إليها بدون أي اهتمام على وجهه.

"ماذا عن إيما؟" قالت باسيفيكا. "لست مهتمًا أخيرًا بشخص ما؟"

"طلبت مني أن أتحدث عن شيء آخر بخلاف العمل، لهذا سألتك عن إيما، فقط كي أبين كم أنا اجتماعي. كلانا نعرفها. كنا جميعًا في حفلة معًا. أليس هذا السؤال المناسب؟ كيف حال إيما، كيف حال بابا وماما. هذا هو نوع الكلام الذي يروقك. بعدها أخبرك كيف حال عائلي، وربما آتي على ذكر صديق آخر نسينا كلانا أننا نعرفه، ثم نقول إن الأسعار ترتفع وتأتي الثورة ونأكل فراولة جميعًا. الأسعار ترتفع بسرعة وهذا هو السبب في أنني أردتك أن تربحي من هذا المكان."

"يا إلهي!" قالت باسيفيكا، "حياتي صعبة بما يكفي وأنا وحيدة تمامًا، لكن ما زال بوسعي أن أستمتع مثل فتاة صغيرة. أما أنت، أنت رجل عجوز."

"ليس من اللازم أن تكون حياتك شاقة، يا باسيفيكا."

"حسنًا، حياتك ما زالت شاقة جدًا وتحاول دائمًا أن تجعلها سهلة. هذا هو أصعب جزء في حياتك أنت حتى."

"أنا أنتظر فقط أن أحصل على فرصة. بأفكاري وفرصة ستكون حياتي سهلة بين يوم وليلة."

"وبعدها ماذا ستفعل؟"

"أبقيها هكذا أو ربما أجعلها أسهل حتى. سأكون مشغولاً جدًا."

"لن يكون عندك أبدًا أي وقت لأي شيء."

"لأي شيء يريد رجل مثلي الوقت — لزراعة الزنابق؟"

"لا تستمتع بالحديث معي، يا توبي."

"بالتأكيد. أنت ودودة وجميلة ولك عقل جيد بصرف النظر عن بعض الأفكار الزائفة."

"وماذا عني؟ هل أنا ودودة وجميلة أيضاً؟" سألت السيدة كوبرفيلد.

"بالتأكيد. كلكن ودودات وجماليات."

"كوبرفيلد، أعتقد أننا قد أهنأ للتو،" قالت باسيفيكا، وهي تنهض.

شرعت السيدة كوبرفيلد في السير بخطو متظم خارجة من الغرفة في غضب مُتصَنَع، لكن باسيفيكا كانت تفكّر بالفعل في شيء آخر، ووجدت السيدة كوبرفيلد نفسها في الموقف السخيف لممثل أصبح بدون جمهور فجأة. عادت إلى البار.

"اسمعي،" قالت باسيفيكا، "اصعدي ودقي علي باب السيدة كويل. أخبريها أن السيد توبي يود كثيراً أن يراها. لا تقولي إن باسيفيكا أرسلتني. ستعرف هذا على أي حال وسيكون أسهل عليها إن لم تقولي. ستحب أن تنزل. هذا أعرفه عنها كما لو كانت أُمي."

"أوه، بكل سرور، يا باسيفيكا،" قالت السيدة كوبرفيلد، وهي تعدو خارجة من الغرفة.

حين وصلت السيدة كوبرفيلد إلى غرفة السيدة كويل، كانت السيدة كويل مشغولة في تنظيف الدرج الأعلى من خزانتها. كانت غرفتها هادئة جداً وحارة جداً.

"لم يطاوعني قلبي قط على رمي تلك الأشياء،" قالت السيدة كويل، بينما تلتفت وتربت على شعرها. "أخمن أنك قابلت نصف سكان كولون،" قالت بحزن، وهي تفحص وجه السيدة كوبرفيلد المتورد.

"لا، لم أفعل، لكن هل تهتمين بالتزول ومقابلة السيد توبي؟"

"من هو السيد توبي، يا عزيزتي؟"

"أوه، أرجوكِ تعالي، أرجوكِ تعالي فقط من أجلي."

"سأفعل يا عزيزتي، إن جلست وانتظرت بينما أغتير ملابسي إلى شيء أفضل."

جلست السيدة كوبرفيلد. كان رأسها يدور. أخرجت السيدة كويل فستاناً حريراً طويلاً أسود من الخزانة. أدخلته من فوق رأسها ثم تحيرت سلاسل من الخرز الأسود من صندوق مجوهراتها، ومشبكاً من حجر كريم. وضعت مسحوقاً على وجهها بحرص، وغرزت عدة دبابيس أخرى في شعرها.

"لن أزعج نفسي بالاستحمام،" قالت حين انتهت. "الآن، هل تعتقدين حقاً أن عليّ أن أقابل السيد توبي هذا، أم هل تعتقدين أن ليلة أخرى قد تكون أفضل؟"

أخذت السيدة كوبرفيلد بيد السيدة كويل وجرّتها إلى خارج الغرفة. كان دخول السيدة كويل إلى البار فاتناً ورسمياً للغاية. كانت تستخدم الألم الذي سببه لها صاحبها لمصلحتها.

"الآن، يا عزيزتي،" قالت بهدوء للسيدة كوبرفيلد، "أخبرني أيهم هو السيد توبي."

"ذلك الشخص هناك، الجالس بجوار باسيفيكا،" قالت السيدة كوبرفيلد بتردد. كانت تخشى أن تجده السيدة كويل غير جذاب تماماً وتغادر الغرفة.

"السيد السمين."

"هل تكرهين السمان؟"

"لا أحكم على الناس بأجسادهم. حتى حين كنت فتاة صغيرة راق لي رجال بسبب عقولهم. الآن وأنا في منتصف العمر أرى كم كنت على حق."

"كنت دائماً عابدة للجسد،" قالت السيدة كوبرفيلد، "لكن لا يعني هذا أنني أقع في حب أشخاص لهم أجساد جميلة. بعض الأجساد التي راقت لي كانت فظيعة. هيا، فلنذهب إلى السيد توبي."

وقف توبي للسيدة كويل وخلع قبعته.

"هيا اجلسي معنا واشربي."

"دعني أستقر في المكان، أيها الشاب. دعني أستقر."  
"هذا البار ملكك، أليس كذلك؟" قال توبي، وقد بدا قلقاً.

"نعم، نعم"، قالت السيدة كويل بفطور. كانت تحملق في أعلى رأس باسيفيكا. "باسيفيكا،" قالت، "لا تشربي أكثر من اللازم. عليّ أن أعتني بك."

"لا تقلقي، سيدة كويل. أعتني بنفسى لفترة طويلة." التفتت إلى لو وقالت برصانة: "خمسة عشر عاماً." كانت باسيفيكا على طبيعتها تماماً. تتصرف كما لو لم يحدث أي شيء بينها وبين السيدة كويل. كانت السيدة كوبرفيلد مفتونة. وضعت ذراعيها حول خصر السيدة كويل وضممتها بشدة.

"أوه،" قالت، "أوه، تجعلاني سعيدة جداً!"  
ابتسم توبي. "الفتاة في حالة جيدة، يا سيدة كويل. الآن ألا تريدني مشروباً؟"

"نعم، سأخذ كأساً من الچن. يؤلمني كيف تترك هؤلاء الفتيات بيوتهن في سن صغيرة جداً. كان لدي بيتي وأمي وأخواتي وإخوتي حتى السادسة والعشرين. ومع كل هذا، حين تزوجت كنت أشبه بأرنب مذعور. كما لو كنت أخرج إلى العالم. كان السيد كويل مثل عائلة بالنسبة لي، رغم ذلك، ولم يحدث حتى موته أن خرجت بالفعل إلى العالم. كنت في ثلاثينيّاتي حينها، وكنت أرنباً مذعوراً أكثر من أي وقت مضى. باسيفيكا في العالم بالفعل لمدة أطول كثيراً مني. تعرف، إنها مثل



قبطان بحر عجوز. أحيانًا أشعر بسخف كبير حين تروي لي بعض تجاربها. تكاد عيناى تخرجان من رأسى. لا يتعلق الأمر تمامًا بالسن بل بالخبرة. لقد جنبني الرب أكثر مما جنب باسيفيكا. لم تُجنب أي شيء. ورغم هذا، ليست عصبية مثلى.

"حسنًا، إنها بالتأكيد لا تعرف كيف ترعى نفسها مثلما قد يفعل من مر بتجارب كثيرة هكذا،" قال توبي. "لا تعرف الأمر الجيد حين تراه."

"نعم، أعتقد أنك على صواب،" قالت السيدة كويل، وقد زادت حماسها للحديث مع توبي.

"بالتأكيد أنا على صواب. لكن لديها الكثير من الأصدقاء هنا في بنما، أليس كذلك؟"

"أجرؤ على قول إن باسيفيكا لديها عدد كبير من الأصدقاء،" قالت السيدة كويل.

"هيا، تعرفين أن لديها الكثير جدًا من الأصدقاء، أليس كذلك؟"

حين بدت السيدة كويل كما لو كانت قد دُهمشت إلى حد ما من نبرة الإلحاح في صوته، قرّر توبي أنه يستعجل الأمور أكثر مما يجب.

"من يهتم على أي حال؟" قال، ناظرًا إليها بطرف عينه. بدا أن هذا كان له التأثير المناسب على السيدة كويل، وتنفس توبي الصعداء.

ذهبت السيدة كوبرفيلد إلى دكة في ركن واستلقت. أغلقت عينيها  
وابتسمت.

"هذا هو أفضل شيء بالنسبة لها،" قالت السيدة كويل إلى توي.  
"إنها امرأة لطيفة، امرأة عذبة عزيزة، وقد شربت أكثر مما يجب.  
باسيفيكا، بوسعها فعلاً الاعتناء بنفسها كما تقول. رأيها تشرب مثل  
رجل، لكن الأمر مختلف معها. كما قلت، لقد مرت بكل تجارب  
العالم. الآن، السيدة كوبرفيلد وأنا، علينا أن نراقب أنفسنا بحرص أكبر  
أو أن نجد رجلاً ما لطيفاً يعتني بنا."

"نعم،" قال توي، متململاً فوق مقعده. "أيتها النادلة، كأس چن  
أخرى. تريدن كأساً، أليس كذلك؟" سألت السيدة كويل.

"نعم، إن كنت ستعتني بي."

"بالتأكيد سأفعل. سوف آخذك إلى بيتك حتى بين ذراعي إن  
سقطت من السكر."

"أوه، لا. فهههت السيدة كويل وتورد وجهها. "لا تحاول هذا،  
أيها الشاب. أنا ثقيلة."

"نعم... اسمعي—"

"نعم؟"

"هل تمانعين في إخباري بشيء؟"

"يسرني أن أخبرك بأي شيء تود سماعه."

"كيف لم تهتمي قط بإصلاح حال هذا المكان؟"

"أوه، يا عزيزي، أليس هذا رهيباً؟ لقد وعدت نفسي دائماً أن أفعل ولم تأت الفرصة قط."

"لا توجد خميرة؟" سأل توبي. نظرت السيدة كويل بغموض.  
"أليس معك نقود لإصلاحه؟" كرّر.

"أوه بلى، بالتأكيد معي." تلفتت السيدة كويل حولها في البار.  
"عندي حتى بعض الأشياء في الطابق العلوي وعدت نفسي دائماً أن أعلقها على الحوائط هنا. كل شيء قذر هنا، أليس كذلك؟ أشعر بالخجل."

"لا، لا،" قال توبي بنفاد صبر. كان متحمساً جداً الآن. "ليس هذا ما عنيت على الإطلاق."

ابتسمت السيدة كويل له بعدوبة.

"اسمعي،" قال توبي، "أدير المطاعم والبارات والنوادي الليلية طوال حياتي، وأستطيع أن أزيد من رواجها."

"أنا متأكدة أنك تستطيع."

"أقول لك إنني أستطيع. اسمعي، فلنخرج من هنا؛ لنذهب إلى مكان آخر حيث يمكننا أن نتحدث فعلاً. سأخذك إلى أي مكان تختارينه في البلدة. الأمر يستحق بالنسبة لي وسيستحق بالنسبة لك أكثر حتى. سترين. يمكننا أن

نشرب المزيد أو نتناول القليل من الطعام. اسمعي،" — قبض على ساعد السيدة كويل — "هل ترغين في الذهاب إلى فندق واشنطن؟"

في البداية لم يصدر أي رد فعل عن السيدة كويل، لكن حين أدركت ما قال، ردت بأنها ستستمع بهذا كثيراً جداً، بصوت يختلج بالمشاعر. قفز توبي عن مقعده، ثبت قبعته فوق رأسه، وشرع في المشي خارجاً من البار، وهو يقول: "هيا، إذن،" للسيدة كويل وراءه. بدا متضايقاً لكن مصمماً.

أخذت السيدة كويل بيد باسيفيكا بين يديها وأخبرتها أنها ذاهبة إلى فندق واشنطن.

"إن كانت هناك أي طريقة لأخذك معنا، كنت سأفعل، يا باسيفيكا. يداخلي شعور سيئ لذهابي هناك بدونك، لكنني لا أرى كيف يمكن أن تأتي، هل ترين طريقة؟"

"الآن، لا تقلقي بسبب هذا، يا سيدة كويل. أنا أقضي وقتاً طيباً جداً هنا،" قالت باسيفيكا في نبرة صوت ضجرة بصدق من العالم.

"ذلك مكان متواضع،" قال لو.

"أوه لا،" قالت باسيفيكا، "المكان لطيف جداً هناك، جميل جداً. ستقضي وقتاً رائعاً." قرصت باسيفيكا لو. "أنت لا تعرف،" قالت له.

خرجت السيدة كويل من البار ببطء، وانضمت إلى توبي على الرصيف. استقلا عربة وانطلقا نحو الفندق.

كان توبي صامتًا. تمدد على مقعده وأشعل سيجارًا.  
"أشعر بالأسف لأنهم اخترعوا السيارات،" قالت السيدة كويل.  
"كنت لتصابين بالجنون في محاولة الانتقال من مكان إلى آخر إن لم تكن قد اخترعت."

"أوه، لا. دائمًا ما آخذ وقتي. لا يوجد شيء لا يمكن أن ينتظر."  
"هذا ما تعتقدين،" قال توبي في نبرة صوت جافة، مستشعرًا أن هذا هو تحديدًا ما سيكون عليه أن يحارب في السيدة كويل. "فقط هذه الثانية الإضافية ما يجعل 'بارجة الحرب' أو أي حصان آخر يأتي في المقدمة،" قال.

"حسنًا، الحياة ليست سباق خيول."  
"في هذا الزمن هذه هي تحديدًا طبيعة الحياة."  
"حسنًا، ليس بالنسبة لي،" قالت السيدة كويل.  
شعر توبي بالاشمئزاز.

كان المشى إلى شرفة فندق واشنطن قد صُف بأشجار نخيل إفريقية. الفندق ذاته كان مثيرًا للإعجاب. نزلا من العربة. وقف توبي في منتصف المشى بين النخيل ذي الحفيف، ونظر في اتجاه الفندق. كان مزينًا بالأنوار. وقفت السيدة كويل بجوار توبي.

"أراهن أنهم يمتصون مالك مقابل المشروبات هنا،" قال توبي.  
"أراهن أنهم يحققون مائتين في المائة ربحًا."

"أوه، أرجوك،" قالت السيدة كويل، "إن كنت تشعر أنك لا تستطيع أن تتحمل أسعاره فلنأخذ عربية ونعود. التزهة لطيفة جداً على أي حال." كان قلبها يدق بسرعة كبيرة.

"لا تكوني حمقاء!" قال توبي لها، وانجها نحو الفندق.

كانت الأرضية في بهو الفندق من رخام أصفر مُقلد. ثمة كشك للمجلات في أحد الأركان حيث كان بوسع التزلاء شراء اللبان، وبطاقات بريديّة مصورة، وخرائط، وتذكارات. شعرت السيدة كويل كما لو كانت قد أتت للتو من سفينة. تجولت في دوائر، لكن توبي ذهب مباشرة إلى الرجل وراء طاولة الكشك وسأله أين يمكنه أن يشرب. اقترح على توبي أن يخرجها إلى الشرفة.

"هذا عادة حيث يذهب الجميع،" قال.

أجلسا على مائدة في طرف الشرفة، وحظيا بمنظر لطيف جداً للشاطئ والبحر.

بينهما على المائدة كان هناك مصباح صغير بغطاء وردي اللون. بدأ توبي على الفور في رفع غطاء المصباح. كان سيجاره حينها قصيراً جداً ومبتلاً جداً.

في أماكن متناثرة من الشرفة كانت مجموعات صغيرة من الناس يتحدثون معاً بأصوات منخفضة.

"ميت!" قال توبي.

"أوه، أعتقد أنه رائع"، قالت السيدة كويل. كانت ترتجف قليلاً، لأن الريح كانت تهب على كتفيها، وكان الجو أبرد كثيراً منه في كولون. كان نادل يقف بجوارهما وقلمه الرصاص مُشرعٌ في الهواء منتظراً الطلب.

"ماذا تريدان؟" سألت توبي.

"ماذا تقترح، أيها الشاب، ويكون لذيذاً جداً؟" قالت السيدة كويل، بينما تلتفت إلى النادل.

"بنش فاكهة على طريقة فندق واشنطن،" قال النادل فجأة.

"يبدو هذا جيداً."

"حسناً،" قال توبي، أحضر واحداً، وويسكي بدون ثلج لي."

بعد أن رشفت السيدة كويل الكثير من مشروبها تحدث توبي إليها. "لديك الخميرة إذن، لكنك لم تهتمي قط بإصلاحه."

"مهممممممم!" قالت السيدة كويل. "لقد وضعوا كل نوع من أنواع الفاكهة في العالم في هذا المشروب. أخشى أنني أتصرف مثل طفلة، لكن لا يوجد أحد يحب الأشياء الجيدة في هذا العالم أكثر مني. بالطبع لم أضطر قط إلى الاستغناء عنها."

"لا تقولي إن العيش بالطريقة التي تعيشين بها يعني الحصول على الأشياء الجيدة في الحياة، هل تفعلين؟" قال توبي.

"أعيش أفضل كثيراً مما تعتقد. كيف تعرف كيف أعيش؟"

"حسناً، يمكنك الحصول على مزيد من الذوق الرفيع،" قال توبي،  
"ويمكنك الحصول على هذا بسهولة. أعني أن المكان من الممكن أن يكون  
أفضل بكل سهولة."

"سيكون الأمر سهلاً، أليس كذلك؟"

"نعم،" انتظر توبي كي يرى إن كانت ستضيف أي شيء آخر من  
تلقاء نفسها قبل أن يخاطبها مرة أخرى.

"خذ كل هؤلاء الناس هنا،" قالت السيدة كويل. "لا يوجد الكثير  
منهم، لكنك كنت لتعتقد أنهم قد يتجمعون معاً بدلاً من أن يظلوا مثني  
أو ثلاث. ما داموا يقيمون هنا في هذا الفندق الرائع، قد تعتقد أنهم  
سيرتدون أفضل ملابسهم ويقضون وقتاً رائعاً كل دقيقة، بدلاً من  
الجلوس في الشرفة أو القراءة. كنت لتعتقد أنهم سيرتدون دائماً أفضل  
ملابسهم على الإطلاق، ويغازلون بعضهم الآخر بدلاً من ارتداء هذه  
الملابس العادية."

"إنهم يرتدون ملابس رياضية،" قال توبي. "لا يرغبون في شغل  
أنفسهم باللبس. ربما يأتون إلى هنا للراحة. في الغالب هم رجال أعمال.  
ربما ينتمي بعضهم إلى المجتمع الراقي. عليهم أن يرتاحوا هم أيضاً.  
لديهم أماكن كثيرة جداً يكون عليهم التأق فيها حين يكونون في  
مدنهم."



"حسنًا، لم أكن لأدفع كل هذا المال فقط من أجل الاسترخاء.  
كنت لأبقى في بيتي الخاص."

"لا يفرق الأمر. لديهم الكثير."  
"ذلك صحيح. أليس هذا حزينًا؟"

"لا أرى أي حزن في هذا. ما يبدو حزينًا لي،" قال توبي، وقد مال  
كثيرًا إلى الأمام وسحق سيجاره في المنفضة، "ما يبدو حزينًا لي هو أن  
عندك ذلك البار والفندق ولا تجنين ما يكفي من المال منهما."

"نعم، أليس هذا رهيبًا؟"

"تروقين لي لكن لا يروق لي أن أراك لا تحصلين على ما يمكنك  
الحصول عليه." قبض على يدها بقدر ما من الرقة. "الآن، أعرف ما يجب  
فعله بمكانك. كما أخبرتك من قبل. هل تذكرين ما أخبرتك به من قبل؟"

"حسنًا، لقد أخبرتني بأشياء عديدة."

"سوف أخبرك مرة أخرى. أعمل مع المطاعم والبارات والفنادق  
طوال حياتي وأزيد رواجها. قلت أزيد رواجها. إن كانت معي خميرة  
الآن، إن لم يكن الحال أنني ينقصني المال لأنه كان عليّ أن أساعد أخي  
وأسرته على الخروج من أزمة، كنت لأخذ خميرتي الخاصة قبل أن  
يمكنك قول جاك روبنسون وألقي بها في بارك وأصلحه. أعرف أنني  
سأستردها فورًا على أي حال، لهذا لن يكون ذلك عملاً خيريًا."

"بالتأكيد لن يكون"، قالت السيدة كويل. كان رأسها يتمايل بلطف من جانب إلى آخر. نظرت إلى توي بعينين مشرقتين.

"حسنًا، عليّ أن أتمهل الآن حتى أكتوبر المقبل، حين أحصل على عقد كبير. عقد مع متجر متعدد الفروع. يمكنني أن أستفيد من بعض المال الآن، لكن ليست هذه هي النقطة."

"لا تهتم بالتوضيح، توي"، قالت السيدة كويل.

"ماذا تعنين، لا تهتم بالتوضيح؟ أأست مهتمة بما أقول؟"

"توي، أنا مهتمة بكل كلمة تقوها. لكن ليس عليك أن تقلق بشأن المشروبات. صديقتك فلورا كويل تخبرك أنه لا داعي للقلق. نحن في الخارج كي نستمتع وتعلم السماء أننا سنفعل، أليس كذلك، يا توي؟"

"نعم، لكن فقط دعيني أوضح ذلك لك. أعتقد أن السبب في أنك لم تفعلي أي شيء بالمكان هو أنك لم تعرفي أين تبدئين، ربما. هل فهمت؟ لا علم لك بهذه الأمور. الآن، أنا أعلم كل شيء بخصوص الحصول على الفرق الموسيقية والنجارين والنذل، وبأسعار رخيصة. أعرف كيف أفعل كل هذا. عندك الاسم، وكثير من الناس يروق لهم أن يأتوا إلى هناك الآن حتى، لأن في إمكانهم الذهاب مباشرة من البار إلى الطابق العلوي. باسيفيكا عنصر هام لأنها تعرف كل شاب في البلدة وتروق لهم ويثقون فيها. المشكلة هي، ليس لديك الجو، لا أضواء

براقة، لا رقص. المكان ليس جميلاً أو واسعاً بما يكفي. يذهب الناس إلى الأماكن الأخرى وبعدها يأتون إلى مكانك متأخرين. مباشرة قبل أن يذهبوا إلى الفراش. إن كنت مكانك، كنت لأثقلب في قبري. الملاك الآخرون هم من يحصلون على اللحم. تحصلين أنت على القليل جداً. ما يتبقى حول العظم، أترين؟"

"اللحم الأقرب للعظم هو الألد،" قالت السيدة كويل.

"هل هناك أي فائدة من حديثي معك أم هل ستكونين حقا؟ أجاد. الآن، عندك بعض النقود في البنك. عندك بعض النقود في البنك، أليس كذلك؟"

"نعم، عندي نقود في البنك،" قالت السيدة كويل.

"أوكيه. حسناً. دعيني أساعدك على إصلاح المكان. سأتولى أنا كل شيء بالنيابة عنك. كل ما عليك فعله هو أن تستلقي وتستمعي بالغبية."

"هراء،" قالت السيدة كويل.

"هيا!" قال توي، وقد بدأ يشعر بالغضب. "لا أطلب منك أي شيء سوى ربحاً نسبة قليلة في المكان والقليل من المال السائل لدفع النفقات لفترة قصيرة. يمكنني أن أفعل كل هذا بالنيابة عنك بأسعار رخيصة وبسرعة ويمكنني أن أديره بالنيابة عنك على نحو لا يكلفك أكثر كثيراً مما يكلفك الآن."

"لكنني أعتقد أن هذا رائع، توي. أعتقد أنه رائع جداً."

"ليس عليك أن تخبريني أنه رائع. أعرف أنه رائع. ليس رائعاً، بل أكثر من رائع. إنه مذهل. ليس لدينا أي وقت نخسره. تناولي مشروباً آخر."

"نعم، نعم."

"إنني أنفق سنتي الأخير عليك،" قال بتهور.

كانت السيدة كويل مغمورة الآن وهزت رأسها فقط.

"الأمر يستحق." استرخى فوق مقعده وتفحص الأفق. كان مشغولاً جداً بعمل حسابات في رأسه. "ما النسبة التي يجب في رأيك أن أحصل عليها؟ لا تنسي أنني سأدير المكان بأكمله بالنيابة عنك لمدة عام."

"أوه، يا عزيزي،" قالت السيدة كويل، "أنا متأكدة أنني ليس لدي أدنى فكرة." ابتسمت له بسعادة.

"أو كيه. ما هو المقدم الذي ستعطيني إياه فقط كي أتمكن من الإقامة هنا حتى يبدأ المكان في الرواج؟"

"لا أعرف."

"حسناً، سوف نحدد هذا فيما بعد،" قال توبي بحرص. لم يكن متأكدًا بعد من أنه قد أخذ الخطوة المناسبة. "سوف نحدد ذلك. لا أريدك أن تفعلي أكثر مما تستطيعين. أود أن أعقد هذه الصفقة معك. أخبريني كم معك في البنك. ثم سأحدد كم سيكلفك إصلاح المكان ثم كم أعتقد

أنه الحد الأدنى لي. إن لم يكن معك الكثير فلن أتركك تفلسين. كوني أنتِ صادقةً معي وسأكون صادقاً معك."

"توبي،" قالت السيدة كويل بجدية، "ألا تعتقد أنني امرأة صادقة؟"

"بحق الجحيم،" قال توبي، "هل تعتقدين أنني سأقدم لك اقتراحاً مثل هذا إن لم أكن أعتقد أنك صادقة؟"

"لا، أعتقد أنك لم تكن لتفعل،" قالت السيدة كويل بحزن.

"كم معك؟" قال توبي، وهو ينظر إليها باهتمام. "ماذا؟" سألت السيدة كويل.

"كم معك في البنك؟"

"سأريك، يا توبي. سأريك في الحال." شرعت في تحسس الأشياء داخل حقيبتها الجلدية السوداء الكبيرة.

تجمد فك توبي، وتجنب عيناه وجه السيدة كويل.

"فوضى—فوضى—فوضى،" كانت السيدة كويل تقول. "لدي كل شيء في هذه الحقيبة سوى موقد المطبخ."

كانت ثمة نظرة ساكنة جداً في عيني توبي بينما حملت أولاً في الماء ثم في النخيل. اعتبر أنه قد فاز بالفعل، وبدأ في التساؤل إن كان هذا أمراً جيداً فعلاً.

"يا إلهي،" قالت السيدة كويل، "أعيش بالضبط مثل عجربة. اثنان وعشرون وخمسون في البنك ولا أكثر حتى."

انتزع توني الدفتر من يديها. حين رأى أن الرصيد كان اثنين وعشرين دولاراً وخمسين سنتاً، هب واقفاً على قدميه، وقابضاً على فوطة المائدة بيد وعلى قبعته باليد الأخرى، سار مغادراً الشرفة.

بعد أن غادر توبي المائدة بغتة هكذا، شعرت السيدة كويل بالحنج العميق من نفسها.

"إنه يشعر بالاشمئزاز الشديد،" قررت، "إلى درجة أنه لا يستطيع حتى أن ينظر في وجهي بدون أن يشعر بالغثيان. هذا لأنه يعتقد أنني محبولة كي أكون مرحة هكذا وليس عندي سوى اثنين وعشرين وخمسين في البنك. حسناً، حسناً، ربما من الأفضل لي أن أبدأ في القلق أكثر. حين يعود سأخبره أنني سأبدأ صفحة جديدة."

كان الجميع قد غادروا الشرفة حينها باستثناء النادل الذي كان يخدم السيدة كويل. وقف ويداه خلف ظهره وحملق أمامه مباشرة.

"اجلس قليلاً وتحدث معي،" قالت له السيدة كويل. "أشعر بالوحدة في هذه الشرفة العتيقة المظلمة. إنها شرفة جميلة حقاً. ربما تخبرني شيئاً ما عن نفسك. كم لديك من النقود في البنك؟ أعرف أنك تعتقد أنني وقحة لسؤالي هذا، لكنني أود فعلاً أن أعرف."

"لم لا؟" رد النادل. "عندي ما يقارب ثلاثمائة وخمسين دولاراً في البنك." لم يجلس. "من أين حصلت عليها؟" سألت السيدة كويل.

"من عمّي."

"أخّنتك أنك تشعر بكثير من الأمان."

"لا."

بدأت السيدة كويل في التساؤل إن كان توبي سيعود. ضغطت يديها معاً، وسألت النادل الشاب إن كان يعرف أين ذهب السيد الذي كان يجلس بجوارها.

"إلى البيت، على ما أعتقد،" قال النادل.

"حسناً، فلنلق نظرة واحدة على البهو،" قالت السيدة كويل بعصبية. أشارت للنادل أن يتبعها.

ذهبا إلى البهو، ومعاً تفحصا وجوه النزلاء، وقد كانوا إما واقفين في مجموعات وإما جالسين بامتداد الحائط على مقاعد بمساند لليد. كان الفندق أكثر حيوية الآن عما كان حين وصلت السيدة كويل مع توبي. كانت متزعجة جداً وشعرت بالألم لأنها لم تجد توبي في أي مكان.

"أعتقد أنه من الأفضل أن أعود إلى البيت وأدعك تحصل على بعض النوم،" قالت بشروء للنادل، "لكن ليس قبل أن أشتري شيئاً لباسيفيكا..." كانت ترتعش قليلاً، لكن ورود باسيفيكا على خاطرها ملأها بالطمأنينة.

"إنه أمر فظيع، مرعب، حقير أن تكون وحيداً في العالم حتى لدقيقة واحدة،" قالت للنادل. "تعال معي وساعدني على اختيار شيء ما، لا شيء مهماً، فقط تذكّر من الفندق."

"كلها نفس الشيء،" قال النادل، بينما يتبعها على مضض. "فقط الكثير من النفايات. لا أعرف ما تريده صديقتك. ربما تشتري لها حقيبة صغيرة مطبوعاً عليها كلمة بنما."

"لا، أود أن يكون مطبوعاً عليها تحديداً اسم الفندق."

"حسناً،" قال النادل، "أغلب الناس لا يختارون هذا."

"يا إلهي—يا إلهي،" قالت السيدة كويل بتأكيد، "هل يتعين دائماً أن يُقال لي ماذا يفعل بقية الناس؟ لقد تلقيت تَوْأَ ما فيه الكفاية من هذا." سارت إلى كشك المجلات وقالت للشاب وراء الطاولة: "الآن، أريد شيئاً مكتوباً عليه 'فندق واشنطن'. من أجل امرأة."

نظر الرجل في بضاعته، وجذب مندبلاً على طرفه رُسمت نخلتان والكلمات: "تذكّر من بنما."

"لكن أغلب الناس يفضلون هذا،" قال، بينما يجذب قبعة هائلة من القش من تحت الطاولة ويضعها فوق رأسه هو.

"انظري، تعطيك ظلاً مثل مظلة وشكلها مناسب جداً." لم يكن هناك أي شيء مكتوب على القبعة.



"هذا المنديل،" أضاف الشاب، "معظم الناس يعتبرونه إلى حد ما، تعريفين..."

"أيها الشاب العزيز،" قالت السيدة كويل، "أخبرتكَ بدون لبس أنني أريد لهذه الهدية أن تحمل الكلمات 'فندق واشنطن' وإن أمكن أيضًا صورة للفندق."

"لكن، سيدي، لا أحد يريد هذا. لا يريد الناس صورًا لفنادق على تذكاراتهم. النخيل، الغروب، أحيانًا الجسور حتى، لكن ليس الفنادق."

"هل لديك أم لا أي شيء يحمل الكلمات 'فندق واشنطن'؟" قالت السيدة كويل، رافعة صوتها.

بدأ البائع في الشعور بالغضب. "عندي بالفعل،" قال، وعيناه تبرقان، "إن انتظرت دقيقة واحدة من فضلك، يا مدام." فتح بوابة صغيرة ودخل إلى البهو. عاد بعد لحظات حاملاً منفضة سجائر سوداء ثقيلة وضعها على الطاولة أمام السيدة كويل. كان اسم الفندق مطبوعاً في منتصف المنفضة بحروف صفراء.

"هل هذه هي نوعية الأشياء التي تريدين؟" سأل البائع. "نعم،" قالت السيدة كويل، "هذه هي."

"حسنًا، يا مدام، ثمنها خمسون سنتًا."

"لا يستحق هذا خمسين سنتًا." همس النادل للسيدة كويل.

بحث السيدة كويل في كيسها؛ لم تستطع أن تجد أكثر من ربع دولار فكة ولم يكن هناك أي أوراق نقدية على الإطلاق.

"انظر،" قالت للشباب، "أنا مالكة فندق لاس بالماس. سأريك دفتر حسابي المصرفي وعليه عنواني مكتوبًا في بدايته. هل ستثق بي بخصوص المنفضة هذه المرة فقط؟ انظر، لقد أتيت مع رجل واختلفنا فانصرف قبلي."

"لا أستطيع أن أفعل هذا، يا مدام،" قال البائع.

في تلك الأثناء فكر أحد المديرين المساعدين الذي كان يراقب المجموعة عند كشك الجلات من ركن آخر من أركان البهو أنه قد حان الوقت كي يتدخل. كان قد ارتاب كثيرًا في السيدة كويل، التي لم يبدو لها أنها ترتقي إلى مستوى بقية النزلاء بأي شكل، ولا حتى من بعيد. كان قد تساءل أيضًا عما قد يجعل النادل يظل واقفًا أمام كشك الجلات لمدة طويلة هكذا. سار متجهًا إليهم وبدا جادًا ومتفهمًا لأقصى قدرٍ يستطيعه.

"ها هو دفتر حسابي المصرفي،" كانت السيدة كويل تقول للبائع.

شعر النادل، بمجرد أن رأى المدير المساعد يقترّب، بالرعب وعلى الفور قدّم إلى السيدة كويل حساب المشروبات التي تناولتها هي وتوبي معًا.

"تدينين بستة دولارات في الشرفة،" قال للسيدة كويل. "ألم يدفع  
ثمنها؟" قالت. "لا بد أنه كان في حالة فظيعة."

"هل يمكنني مساعدتك؟" سأل المدير المساعد السيدة كويل.  
"متأكدة أن في استطاعتك ذلك،" قالت، "أنا مالكة فندق لاس بالماس."

"أنا آسف،" قال المدير، "لكنني لا أعرف فندق لاس بالماس."

"حسنًا،" قالت السيدة كويل، "ليس معي أي نقود. أتيت هنا مع  
رجل، اختلفنا، لكن معي هنا دفتر حسابي ويثبت لك أنه سيكون معي  
النقود بمجرد أن أذهب إلى البنك غدًا. لا يمكنني أن أوقع شيكًا لأن  
النقود في حساب الادخار."

"أنا آسف،" قال المدير المساعد، "لكننا نمنح مهلة السداد فقط  
للعلماء المقيمين في الفندق."

"أفعل هذا أيضًا، في فندقي،" قالت السيدة كويل، "إلا إن كان  
الأمر خارجًا عن المعتاد."

"أحد قواعد عملنا هي ألا نمنح مهلة للسداد..."

"أردت أن آخذ هذه المنفضة معي لصديقتي. هي معجبة بفندقكم."

"تلك المنفضة من ممتلكات فندق واشنطن،" قال المدير المساعد،  
مقربًا بصرامة في وجه البائع، الذي قال بسرعة: "أرادت شيئًا مكتوبًا  
عليه 'فندق واشنطن'. لم يكن عندي أي شيء، لهذا فكرت أن أبيعها

واحدة من هذه — مقابل خمسين سنتًا، " أضاف، غامزًا للمدير المساعد، الذي كان يستعد للهجوم.

"هذه المنافض، " كرّر، " من ممتلكات فندق واشنطن. لدينا عدد محدود منها، وكل منفضة متوفرة تُستخدم باستمرار."

البائع، الذي لم يود أن يكون له أي صلة أخرى بالمنفضة مخافة أن يفقد وظيفته، أعادها إلى المنضدة التي أخذها من فوقها، وعاد إلى مكانه خلف الطاولة.

"هل تريدين المنديل أم القبعة؟" سألت السيدة كويل كما لو كان لم يحدث أي شيء.

"لديها كل من تحتاج إليه من القبعات والمناديل،" قالت السيدة كويل. "أعتقد أنه من الأفضل أن أعود إلى البيت."

"هلا أتيت معي إلى البهو لتسديد الفاتورة؟" سألت المدير المساعد.

"حسنًا، إن انتظرت فقط حتى الغد—"

"أخشى أن هذا قطعياً ضد لوائح الفندق، يا مدام. لتسيري معي في هذا الاتجاه." التفت إلى النادل، الذي كان يتبع الحوار باهتمام. "Te

*necesitan afuera*، " قال له، " اذهب."

كان النادل على وشك أن يقول شيئًا، لكنه قرّر ألا يفعل وسار ببطء مبتعدًا في اتجاه الشرفة. بدأت السيدة كويل في البكاء.

"انتظر دقيقة"، قالت، وهي تتناول منديلاً من حقيبتها. "انتظر دقيقة—أود أن أهاتف صديقتي باسيفيكا."

أشار المدير المساعد في اتجاه كبائن التليفونات، وهرعت إليها، ووجهها مدفون في منديلها. عادت بعدها بخمس عشرة دقيقة، وهي تبكي على نحو يثير الشفقة أكثر من ذي قبل.

"ستأتي السيدة كوبرفيلد كي تأخذني—أخبرتها بالأمر بأكمله. أعتقد أنني سأجلس في مكان ما وأنتظر."

"هل مع السيدة كوبرفيلد المبلغ اللازم لتغطية الفاتورة؟"  
"لا أعرف"، قالت السيدة كويل، مبتعدة عنه.

"نعين أنك لا تعرفين إن كانت ستستطيع دفع فاتورتك أم لا؟"  
"نعم، نعم، سوف تدفع فاتورتي. أرجوك دعني أجلس هناك."

هز المدير رأسه. تهاوت السيدة كويل على مقعد بجوار نخلة عالية. غطت وجهها بيديها واستمرت في البكاء.

بعدها بعشرين دقيقة وصلت السيدة كوبرفيلد. رغم الحر كانت ترتدي معطفاً بدون أكمام من فرو الثعلب الفضي أحضرته معها للاستخدام فقط في الأوساط العليا.

رغم أنها كانت تتصبب عرقاً، ومكياجها سيئ، فقد شعرت بالثقة في أن موظفي الفندق سيعاملونها بقدر معين من الاحترام بسبب معطف فرو الثعلب الفضي.

كانت قد استيقظت قبلها ببعض الوقت، وكانت مخمورة قليلاً  
مرة أخرى. أسرعت إلى السيدة كويل وقبّلتها فوق رأسها.

"أين الرجل الذي جعلك تبكين؟" سألت.

تلقت السيدة كويل حولها ونظرت بعينيها اللتين غشيتهما الدموع  
وأشارت إلى المدير المساعد. أو مأت السيدة كويرفيلد له بسبابتها.

أتى إليهما وسألته أين يمكنها الحصول على بعض الزهور من أجل  
السيدة كويل.

"لا شيء مثل الزهور حين تكون سقيم القلب أو مريض الجسد،"  
قالت له. "لقد كانت واقعة تحت ضغط رهيب. هل تُحضر بعض  
الزهور؟" سألت، وهي تُخرج ورقة بعشرين دولاراً من كيسها.

"لا يوجد بائع زهور في الفندق،" قال المدير المساعد. "ليس هذا  
فاخراً جداً،" قالت السيدة كويرفيلد.

لم يرد.

"حسناً إذن،" أضافت، "ثاني أفضل شيء هو أن نشترى لها شيئاً  
لطيفاً كي تشربه. أقترح أن نذهب جميعاً إلى البار."  
رفض المدير المساعد.

"لكن،" قالت السيدة كويرفيلد، "أصر على أن ترافقتنا. أود أن  
أُحدث عن الأمر معك. أعتقد أنك كنت بغيضاً."  
حملق المدير المساعد فيها.

"أبغض أمر في شأنك،" واصلت السيدة كوبرفيلد، "هو أنك متبرم الآن وأنت تعرف أن فاتورتك ستُسدد كما كنت من قبل. كنت خسيساً وقلقاً حينها وأنت خسيس وقلق الآن. لم يتغير التعبير على وجهك أدنى تغيير. إنه لرجل خطير من يكون له رد الفعل نفسه على الأخبار السيئة والأخبار السارة."

بما أنه لم يبدل أي مجهود كي يتحدث، فقد واصلت: "لم تتسبب فقط في أن تشعر السيدة كويل ببؤس تام بدون أي سبب على الإطلاق، لكنك أفسدت استمتاعي أيضاً. لا تعرف حتى كيف تُرضي الأغنياء." رفع المدير المساعد حاجبيه.

"لن تفهم هذا لكنني سأخبرك به على أي حال. أتيت هنا لسببين. السبب الأول، بطبيعة الحال، كي أخرج صديقتي السيدة كويل من المشكلة؛ السبب الثاني كان كي أرى وجهك حين تُدرك أن فاتورة لم تتوقع قط أن تُدفع يُدفع حسابها. توقعت أن أتمكن من رؤية الانتقال. تفهم - من عدو إلى صديق - هذا دائماً أمر مثير جداً. لهذا السبب في فيلم جيد غالباً ما يكره البطل البطل حتى قرب النهاية. لكنك، بالطبع، لم تكن لتحلم بخفض معاييرك. تعتقد أنه من الرخص أن تتحول إلى إنسان لطيف لأنك اكتشفت وجود نقود حيث كنت متأكداً من أنه لن تأتي أي نقود. هل تعتقد أن الأغنياء يمانعون؟ لا يكتفون من هذا أبداً. يودون أن يُحبوا من أجل أموالهم أيضاً، وليس لشخصهم فقط. لست حتى مدير فندق كفتاً. أنت بالتأكيد فظ بكل معنى الكلمة."

نظر المدير المساعد بكراهية في وجه السيدة كوبرفيلد المرفوع. لقد كره ملاحظها الحادة وصوتها المرتفع. وجدها مثيرة للاشمئزاز أكثر حتى من السيدة كويل. لم يكن مغرمًا بالنساء على أي حال.

"ليس لديك أي خيال،" قالت، "لا خيال على الإطلاق! يفوتك كل شيء. أين يمكنني أن أدفع الفاتورة؟"

في طريق العودة بأكمله شعرت السيدة كوبرفيلد بالحزن لأن السيدة كويل كانت وقورة ومتباعدة ولم تعطها الشكر الجزيل الذي كانت تتوقعه.

مبكراً في الصباح التالي كانت السيدة كوبرفيلد وباسيفيكا معاً في غرفة نوم باسيفيكا. كانت السماء على وشك الشروق. لم تر السيدة كوبرفيلد باسيفيكا مخمورة هكذا قط. كان شعرها مرفوعاً أعلى رأسها. بدا الآن مثل باروكة صغيرة قليلاً على من ترتديها. كانت حدقتا عينيها كبيرتين جداً وعليهما القليل من الغشاوة. كانت ثمة بقعة داكنة كبيرة على الجزء الأمامي من تنورتها ذات المربعات. ونفسها نفوح منه رائحة ويسكي نفاذة. ترنحت حتى النافذة ونظرت إلى الخارج. كانت الغرفة مظلمة تماماً. بصعوبة استطاعت السيدة كوبرفيلد تمييز المربعات الحمراء من المربعات القرمزية في تنورة باسيفيكا. لم تستطع أن ترى ساقها على الإطلاق، كانت الظلال عميقة جداً، لكنها كانت تعرف الجوارب الحريرية الصفراء الثقيلة والحذاء الأبيض جيداً.



"الجو رائع جداً،" قالت السيدة كوبرفيلد.

"جميل،" قالت باسيفيكا، وهي تلتفت، "جميل." مشت متعثرة في أرجاء الغرفة. "اسمعي،" قالت، "أروع ما يمكن أن يُفعل الآن هو الذهاب إلى الشاطئ والسباحة في الماء. إن كان معك ما يكفي من المال يمكننا أن نستقل سيارة أجرة ونذهب. هيا. هل تفعلين؟"

فوجئت السيدة كوبرفيلد بطبيعة الحال، لكن باسيفيكا كانت تجذب بالفعل بطانية من الفراش. "أرجوك،" قالت. "لا يمكنك معرفة مقدار المتعة التي سيعطيها لي هذا. عليك أن تأخذي تلك المنشفة هناك."

لم يكن الشاطئ بعيداً جداً. حين وصلتا، أخبرت باسيفيكا سائق التاكسي أن يعود بعد ساعتين.

كان الشاطئ مبذوراً بالصخور؛ مثل هذا خيبة أمل للسيدة كوبرفيلد. رغم أن الريح لم تكن قوية جداً، فقد لاحظت أن الفروع العليا من أشجار النخيل كانت تهتز.

خلعت باسيفيكا ملابسها ومشت على الفور إلى الماء. وقفت لبرهة وساقاها منفرجتان على اتساعهما، والماء يصل بالكاد حتى قصبي ساقيها، بينما جلست السيدة كوبرفيلد فوق صخرة تحاول أن تقرّر إن كانت ستخلع ملابسها أم لا. سمعت صوت سقوط في الماء، وبدأت باسيفيكا في السباحة. سبحت أولاً على ظهرها ثم بطنها، وكانت السيدة كوبرفيلد متأكدة أن في استطاعتها سماعها تغني. حين ملّت باسيفيكا في

النهاية من الخوض في الماء، وقفت ومشت في اتجاه الشاطئ. أخذت خطوات هائلة وكان شعر عانتها متدلياً بين ساقيها يقطرُ بللاً. بدت السيدة كوبرفيلد محرجة قليلاً، غير أن باسيفيكا جلست جوارها وسألته لم لم تنزل الماء.

"لا أستطيع السباحة"، قالت السيدة كوبرفيلد.

رفعت باسيفيكا نظرها إلى السماء. استطاعت أن ترى الآن أنه لن يكون يوماً صافياً تماماً.

"لم تجلسين فوق هذه الصخرة الرهيبة؟" قالت باسيفيكا. "هيا، اخلعي ملابسك ولننزل الماء. سأعلمك كيف تسبحين."

"لم أستطع قط أن أتعلم."

"سوف أعلمك. إن لم تستطيعي التعلم فسأتركك تغرقين. لا، هذه مجرد مزحة. لا تأخذها بجدية."

خلعت السيدة كوبرفيلد ملابسها. كانت بيضاء جداً ونحيفة، وكان عمودها الفقري مرئياً على امتداد ظهرها. نظرت باسيفيكا إلى جسدها بدون أن تقول أي كلمة.

"أعرف أن لي قواماً فظيماً"، قالت السيدة كوبرفيلد. لم ترد باسيفيكا. "هيا"، قالت، وهي تنهض وتضع ذراعها حول خصر السيدة كوبرفيلد.

وقفنا والماء يصل حتى أفخاذهما، تواجهان الشاطئ وأشجار النخيل. بدت الأشجار كما لو كانت تتحرك خلف الضباب. كان الشاطئ بلا لون. خلفهما كان ضوء السماء يزداد بسرعة كبيرة، لكن البحر كان ما زال أسود تقريباً. لاحظت السيدة كوبرفيلد قرحة حمى حمراء على شفة باسيفيكا. كان الماء يقطر من شعرها فوق كتفيها.

التفتت مبتعدة عن الشاطئ وجذبت السيدة كوبرفيلد للخوض  
أبعد في الماء.

تشبثت السيدة كوبرفيلد بذراع باسيفيكا تشبثاً شديداً. وسرعان ما وصل الماء حتى ذقنها.

"الآن، استلقي على ظهرك، سوف أحملك من تحت رأسك،"  
قالت باسيفيكا.

تلفتت السيدة كوبرفيلد حولها بجموح، لكنها أطاعت، وطففت فوق ظهرها فقط بمساعدة من ذراع باسيفيكا المفرودة تحت رأسها كي تقيها من الغرق. كان بوسعها رؤية قدميها الصغيرتين طافيتين على صفحة الماء. بدأت باسيفيكا في السباحة، ساحة السيدة كوبرفيلد معها. بما إنه لم يكن بإمكانها سوى أن تستخدم ذراعاً واحدة فقط، فقد كانت مهمتها شاقة وبعد قليل أصبح تنفسها مثل تنفس ثور. كانت لمسة يدها تحت رأس السيدة كوبرفيلد خفيفة جداً—في الحقيقة، خفيفة جداً إلى درجة أن السيدة كوبرفيلد خشيت أنها ستترك بمفردها في أي لحظة.

نظرت إلى أعلى. كانت السماء تكتظ بغيوم رمادية. أرادت أن تقول شيئاً لباسيفيكا، لكنها لم تجرؤ على الالتفات برأسها.

سبحت باسيفيكا بعيداً قليلاً. وقفت فجأة ووضعت كلتا يديها بثبات على الجزء الضيق من نهاية ظهر السيدة كوبرفيلد. شعرت السيدة كوبرفيلد بالسعادة والسقم في آن. التفتت بوجهها وفي فعلها هذا مست بطن باسيفيكا الثقيل مسةً خفيفةً بخدها. تشبثت بفخذ باسيفيكا بقوة أعوام من الأسى وخيبة الأمل في يدها.

"لا تتركيني،" نادت.

في هذه اللحظة تذكّرت السيدة كوبرفيلد بقوة حلمًا تكرّر كثيراً في حياتها. يطاردها فيه كلب إلى أعلى تل صغير. في قمة التل ثمة بعض أشجار الصنوبر ومانيكان طولها ما يقارب ثمانية أقدام. اقتربت من المانيكان واكتشفت أنها صنّعت من اللحم، لكن من دون حياة. كان ثوبها من مخمل أسود، يضيق جداً في نهايته. لفّت السيدة كوبرفيلد إحدى ذراعي المانيكان بقوة حول خصرها. جفلت من غلظة الذراع وسرها ذلك. أما ذراع المانيكان الأخرى فثنتها إلى أعلى عند المرفق بيدها الحرة. ثم بدأت المانيكان في التراجع إلى الأمام وإلى الخلف. تعلقت السيدة كوبرفيلد بالمانيكان أكثر، ومعمًا سقطتنا من أعلى قمة التل واستمرتنا في التدرج لمسافة كبيرة حتى وصلتنا إلى ممشى قصير، حيث ظلنا متعانقتين. كانت السيدة كوبرفيلد تُفضّل هذا الجزء من الحلم؛ وحقيقة أن في الطريق بأكمله إلى سفح التل أدت المانيكان دور عازل

بينها وبين الزجاجات المكسورة، وأن الأحجار الصغيرة التي سقطت  
فوقها أعطتها إشباعًا خاصًا.

بعثت باسيفيكا الحياة في المحتوى العاطفي لحلمها للحظة، وهو ما  
فكرت السيدة كوبرفيلد أنه بالتأكيد سبب بهجتها الغريبة.

"الآن"، قالت باسيفيكا، "إن لم تمنعني فسوف أسبح مرة واحدة  
أخرى بمفردي." لكنها ساعدت أولاً السيدة كوبرفيلد على أن تقف  
على قدميها وقادتها عائدة إلى الشاطئ، حيث تهاوت السيدة كوبرفيلد  
على الرمل ورفعت رأسها مثل وردة ذابلة. كانت منهكة وترتعش مثلما  
يكون المرء بعد تجربة حب. رفعت عينيها إلى باسيفيكا، التي لاحظت أن  
عينيها كانتا أكثر بريقًا ونعومةً مما رأتهما في أي وقت سابق.

"عليك أن تذهبي إلى الماء أكثر"، قالت باسيفيكا؛ "تبقين في البيت  
أكثر مما يجب."

جرت عائدة إلى الماء وسبحت ذهابًا وإيابًا عدة مرات. كان البحر  
أزرق الآن وأكثر هياجًا مما كان عليه من قبل. في أثناء سباحتها  
استرخت باسيفيكا برهةً فوق صخرة كبيرة مستوية السطح كان المد  
المنحسر قد كشفها. كانت مباشرة تحت مسار الأشعة الباهتة للشمس  
الغائمة. وجدت السيدة كوبرفيلد صعوبة في أن تراها وسرعان ما  
سقطت في النوم.

بمجرد عودتهما إلى الفندق، أخبرت باسيفيكا السيدة كوبرفيلد أنها ستنام مثل شخص ميت. "أتمنى ألا أستيقظ لعشرة أيام"، قالت.

راقبتها السيدة كوبرفيلد تترنح إلى نهاية الممر الأخضر الساطع، تتشاب وتهمز رأسها.

"سوف أنام لأسبوعين"، قالت مرة أخرى، ثم دخلت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها. في غرفتها هي، قرّرت السيدة كوبرفيلد أن من الأفضل لها أن تمر بالسيد كوبرفيلد. هبطت إلى الدور الأرضي وخرجت إلى الشارع، الذي بدت الحركة فيه كما كانت في اليوم الأول من وصولها. كان هناك بالفعل بعض الناس جالسين في شرفاتهم وينظرون إليها. كانت فتاة نحيفة جدًا، مرتدية ثوبًا حريريًا أحمر ينسدل حتى كاحليها، تعبر الشارع في اتجاهها. بدت صغيرة على نحو يثير الدهشة وناضرة. حين أصبحت السيدة كوبرفيلد أقرب إليها قرّرت أنها ملايوية. جفلت قليلاً حين توقفت الفتاة أمامها مباشرة وخاطبتها بإنجليزية لا شائبة فيها.

"أين كنتِ كي يكون شعركِ مبللاً تمامًا؟" قالت.

"كنت أسبح مع صديقة لي. ذهبنا مبكرًا إلى الشاطئ." لم تشعر السيدة كوبرفيلد برغبة كبيرة في الحديث.

"أي شاطئ؟" سألت الفتاة.

"لا أعرف"، قالت السيدة كوبرفيلد.

"حسنًا، هل مشيتما إلى هناك أم أخذتما سيارة؟"

"أخذنا سيارة."

"لا يوجد أي شاطئ قريب بما يكفي كي يمشى إليه، على أي حال،" قالت الفتاة.

"لا، أظن أنه لا يوجد،" قالت السيدة كوبرفيلد، متنهدة ومتلפתة حولها. كانت الفتاة تسير بجوارها.

"هل كان الماء باردًا؟" سألت الفتاة.

"نعم ولا،" قالت السيدة كوبرفيلد.

"هل سبحت في الماء عاريةً مع صديقتك؟" "نعم."

"إذن لم يكن هناك أي أحد في المكان، على ما أعتقد."

"لا، لم يكن هناك أحد هناك. هل تسبحين؟" سألت السيدة كوبرفيلد الفتاة.

"لا،" قالت، "لا أقترّب أبدًا من الماء." كان للفتاة صوت حاد. وشعرها فاتح اللون وكذلك حاجباها. كان من الممكن أن تكون نصف إنجليزية. قرّرت السيدة كوبرفيلد ألا تسألها. التفتت إلى الفتاة.

"سوف أقوم باتصال هاتفي. أين أقرب مكان يوجد به تليفون؟"

"تعالي إلى مطعم بل جراي. يُيقون المكان في حالة جيدة. في العادة أفضي صباحاتي هناك أشرب مثل سمكة. مجلّول الظهر أترنح من السكر. أثير صدمة السياح. أنا نصف أيرلندية نصف جاوية. يتراهنون على ما أكون. أي من يكسب عليه أن يشتري لي مشروبًا. خمني كم عمري."

"الرب يعلم،" قالت السيدة كوبرفيلد.

"حسنًا، أنا في السادسة عشرة."

"ممكن جدًا،" قالت السيدة كوبرفيلد. بدت الفتاة متزعجة. سارتا في صمت إلى مطعم بل جراي، حيث دفعت الفتاة السيدة كوبرفيلد عبر الباب وعبر المطعم نحو مائدة في منتصفه.

"اجلسي واطلبي أيًا ما ترغين. على حسابي،" قالت الفتاة. كانت هناك مروحة كهربائية تدور بسرعة فوق رأسيهما. "أليس الجو لذيذًا هنا؟" قالت للسيدة كوبرفيلد.

"دعيني أقوم باتصالي الهاتفي،" قالت السيدة كوبرفيلد، التي كانت مرعوبة من أن يكون السيد كوبرفيلد قد أتى منذ عدة ساعات ويبتظر بنفاد صبر مكالماتها في هذه اللحظة ذاتها.

"قومي بكل ما ترغين فيه من المكالمات،" قالت الفتاة.

دخلت السيدة كوبرفيلد كابينة التلفزيون واتصلت بزوجها. قال إنه وصل منذ مدة قصيرة، وأنه سيتناول الإفطار وينضم إليها بعد ذلك في مطعم بل جراي. بدا صوته باردًا ومتعبًا.

بينما تنتظر بلهفة عودة السيدة كوبرفيلد، طلبت كوكتيلين. عادت السيدة كوبرفيلد إلى المائدة وارتمت فوق مقعدها.



"لا أستطيع أبدًا أن أنام إلى وقت متأخر من الصباح،" قالت الفتاة. "لا يروق لي أن أنام في الليل حتى إن لم يكن عندي أي شيء أفضل أفعله. أخبرني أمي أنني كنت عصبية مثل قطة، لكن على صحة جيدة. التحقت بمدرسة الرقص لكنني كنت أكثر كسلًا من أن أتعلم الخطوات."

"أين تقيمين؟" سألت السيدة كوبرفيلد.

"أقيم وحدي في فندق. عندي الكثير من المال. رجل في الجيش واقع في حبي. إنه متزوج لكنني لا أخرج أبدًا مع أي أحد آخر. يعطيني الكثير من المال. عنده حتى مزيد من المال في بيته. سوف أشتري لك ما تريد. لكن لا تخبري أي أحد هنا أن معي نقودًا لأنفقها على الآخرين. لا أشتري أي شيء من أجلهم أبدًا. يسببون لي الألم. يعيشون حياة رهيبة. رخيصة جدًا؛ غبية جدًا؛ غبية جدًا جدًا! ليس لديهم أي خصوصية. عندي غرفتان. يمكنك استخدام إحدهما إن أحببت."

قالت السيدة كوبرفيلد إنها ليست في حاجة لذلك، بحزم شديد. لم تكن تروقها هذه الفتاة على الإطلاق.

"ما اسمك؟" سألتها الفتاة.

"فريدا كوبرفيلد."

"اسمي بييجي — بييجي جلاديس. بدوت لي فاتنة على نحو ما  
وشعرك مبتل تمامًا وأنفك الصغير لامع كما كان. لهذا طلبت منك أن  
تشربي معي."

قفزت السيدة كوبرفيلد واقفة. "أرجوك لا تخرجيني"، قالت.

"أوه، دعيني أخرجك، يا فاتنة. الآن انتهى من مشروبك وسوف  
آتي لك بالمزيد. ربما أنت جائعة وتريدين بعض اللحم."

كان للفتاة العيون البراقة لامرأة لا يرتوي شبقها. كانت ترتدي  
ساعة صغيرة سخيفة فوق وشاح أسود حول معصمها.

"أقيم في فندق لاس بالماس"، قالت السيدة كوبرفيلد. "أنا صديقة  
للمديرة هناك، السيدة كويل، ولواحدة من نزيلاتها، باسيفيكا."

"ليس على ما يرام، ذلك الفندق"، قالت بييجي. "ذهبت إلى هناك  
مع بعض الأشخاص لنشرب ذات ليلة وقلت لهم: 'إن لم تستديروا إلى  
الخلف وتغادروا هذا الفندق، فلن أسمح لكم أن تأخذوني إلى الخارج مرة  
أخرى أبدًا.' إنه مكان رخيص؛ مكان فظيع؛ وبالإضافة إلى هذا هو  
قدر تمامًا. أنا مندهشة أنك تقيمين هناك. فندقي ألطف كثيرًا. بعض  
الأمريكيين يقيمون هناك حين يأتون من القوارب إن لم يذهبوا إلى فندق  
واشنطن. إنه فندق جراناذا."

"نعم، هذا هو حيث كنا نقيم في الأصل،" قالت السيدة كوبرفيلد. "زوجي هناك الآن. أعتقد أنه أكثر مكان يثير الاكتئاب وطئته قدمي. أعتقد أن فندق لاس بالماس ألطف منه مائة مليون مرة."

"لكن،" قالت الفتاة، فاعرة فاها بضيق، "أعتقد أنك لم تنظري بتمعن شديد. لقد وضعت كل أشيائي الخاصة في غرفتي بطبيعة الحال، وهذا يجعل الأمور تختلف كثيرًا."

"كم المدة التي قضيتها هناك؟" سألت السيدة كوبرفيلد. كانت تشعر بالحيرة التامة بشأن هذه الفتاة وبقليل من الأسف أيضًا.

"أقيم هناك منذ سنة ونصف. يبدو عمرًا كاملاً. انتقلت إلى هناك بعد قليل من لقائي بالرجل الذي في الجيش. إنه لطيف جدًا معي. أعتقد أنني أكثر ذكاءً منه. هذا لأنني فتاة. أمي أخبرتني أن الفتيات لسن أبدًا غيبات مثل الرجال، لهذا فإنني فقط أمضي قدمًا وأفعل أيًا ما أعتقد أنه الصواب."

كان وجه الفتاة عذبًا ويشبه وجه جنيّة. لها ذقن مشقوقة وأنف أفطس صغير.

"بصراحة،" قالت، "لدي الكثير من المال. يمكنني دائمًا أن أحصل على المزيد. أحب أن أشتري لك أي شيء تريدين، لأنني أحب الطريقة التي تتحدثين بها وشكلك والطريقة التي تتحركين بها؛ أنت أنيقة." ضحكت بعصبية، وضعت يدها الجافة الخشنة في يد السيدة كوبرفيلد.

"أرجوك"، قالت، "كوني ودودة معي. لا أرى كثيرًا أناسًا يروقون لي. لا أفعل الشيء نفسه مرتين أبدًا، حقًا لا أفعل. لم أدعُ أي أحد إلى غرفتي منذ مدة طويلة لأنني غير مهتمة، ولأنهم يجعلون كل شيء قدرًا جدًا. أعلم أنك لن تُوسّخي أي شيء لأن بوسعي رؤية أنك تأتين من طبقة لطيفة من الناس. أحب الناس ذوي التعليم الجيد. أعتقد أنه أمر رائع."

"بالي مشغول جدًا"، قالت السيدة كوبرفيلد. "بشكل عام لم أحصل على تعليم جيد."

"حسنًا، إنسي هذا"، قالت الفتاة الصغيرة بغطرسة. "أنت مع بيجي جلاديس وسوف تدفع ثمن مشروباتك. لأنها تريد من كل قلبها أن تدفع ثمن مشروباتك. إنه صباح جميل حقًا. فلتبتهجي!" أمسكت بالسيدة كوبرفيلد من كمّها وهزتها.

كانت السيدة كوبرفيلد ما زالت غارقة في سحر حلمها وفي أفكارها عن باسيفيكا. لم تكن على راحتها، وبدا أن المروحة الكهربائية تدفع بالهواء مباشرة إلى قلبها. جلست تحمق أمامها مباشرة، من دون أن تنصت لأي كلمة مما تقوله الفتاة.

لم تدر كم من الوقت كانت تحلم حين نظرت إلى أسفل ورأت استاكوزا في طبق أمامها.

"أوه،" قالت، "لا يمكنني أن أكل هذا. لا يوجد أي احتمال أن أكل هذا."

"لكنني طلبته لك،" قالت پيجي، "وبعض البيرة في الطريق. أخبرتهم أن يأخذوا كوكتيلك لأنك لم تلمسيه." مالت عبر المائدة، وثبتت منديل السيدة كوبرفيلد تحت ذقنها.

"أرجوكِ كُلي، يا عزيزتي،" قالت پيجي، "ستسريني كثيراً إن فعلت."

"ماذا تظنين أنكِ تفعلين؟" قالت السيدة كوبرفيلد عابسةً، "تتظاهرين بأننا في بيت؟"

ضحكت پيجي.

"تعرفين،" قالت السيدة كوبرفيلد، "أن زوجي سيأتي إلى هنا كي ينضم إلينا. سيعتقد أننا جننا جنوناً مُطبقاً كي نأكل استاكوزا في الصباح. إنه لا يفهم مثل هذه الأشياء."

"حسناً، فلنأكلها بسرعة إذن،" قالت پيجي. نظرت بحزن إلى السيدة كوبرفيلد. "أتمنى ألا يأتي،" قالت. "ألا يمكنكِ الاتصال به وإخباره ألا يأتي؟"

"لا، يا عزيزتي، سيكون هذا مستحيلًا. بالإضافة إلى ذلك، ليس لدي أي سبب لإخباره ألا يأتي. أنا متلهفة جداً على رؤيته." لم تستطع السيدة كوبرفيلد مقاومة أن تكون سادية قليلاً مع پيجي جلاديس.

"بالطبع تريدين رؤيته،" قالت بييجي، وقد بدت خجولة جدًا ورزينة. "سأكون هادئة جدًا حين يكون هنا، أعدكِ."

"هذا بالضبط هو ما لا أريدك أن تفعلي. أرجو أن تواصلني ثرثرتك حين يكون هنا."

"بالطبع، يا عزيزتي. لا تكوني عصبية هكذا."

وصل السيد كوبرفيلد بينما تتناولان الاستاكوزا. كان يرتدي حلة خضراء داكنة ويبدو في حالة طيبة جدًا. أتى إلى طاولتهما وهو يبتسم بلطف.

"مرحبًا،" قالت السيدة كوبرفيلد. "أنا مسرورة جدًا لرؤيتك. تبدو في حالة طيبة. هذه هي بييجي جلاديس؛ تقابلنا للتو."

صافحها وبدا مسرورًا جدًا. "ماذا تأكلان بحق السماء؟" سألهما.

"استاكوزا،" ردتا. عبس وجهه. "لكن،" قال، "ستصابان بعسر الهضم، وتشربان البيرة أيضًا! يا إلهي!" جلس.

"لا أقصد أن أتدخل، بطبيعة الحال،" قال السيد كوبرفيلد، "لكنه سيء جدًا. هل تناولتما الإفطار؟"

"لا أعرف،" قالت السيدة كوبرفيلد بافتعال. ضحكت بييجي جلاديس. رفع السيد كوبرفيلد حاجبيه.

"لا بد أنك تعرفين،" همهم، "لا تكوني سخيفة." سأل بيجي جلاديس من أين هي.

"أنا من بنما،" أخبرته، "لكنني نصف أيرلندية نصف جاوية."

"فهمت،" قال السيد كوبرفيلد. داوم على الابتسام لها. "باسيفيكا نائمة،" قالت السيدة كوبرفيلد فجأة.

قطب السيد كوبرفيلد. "حقا،" قال، "هل ستعودين إلى هناك؟"

"ماذا تعتقد أنني سأفعل؟"

"لا يوجد أي معنى في البقاء هنا بعد الآن. اعتقدت أننا سنحزم حقائبنا. قمت ببعض الترتيبات في بنما. يمكننا أن نبحر في الغد. عليّ أن أتصل بهم الليلة. اكتشفت الكثير عن الدول المختلفة في أمريكا الوسطى. قد يكون من الممكن لنا أن نقيم فيما يشبه مزرعة للماشية في كوستاريكا. أخبرني بأمرها رجل ما. إنها منعزلة تمامًا. عليك أن تذهبي إليها في قارب نهري."

بدت بيجي جلاديس ضجرة.

وضعت السيدة كوبرفيلد رأسها بين يديها.

"تخيلي مكافات زرقاء وحمراء تطير فوق الماشية،" ضحك السيد كوبرفيلد. "تكساس لاتينية. من المؤكد أنها مجنونة تمامًا."

"مكاوات زرقاء وحمراء تطير فوق الماشية،" كررت پيجي جلاديس وراءه. "ما هي المكاوات؟" سألت.

"هي طيور زرقاء وحمراء رائعة، تشبه الببغاوات إلى حد كبير." قال السيد كوبرفيلد. "بما أنكما تأكلان استاكوزا أعتقد أنني سأتناول آيس كريم بالقشدة المخفوقة."

"إنه لطيف،" قالت پيجي جلاديس.

"اسمع،" قالت السيدة كوبرفيلد، "أشعر بالغثيان. لا أعتقد أنني أستطيع الجلوس حتى تنتهي من الآيس كريم." "لن آخذ وقتًا طويلاً،" قال السيد كوبرفيلد. نظر إليها. "من المؤكد أنها الاستاكوزا."

"ربما من الأفضل أن أخذها لفندقي جراناذا،" قالت پيجي جلاديس، وهي تقفز واقفة بحفة. "ستكون مرتاحة جدًا هناك. ثم يمكنك أن تأتي بعد تناول الآيس كريم."

"يبدو هذا معقولاً، ألا تعتقدين هذا، يا فريدا؟"

"لا،" قالت السيدة كوبرفيلد بحدة، وهي تقبض على السلسلة التي ارتدتها حول عنقها. "أعتقد أنه من الأفضل أن أعود مباشرة إلى فندق لاس بالماس. عليّ أن أذهب. عليّ أن أذهب على الفور..." كانت مضطربة جدًا لدرجة أنها نهضت عن المائدة، ناسية حقيبتها الصغيرة ووشاحها، وشرعت في مغادرة المطعم.



"لكنك تركت كل شيء وراءك،" ناداها السيد كوبرفيلد.

"سوف آخذها،" أعلنت بيجي جلاديس. "تناول أنت الآيس كريم وتعال فيما بعد." هرعت خارجة وراء السيدة كوبرفيلد، وجرتا معاً في الشارع خانق الحرارة نحو فندق لاس بالماس.

كانت السيدة كويل تقف في المدخل تشرب شيئاً ما مباشرة من زجاجة.

"أنا في عربة قطف الكريز حتى وقت العشاء،" قالت.

"أوه، سيدة كويل، اصعدي معي إلى غرفتي!" قالت السيدة كوبرفيلد، وهي تضع ذراعيها حول السيدة كويل وتتنهد بعمق. "لقد عاد السيد كوبرفيلد."

"لماذا لا تصعدين معي أنا؟" قالت بيجي جلاديس. "لقد وعدت زوجك أن أعطني بك."

استدارت السيدة كوبرفيلد. "أرجوك كوني هادئة،" صاحت، وهي تنظر بحدة إلى بيجي جلاديس.

"الآن، الآن،" قالت السيدة كويل، "لا تضايقي الفتاة الصغيرة. سيكون علينا أن نعطيها كعكة عسل كي نهدئها. بالطبع تطلب الأمر أكثر من كعكة عسل لتهديتي حين كنت في سنها."

"أنا على ما يرام،" قالت پيجي جلاديس. "هل تفضلين بأخذنا إلى غرفتها؟ من المفترض أن تستلقي على ظهرها."

جلست الفتاة الصغيرة على حافة سرير السيدة كوبرفيلد ويدها على جبهة السيدة كوبرفيلد.

"أنا آسفة،" قالت. "تبدين في حالة سيئة جداً. أتمنى ألا تكوني تعيسة هكذا. أليس من الممكن ألا تفكري في هذا الآن وتفكري فيه في يوم آخر؟ أحياناً إذا تركت الأمور تهدأ... لست في السادسة عشرة، أنا في السابعة عشرة. أشعر مثل طفلة. لا يبدو أن بوسعي قول أي شيء بدون أن يفكر الناس أنني صغيرة جداً. ربما لا يروقك أنني مباشرة هكذا. أنت بيضاء وخضراء. لا تبدين جميلة. بدوت أجمل كثيراً قبل هذا. بعد أن يأتي زوجك هنا وينصرف سأخذك في جولة في عربة إن أردت. أُمي متوفاة،" قالت الفتاة برقة.

"اسمعي،" قالت السيدة كوبرفيلد. "إن لم تمنعي في الذهاب الآن... أود أن أكون بمفردي. يمكنك العودة فيما بعد."

"في أي وقت يمكنني أن أعود؟"

"لا أعرف؛ عودي فيما بعد؛ ألا ترين؟ لا أعرف."

"حسناً،" قالت پيجي جلاديس. "ربما يجب عليّ فقط أن أنزل وأتحدث مع تلك المرأة السمينة، أو أشرب. ثم حين تكونين مستعدة

يمكنك أن تتزلي. ليس لدي أي شيء أفعله لثلاثة أيام. هل تريدني مني فعلاً أن أذهب؟"

هزت السيدة كوبرفيلد رأسها.  
غادرت الفتاة الغرفة على مضض.

بدأت السيدة كوبرفيلد في الارتجاف بعد أن أغلقت الفتاة الباب خلفها. كانت ترتجف بعنف إلى درجة أنها هزت السرير. كانت تعاني بقدر كل ما عانته من قبل، لأنها كانت ستفعل ما أرادت أن تفعل. لكن هذا لن يجعلها سعيدة. لم يكن لديها الشجاعة كي تتوقف عن فعل ما أرادت أن تفعل. عرفت أنه لن يجعلها سعيدة، لأن فقط أحلام المجانين هي ما تتحقق. فكرت أنها كانت مهتمة فقط باستنساخ حلم، لكن في فعلها هذا أصبحت بالضرورة ضحية كاملة لكابوس.

دخل السيد كوبرفيلد بهدوء شديد إلى غرفتها. "كيف تشعرين الآن؟" سأل.

"أنا على ما يرام،" قالت.

"من كانت تلك الفتاة الصغيرة؟ لقد كانت جميلة جداً—من وجهة نظر نحتية."

"اسمها ييجي جلاديس."

"كانت تتحدث بشكل جيد، ألم تفعل؟ أم هل أنا على خطأ؟"

"كانت تتحدث بشكل جميل."

"هل كنت تفضين وقتًا طيبًا؟"

"قضيت أروع أوقات حياتي على الإطلاق،" قالت السيدة كوبرفيلد، وهي تكاد تبكي.

"قضيت وقتًا لطيفًا أنا أيضًا في استكشاف بنما سيتي. لكن غرفتي كانت غير مريحة إلى حد كبير. كان هناك أكثر مما يجب من الضجيج. لم أستطع النوم."

"لم تأخذ غرفة ألطف في فندق أفضل؟"

"تعرفيني. أكره إنفاق المال. لا أفكر أبدًا أن الأمر يستحق. ربما كان عليّ أن أفعل. كان من الأفضل أن أشرب أيضًا. كنت لأقضي وقتًا أفضل. لكنني لم أفعل."

كانا صامتتين. نقر السيد كوبرفيلد فوق المائدة. "أعتقد أن علينا أن نغادر الليلة،" قال، "بدلاً من الاستمرار هنا. كل شيء غالٍ جداً هنا. لن يكون هناك قارب آخر لعدة أيام."

لم ترد السيدة كوبرفيلد.

"ألا تعتقدين أنني على صواب؟"

"لا أريد أن أذهب،" قالت، وهي تتلوى فوق السرير.

"لا أفهم،" قال السيد كوبرفيلد.

"لا أستطيع أن أذهب. أود أن أقيم هنا."

"لأي مدة؟"

"لا أعرف."

"لكن ليس بوسعك تنظيم رحلة بهذه الطريقة. ربما لا تنوين تنظيم رحلة."

"أوه، سوف أنظّم رحلة،" قالت السيدة كوبرفيلد بغموض.  
"ستفعلين؟"  
"لا، لن أفعل."

"الأمر يعود إليك،" قال السيد كوبرفيلد. "فقط أعتقد أنه سيفوتك الكثير بعدم رؤية أمريكا الوسطى. من المؤكد أنك ستشعرين بالضجر هنا إلا إن بدأت في الشرب. من المحتمل أن تبدئي في الشرب."  
"لمّ لا تذهب، ثم تعود بعد أن ترى ما فيه الكفاية؟" اقترحت.

"لن أعود لأنني لا أستطيع النظر إليك،" قال السيد كوبرفيلد.  
"أنتِ مرعبة." مع قوله هذا، تناول إبريقاً فارغاً من فوق خزانة الأدراج، رماه من النافذة إلى الزقاق، وغادر الغرفة.

بعدها بساعة نزلت السيدة كوبرفيلد إلى البار. اندهشت وسُرّت لرؤية باسيفيكا هناك. رغم أن باسيفيكا وضعت الكثير من مسحوق التجميل على وجهها، فقد بدت متعبة. كانت تجلس إلى مائدة صغيرة مسكة بحافظتها في يديها.

"باسيفيكا،" قالت السيدة كوبرفيلد. "لم أعرف أنكِ مستيقظة. كنت متأكدة أنكِ نائمة في غرفتك. أنا مسرورة جداً لرؤيتك."

"لم أستطع إغماض عيني. نمت لخمس عشرة دقيقة وبعدها لم أستطع إغماض عيني. أتى أحد ما لرؤيتي."

أتت پيجي جلاديس إلى السيدة كوبرفيلد. "مرحبا،" قالت، وهي تمرر أصابعها في شعر السيدة كوبرفيلد. "هل أنت مستعدة الآن للقيام بتلك الجولة؟"

"أي جولة؟" سألت السيدة كوبرفيلد.

"الجولة في السيارة معي."

"لا، لست مستعدة،" قالت السيدة كوبرفيلد.

"متى ستكونين؟" سألت پيجي جلاديس.

"سوف أشترى بعض الجوارب،" قالت باسيفيكا. "هل تريدان أن

تأتي معي، يا كوبرفيلد؟"

"نعم، هيا بنا."

"بدا زوجك مزعجاً حين غادر الفندق،" قالت پيجي جلاديس.

"أتمنى ألا تكونا قد تشاجرتما."

كانت السيدة كوبرفيلد تخرج من الباب مع باسيفيكا. "لتسمحي

لنا،" هتفت لپيجي جلاديس خلفها. كانت تقف ساكنة وتنظر إليهما

مثل حيوان جريح.

كان الجو حاراً جداً في الخارج لدرجة أن حتى أكثر السائحات

تحفظاً، وقد كانت وجوههن وصدورهن تلتهب حمرة، خلعن قبعاتهن

وجففن جباههن بمناديلهن. كان أغلبهن، للهروب من الحر، يدخلن إلى المتاجر الهندية الصغيرة حيث، إن لم يكن المتجر مزدحمًا أكثر مما يجب، كان البائع يعرض عليهن مقعدًا صغيرًا كي يمكنهن معاينة عشرين كيمونو أو ثلاثين بدون أن يتعبن.

"*Qué calor!*" قالت باسيفيكا.

"لتذهب الجوارب إلى الجحيم"، قالت السيدة كوبرفيلد، التي خطر لها أنها على وشك أن تفقد الوعي. "هيا نشرب بعض البيرة."

"إن أردت، اذهبي واحصلي على بعض البيرة. عليّ أن أشتري بعض الجوارب. أعتقد أن سيقان امرأة عارية شيء فظيع."

"لا، سوف آتي معك." وضعت السيدة كوبرفيلد يدها في يد باسيفيكا.

"أوه!" صرخت باسيفيكا، محررةً يدها. "كلتانا مبتلة جدًا، يا

عزيزتي. "*Qué barbaridad!*"

كان المتجر الذي أخذت باسيفيكا السيدة كوبرفيلد إليه صغيرًا جدًا. كان الجو أكثر حرًا بداخله من الشارع حتى.

"ترين أنه يمكنك شراء العديد من الأشياء هنا،" قالت باسيفيكا.

"آتي إلى هنا لأنه يعرفني ويمكنني الحصول على جواربي مقابل القليل جدًا من المال."

بينما كانت باسيفيكا تشتري جواربها، نظرت السيدة كوبرفيلد في كل الأشياء الأخرى الصغيرة في المتجر. أخذت باسيفيكا وقتًا طويلًا إلى

درجة أن ضجر السيدة كوبرفيلد كان يتزايد. وقفت في البداية على قدم واحدة ثم على الأخرى. جادلت باسيفيكا وجادلت. كانت هناك بقع عرق داكنة تحت ذراعيها، وكان طرفا أنفها يرشحان.

حين انتهى الأمر ورأت السيدة كوبرفيلد أن البائع يلف المشتريات، ذهبت ودفعت الفاتورة. تمنى لها البائع حظاً طيباً، وغادرتا المتجر.

كان هناك خطاب لها في الفندق. أعطتها إياه السيدة كويل.

"ترك لك السيد كوبرفيلد هذا،" قالت. "حاولت أن أحثه على البقاء وشرب كوب شاي أو بعض البيرة، لكنه كان في عجلة. إنه رجل وسيم."

أخذت السيدة كوبرفيلد الرسالة وانجهدت ناحية البار. "مرحباً، يا عسل،" قالت بييجي جلاديس بنعومة.

رأت السيدة كوبرفيلد أن بييجي كانت مخمورة جداً. كان شعرها يتدلى فوق وجهها وعيناها ميتتين.

"ربما لست مستعدة بعد... لكن يمكنني الانتظار لوقت طويل. أحب أن أنتظر. لا أمانع في أن أكون بمفردي."

"فلتسمحي لي بدقيقة أقرأ فيها رسالة تسلمتها توأ من زوجي،" قالت السيدة كوبرفيلد.

جلست ومزقت المظروف.



فريدا العزيزة [تقرأ]،

لا أقصد أن أكون قاسياً لكنني سأكتب لكِ على وجه التحديد ما أعتبرها أخطاءك، وأمل صادقاً أن ما أكتبه قد يؤثر عليكِ. مثل معظم الناس، لستِ قادرة على مواجهة أكثر من خوف واحد خلال حياتكِ. تقضين حياتكِ أيضاً في الهروب من أول مخاوفكِ إلى أول آمالكِ. احذرى أن ينتهي بكِ الحال دائماً، عبر استعدادكِ ذاته، في الموضع نفسه الذي بدأتِ منه. لا أنصحكِ بقضاء حياتكِ وقد أحطتِ نفسكِ بتلك الأشياء التي تعتبرها ضرورية لوجودكِ، بصرف النظر عن إن كانت مثيرة للاهتمام بشكل موضوعي في ذاتها أو حتى للمكاثكِ أدتِ العقلية. أؤمن بصدق أنه فقط هؤلاء الرجال الذي يصلون إلى المرحلة التي يتسنى لهم فيها مجابهة مأساة ثانية داخل ذواتهم، وليس الأولى مرة أخرى، يستحقون أن يُدعوا ناضجين. حين تعتقدين أن أحداً ما يمضى قدماً، تأكدي من أنه لا يقف ساكناً. للمضى قدماً، عليكِ طرح أشياء وراءكِ معظم الناس على استعداد لفعالها. أملكِ الأول، تحملينه معكِ مثل حجر مغناطيس في صدركِ لأن كل رقة ستأتي من هناك. عليكِ حمله معكِ عبر حياتكِ بأسرها لكن عليكِ ألا تدورى حوله. عليكِ الكف عن البحث عن تلك الرموز التي تؤدي فقط لإخفاء وجهه عنكِ. ستوهمين أنها متعددة ومتشعبة لكنها في الحقيقة دائماً الشيء نفسه. إن كنتِ مهتمة فقط بحياة يمكن احتمالها، فربما هذا الخطاب لا يعينكِ. بحق الرب، ما زالت سفينة تغادر ميناءً شيئاً من الرائع رؤيته.

ج.ك.

كان قلب السيدة كوبرفيلد يدق بسرعة كبيرة. سحقت الخطاب في يدها وهزت رأسها مرتين أو ثلاثاً.

"لن أضايقك أبداً إلا إن طلبت مني أن أضايقك"، كانت ييجي جلاديس تقول. لم يبدو أنها تخاطب أي أحد على وجه التحديد. جالت عيناها من السقف إلى الحوائط. كان تبسم لنفسها.

"إنها تقرأ خطاباً من زوجها"، قالت، وهي تدع ذراعها تسقط بقوة فوق البار. "أنا شخصياً لا أريد زوجاً - أبداً - أبداً..."

هبت السيدة كوبرفيلد واقفة.

"باسيفيكا،" هتفت، "باسيفيكا!"

"من هي باسيفيكا؟" سألت ييجي جلاديس. "أريد أن أقابلها. هل هي جميلة مثلك؟ أخبريها أن تأتي إلى هنا..."

"جميلة؟" ضحك نادل البار. "جميلة؟ ولا واحدة منهما جميلة. كلتاها دجاجة عجوز. أنت جميلة حتى إن كنت خمورة إلى درجة العمى."

"أحضرها إلى هنا، يا عزيزتي"، قالت ييجي جلاديس، وهي تدع رأسها يسقط على البار.

"اسمعي، صديقتك خرجت من البار منذ دقيقتين كاملتين. لقد ذهبت كي تبحث عن باسيفيكا."



كان هذا بعد عدة شهور، وقد عاشت الأنسة جويرنج، والأنسة جيملون، وأرنولد لما يقارب الأسابيع الأربعة في البيت الذي اختارته الأنسة جويرنج.

كان ذلك أكثر كآبة حتى مما توقعت الأنسة جيملون أن يكون، بما أنها لا تملك الكثير من الخيال، وكثيراً ما كان الواقع أكثر رعباً بالنسبة لها من أشد أحلامها جموحاً. كانت أكثر حنقاً الآن على الأنسة جويرنج مما كانت قبل أن تنتقلا، وكان مزاجها سيئاً إلى درجة أنه نادراً ما تمر ساعة لا تشتكي فيها بمرارة من حياتها، أو تهدد بأن تغادر تماماً. خلف البيت كانت ثمة ضفة نهر قدرة وبعض الأدغال، وإن مشى المرء على الضفة وسلك درباً ضيقاً خلال المزيد من الأدغال، فسرعان ما يصل إلى الغابة. إلى يمين البيت كان يوجد حقل يمتلئ بالأقحوان في الصيف. كان لهذا الحقل أن يسر الناظرين إن لم يكن يقبع هناك في منتصفه تماماً محرك صدى لسيارة قديمة. كان هناك القليل من الأماكن للجلوس في الخارج، بما أن الشرفة الأمامية كانت متهدمة، ولهذا فقد اكتسبوا، ثلاثتهم،

عادة الجلوس متقاربين بالقرب من باب المطبخ، حيث حماهم البيت من الريح. عانت الأنسة جيملون من البرد بشكل مستمر منذ وصولها. في الحقيقة، لم تكن هناك تدفئة مركزية في البيت: فقط بعض المواقد الزيتية الصغيرة، ورغم أنها كانت بدايات الخريف ما زالت، فقد كان الجو في أيام معينة بارداً إلى حد كبير.

قلّت عودة أرنولد إلى بيته، وزاد أخذه للقطار الصغير والمعدية إلى المدينة من بيت الأنسة جويرنج ثم عودته بعد أن ينهي عمله كي يتناول عشاء ويناام في الجزيرة.

لم تُسائل السيدة جويرنج حضوره قط. زاد عدم اهتمامه بملابسه، ولثلاث مرات في الأسبوع المنصرم أهمل الذهاب إلى مكتبه أصلاً. أثارت الأنسة جيملون ضجة كبيرة بخصوص هذا.

ذات يوم كان أرنولد يسترخي في الدور العلوي في واحدة من غرف النوم الصغيرة الموجودة تحت السطح مباشرة، وكانت هي والآنسة جويرنج تجلسان أمام باب المطبخ تدفئان نفسيهما في شمس العصر.

"الجلف الكسول في الدور العلوي"، قالت الأنسة جيملون، "سوف يكف في النهاية عن الذهاب إلى المكتب من الأساس. سوف ينتقل للإقامة هنا بالكامل ولن يفعل أي شيء سوى الأكل والنوم. بعد سنة أخرى سيكون في ضخامة فيل، ولن تتمكني من تخليص نفسك منه. أشكر الرب أنني لا أتوقع أن أكون هنا حينها."

"هل تعتقدين حقاً أنه سيكون سمياً جداً جداً هكذا في خلال سنة واحدة؟" قالت الأنسة جويرنج.

"أنا متأكدة من هذا!" قالت الأنسة جيملون. كانت هناك هبة ريح مفاجئة ضربت باب المطبخ وفتحته. "أوه، أكره هذا،" قالت الأنسة جيملون بحدة، وهي تنهض من مقعدها كي تغلق الباب.

"بالإضافة إلى ذلك،" أردفت، "من سمع برجل يعيش مع سيدتين في بيت لا يتضمن حتى غرفة نوم إضافية واحدة، حتى إنه يضطر إلى النوم في كامل ثيابه فوق الأريكة! يكفي هذا لسد شهية المرء، فقط أن تمشي في الردهة وتريه في كل ساعة من ساعات اليوم، بعيون مغمضة أو مفتوحة، بدون أدنى اكتراث بالعالم. فقط رجل جلف كسول يقبل أن يعيش على هذا النحو. إنه حتى أكثر كسلاً من أن يتودد إلى واحدة منا، وهو أمر غير طبيعي تماماً، عليك الإقرار بهذا — إن كان لديك أي فهم للتركيبية الجسدية للذكور. بالطبع ليس رجلاً. إنه فيل."

"لا أعتقد،" قالت الأنسة جويرنج، "أنه في ضخامة فيل."

"حسناً، قلت له أن يستريح في غرفتي لأنني لم أعد أستطيع تحمل رؤيته على الأريكة. أما بالنسبة لك،" قالت للأنسة جويرنج، "أعتقد أنك أكثر من قابلت في حياتي تبادلاً في الحس."

في تلك الأثناء كانت الأنسة جيملون تشعر بالقلق فعلاً — بالرغم من أنها نادراً ما أقرت بهذا لنفسها — من أن الأنسة جويرنج تفقد

عقلها. بدت الأنسة جويرنج أنحف وأكثر عصبية، وأصرت على القيام بأغلب عمل البيت بنفسها. كانت تنظف البيت باستمرار وتلمّع مقابض الأبواب والأواني النحاسية؛ حاولت عبر عدة طرق صغيرة أن تجعل من البيت مكاناً يمكن العيش فيه بدون أن تشتري أيّاً من الأشياء اللازمة لجعله كذلك؛ لقد أصيبت في هذه الأسابيع القليلة الأخيرة بضرب متطرف من البخل، وكانت تسحب من البنك فقط ما يكفي من المال ليتمكنهم العيش بأبسط الطرق الممكنة. وفي الوقت نفسه لم يبد أنها تمنع في تحمل نفقات طعام أرنولد، بما أنه نادراً ما عرض أن يساهم بأي شيء في مصاريف البيت. كان صحيحاً أنه استمر في دفع نصيبه في شقة أسرته، وهو ربما ما ترك له أقل كثيراً من أن يتمكن من الدفع لأي شيء آخر. أثار هذا حنق الأنسة جيملون، فرغم أنها لم تفهم لم كان من الضروري للأنسة جويرنج أن تعيش بأقل من عُشر دخلها، فقد أقلمت نفسها على الحياة في هذا المستوى المتواضع، وكانت تحاول باستماتة أن تزيد التقود بأقصى قدر ممكن.

جلستا في صمت لعدة دقائق. كانت الأنسة جيملون تفكر بجديّة في كل هذه الأمور حين انكسرت زجاجة فوق رأسها، مغرقة إياها بعطر، ومتسببة في جرح عميق إلى حد ما فوق جبهتها مباشرة. بدأ دمها يسيل بغزارة، وجلست لدقيقة ويدها فوق عينيها.

"لم أقصد في الحقيقة أن أريق دمًا،" قال أرنولد وهو يميل خارج النافذة. "قصدت فقط أن أفزعها."

سارعت الأنسة جويرنج، رغم أنها كانت قد بدأت تميل إلى النظر إلى الأنسة جيملون على أنها تجسيد الشر، إلى إبداء تعاطفها مع صديقتها.

"أوه، عزيزتي، دعيني آتي لك بشيء لتطهير الجرح." دخلت البيت، ومرت بأرنولد في الردهة. كان يقف ويده على الباب الأمامي، غير قادر على أن يقرّر إن كان عليه أن يبقى بالداخل أم يخرج. حين نزلت الأنسة جويرنج ومعها الدواء، كان أرنولد قد اختفى.

كان الوقت قرب المساء، والأنسة جيملون تقف، برأس مُضمّد، أمام البيت. بوسعها أن ترى الطريق بين الأشجار، من حيث كانت تقف. كان وجهها شاحبًا تمامًا وعيناها متورمتين لأنها بكت بمرارة. بكت لأنها كانت المرة الأولى في حياتها التي يضربها شخص ما جسديًا. كلما فكّرت في ذلك، زادت جدية الأمر في عقلها، وبينما كانت تقف أمام الباب شعرت فجأة بالرعب لأول مرة في حياتها. كم ابتعدت عن بيتها! مرتين شرعت في حزم حقائبها، ومرتين قررت ألا تفعل، فقط لأنها لم تستطع أن تحمل نفسها على مغادرة الأنسة جويرنج، إذ كانت، على طريقتها الخاصة، رغم أنها لم تدرك ذلك تمامًا هي نفسها، مرتبطة بها ارتباطًا عميقًا. كان الظلام قد حل قبل أن تدخل الأنسة جيملون إلى البيت.

كانت الأنسة جويرنج منزوعة جدًا لأن أرنولد لم يعد بعد، رغم أنها لم تكن تهتم بأمره أكثر كثيرًا مما كانت تهتم في البداية. هي، أيضًا،



وقفت بالخارج في الظلام لما يقارب الساعة لأن قلقها كان كبيراً إلى حد أنها لم تستطع البقاء داخل البيت.

بينما كانت في الخارج، شعرت الأنسة جيملون، وهي تجلس في الردهة أمام مدفأة خالية، أن كل غضب الرب قد نزل على رأسها هي. فجأة انفلت العالم وناسه وراء فهمها، وشعرت بمخطر عظيم من أنها تفقد العالم بأسره بشكل نهائي—وهو شعور يصعب تفسيره.

كلما التفتت ناحية المطبخ ورأت الهيئة الداكنة للآنسة جويرنج ما زالت تقف أمام الباب، كان قلبها يخذلها أكثر قليلاً. أخيراً دخلت الأنسة جويرنج.

"لوسي!" نادت. كان صوتها واضحاً جداً وأعلى قليلاً من المعتاد. "لوسي، فلنذهب ونعثر على أرنولد." جلست في مقابل الأنسة جيملون، وبدا وجهها براقاً على نحو غير معتاد.

قالت الأنسة جيملون: "بكل تأكيد لا."

"حسناً، على أي حال،" قالت الأنسة جويرنج، "إنه يعيش في بيتي." "نعم، هذا يفعله،" قالت الأنسة جيملون.

"ومن الصائب،" قالت الأنسة جويرنج، "أن على من يعيشون في البيت نفسه العناية بأحدهم الآخر. يفعلون هذا دائماً، على ما أعتقد، أليس كذلك؟"

"الناس أكثر حرصاً بخصوص من يعيش تحت السقف نفسه معهم"، قالت الأنسة جيملون، وهي تعود إلى الحياة مرة أخرى.

"لا أعتقد هذا، في الحقيقة"، قالت الأنسة جويرنج. تنهدت الأنسة جيملون عميقاً وقامت. "لا عليك"، قالت، "قريباً سأكون بين كائنات بشرية حقيقية مرة أخرى."

بدأتا في السير عبر الغابة على امتداد درب كان طريقاً مختصراً إلى أقرب بلدة، على بعد نحو عشرين دقيقة من بيتهما سيراً على الأقدام. صرخت الأنسة جويرنج مع كل صوت غريب، وتشبثت بستره الأنسة جيملون طوال الطريق. كانت الأنسة جيملون عابسة واقترحت أن تأخذا الطريق الأطول في عودتهما.

خرجتا أخيراً من الغابة ومشتا قليلاً على الطريق السريع. على جانبي الطريق كانت توجد مطاعم تخدم راكبي السيارات بالأساس. في واحد من هذه المطاعم رأت الأنسة جويرنج أرنولد جالساً إلى مائدة بالقرب من النافذة، يأكل ساندويتش.

"ها هو أرنولد"، قالت الأنسة جويرنج. "تعالى معي!" أخذت بيد الأنسة جيملون، ومشت متقافزة تقريباً في اتجاه المطعم.

"إن هذا أفضل حقاً من أن يكون حقيقياً"، قالت الأنسة جيملون؛ "إنه يأكل مرة أخرى."

كان الجو حاراً بشكل رهيب في الداخل. خلعتا سترتيهما وشرعتا في الجلوس مع أرنولد على طاولته.

"مساء الخير"، قال أرنولد. "لم أتوقع أن أراك هنا." قال هذا للآنسة جويرنج. تجنب النظر في اتجاه الآنسة جيملون.

"حسنًا"، قالت الآنسة جيملون، "هل ستفسر ما فعلت؟"

كان أرنولد قد أخذ قضمة كبيرة من ساندويتشه للتو فأصبح غير قادر على الرد عليها. لكنه نظر بعينيه في اتجاهها. كان من المستحيل معرفة إن كان غاضبًا أم لا وخداه ممثلتان جدًا على ذلك النحو. كانت الآنسة جيملون متضايقة جدًا بسبب ذلك، غير أن الآنسة جويرنج جلست تبسم لهما لأنها كانت مسرورة أن يكونا معًا مرة أخرى.

أخيرًا ابتلع أرنولد طعامه.

"ليس عليّ أن أفسّر نفسي"، قال للآنسة جيملون، وقد بدا بالفعل متبرمًا جدًا بعد أن ابتلع طعامه. "تدينين لي باعتذار عميق على كراهيتي وعلى إخبارك الآنسة جويرنج بذلك."

"من حقي تمامًا أن أكره من أود"، قالت الآنسة جيملون، "وأيضًا، بما أننا نعيش في بلد حر، يمكنني أن أتحدث عن هذا على ناصية الشارع إن أردت هذا."

"لا تعرفيني بالقدر الكافي كي تكرهيني. لقد أسأت الحكم عليّ على أي حال، وهو ما يكفي لإثارة حنق أي رجل، وأنا غاضب جدًا."

"حسنًا إذن، غادر البيت. لا أحد يريدك هناك على أي حال."

"هذا غير صحيح؛ الآنسة جويرنج، أنا متأكد، تريدني هناك،  
أليس كذلك؟"

"نعم، أرنولد، بكل تأكيد،" قالت الآنسة جويرنج.

"لا يوجد عدل،" قالت الآنسة جيملون؛ "أنتما الاثنان شنيعان."  
جلست مستقيمة الظهر تمامًا، وحملت كل من أرنولد والآنسة جويرنج  
في ضماداتها.

"حسنًا،" قال أرنولد، وهو يمسخ فمه ويدفع بطبقه بعيدًا، "أنا  
متأكد أن هناك طريقة ما يمكن من خلالها أن نرتب الأمر كي نستطيع  
كلانا أن نعيش في البيت معًا."

"لم أنت مرتبط بالبيت هكذا؟" صرخت الآنسة جيملون. "كل ما  
تفعله حين تكون فيه هو أن تتمدد في الردهة وتنام."

"يعطيني البيت إحساسًا بالحرية."

نظرت الآنسة جيملون إليه.

"تعني فرصة لإطلاق العنان لكسلك."

"انظري الآن،" قال أرنولد، "افترضي أن في وسعي استخدام  
الردهة بعد العشاء وفي الصباح. حينها يمكنك استخدامها بقية الوقت."

"حسنًا،" قالت الآنسة جيملون، "أوافق، لكن احرص على ألا  
تضع فيها قدمك طوال ما بعد الظهرية."

في الطريق إلى البيت بدا كل من الأنسة جيملون وأرنولد راضيين تمامًا لأنهما اتفقا على خطة. ففكر كل منهما أنه حصل على أفضل ما في الصنفقة، وكانت الأنسة جيملون تخطط في سرها عدة طرق لطيفة لقضاء ما بعد ظهيرة في الردهة.

حين وصلوا إلى البيت صعدت إلى فراشها تقريبًا على الفور. استلقى أرنولد على الأريكة، مرتديًا كامل ملابسه، ومد غطاءً منسوجًا فوقه. كانت الأنسة جويرنج تجلس في المطبخ. بعد مدة قصيرة سمعت شخصًا ما ينشج في الردهة. دخلت ووجدت أرنولد يبكي وهو يخبئ رأسه في كفه.

"ما الأمر، يا أرنولد؟"

"لا أعرف،" قال أرنولد، "من المزعج جدًا أن يكرهك شخص ما. أعتقد بالفعل أنه قد يكون من الأفضل أن أعاد وأعود إلى بيتي. لكنني أكره أن أفعل ذلك أكثر من أي شيء في العالم، وأكره العمل في العقارات، وأكره لها أن تكون غاضبة مني. ألا يمكنك أن تخبرها أن هذه مجرد فترة تأقلم بالنسبة لي — أن تتفضل بالانتظار قليلاً؟"

"بكل تأكيد، سوف أخبرها بهذا في الصباح على الفور. ربما إن ذهبت إلى العمل غدًا، فقد يتحسن شعورها تجاهك."

"هل تعتقدين هذا؟" سأل أرنولد، جالسًا مستقيم الظهر في لهفته. "سوف أفعل إذن." نهض ووقف بالقرب من النافذة وساقاه منفرجتان.

"الأمر فقط أني لا أستطيع تحمّل أن شخصاً ما يكرهني خلال فترة التأقلم هذه،" قال، "بالإضافة طبعاً إلى أنني مخلص لكلتيكما."

في المساء التالي، حين عاد أرنولد بعليتي شوكلاتة لكلٍ من الآنسة جويرنج والآنسة جيملون، اندهش لوجود أبيه هناك. كان يجلس على مقعد مستقيم الظهر بجوار المدفأة، يشرب فنجان شاي، ويرتدي قبعة قيادة.

"أتيت، يا أرنولد، كي أرى كيف تعني بهاتين السيدتين. يبدو أنهما تعيشان هنا في كومة من الروث."

"لا أرى كيف يكون لك الحق في قول شيء مثل هذا وأنت ضيف، يا أبي،" قال أرنولد، وهو يعطي برزانة علبة من الحلوى لكلٍ من المرأتين.

"بالتأكيد، بسبب السن، يا ابني العزيز، مسموح لي أن أقول أشياء كثيرة. تذكّر أنكم جميعاً أطفال بالنسبة لي، بما في ذلك الأميرة هنالك." لكز خصر الآنسة جويرنج بمقدمة عصاه وجذبها ناحيته. لم تتخيل قط أنها ستراه في مثل هذا المزاج المرح. بدا لها أصغر وأنحف عن الليلة التي تقابلا فيها.

"حسناً، أين تأكلون أيتها الخنافس المجنونة؟" سأهّم.

"لدينا مائدة مربعة،" قالت الآنسة جيملون، "في المطبخ. أحياناً ما نضعها أمام المدفأة، لكنها لا تفي أبداً بالغرض."

تنحى والد أرنولد ولم يقل شيئاً. بدا متضايقاً أن الأنسة جيملون تكلمت.

"حسناً، أنتم جميعاً مجانين،" قال، ناظراً إلى ابنه وإلى الأنسة جويرنج، متعمداً استثناء الأنسة جيملون، "لكنني أشجعكم."  
"أين زوجتك؟" سأله الأنسة جويرنج.

"نخمني أنها في البيت،" قال والد أرنولد، "ولها حموضة المخلل،  
وتماماً في مرارة مذاقه."

قهقهت الأنسة جويرنج من ملاحظته. كانت من نوعية الأشياء التي تجدها ظريفة. سرُّ أرنولد لرؤيته أن مزاجها يتحسن قليلاً.

"تعالي إلى الخارج معي،" قال والد أرنولد للأنسة جويرنج، "إلى  
الريح وسطوع الشمس، يا جي، أم هل أقول إلى الريح وضوء القمر،  
بدون أن أنسى أبداً أن أضيف 'يا جي'."

غادرا الغرفة معاً وقاد والد أرنولد الأنسة جويرنج بعيداً قليلاً  
داخل الحقل.

"انظري،" قال، "لقد قرّرت أن أعود إلى عدد من تفضيلاتي  
الصيبانية. على سبيل المثال، كنت أجد متعة كبيرة في الطبيعة حين كنت  
صغيراً. يمكنني أن أقول بصراحة إنني قرّرت أن أطرح عني بعض أعرافي  
ومثلي، ومرة أخرى أستمد لذة من الطبيعة - هذا، بطبيعة الحال إن  
كنت مستعدة للوقوف في صفّي. الأمر بأكمله يعتمد على هذا."

" بكل تأكيد، " قالت الأنسة جويرنج، " لكن ما الذي يتضمنه ذلك؟"  
" يتضمن، " قال والد أرنولد، " أن تكوني امرأة حقيقية. متعاطفة  
ومستعدة للدفاع عن كل ما أقول وأفعل. في الوقت نفسه ميالة لتويخي  
فقط قليلاً جداً." وضع يده الباردة كالثلج في يدها.

" هيا ندخل، " قالت الأنسة جويرنج، " أود أن أدخل." شرعت في  
سحب ذراعه، لكنه لم يتحرك. أدركت أنه، بالرغم من أنه يبدو قديم  
الطراز بشكل رهيب ومثيراً للقلق من السخرية في قبعة القيادة، ما زال  
قويًا. تساءلت لم بدا أكثر تميزاً في المرة الأولى التي تقابلا فيها.

سحبت ذراعه بقوة أكبر حتى، نصف مازحة، نصف جادة، وفي  
فعلها هذا، خربشت بدون قصد باطن رسغه بظفرها. أسالت القليل  
من الدم، وهو ما بدا أنه أزعج والد أرنولد إزعاجاً شديداً، إذ بدأ في  
الهرولة عبر الحقل بأسرع ما يستطيع نحو البيت.

لاحقاً أعلن للجميع عن نيته قضاء الليلة في بيت الأنسة جويرنج.  
كانوا قد أشعلوا نار المدفأة وجلسوا جميعاً حولها معاً. مرتين سقط  
أرنولد في النوم.

" ستقلق أُمي كثيراً، " قال أرنولد.

" تقلق؟ " قال والد أرنولد. " ستموت في الغالب بأزمة قلبية قبل  
الصباح، لكن، ما الحياة سوى نفثة دخان أو ورقة شجر أو شمعة  
سرعان ما تحترق على أي حال؟"



"لا تتظاهر بأنك لا تأخذ الحياة بجدية،" قال أرنولد، "ولا تتظاهر، فقط لأنه توجد نساء هنا، أنك خفيف الظل. أنت من النوع المتجهم كثير القلق وتعرف هذا."

سعل والد أرنولد. بدا متزعجاً قليلاً.

"لا أوافقك،" قال.

أخذته الأنسة جويرنج إلى غرفة نومها في الطابق الأعلى.

"أتمنى أن تنام في سكينه،" قالت له. "تعرف أنه يسرني وجودك في بيتي في أي وقت."

أشار والد أرنولد إلى الأشجار خارج النافذة.

"أوه، الليل!" قال. "ناعم مثل خد بكرٍ، وغامض مثل البومة الحاضنة، مثل الشرق، مثل رأس السلطان المعمم. كم تجاهلنتك تحت مصباح قراءتي، مأخوذاً بمشاغل متنوعة ومتعددة قررت الآن ألا أعيدها اهتماماً من أجل خاطرك. تقبل اعتذاري ودعني أعد بين أبنائك وبناتك. هل ترين،" قال للأنسة جويرنج، "هل ترين أي صفحة جديدة بدأتها بالفعل؛ أعتقد أننا نفهم أحدها الآخر الآن. عليك ألاً تعتقدي أبداً بأن للناس طبيعة واحدة فقط. كل ما قلته لك في تلك الليلة كان خطأ."

"أوه،" قالت الأنسة جويرنج، متضايقة قليلاً.

"نعم، أنا مهتم الآن بأن أكون شخصية جديدة تماماً مختلفة عن ذاتي السابقة كاختلاف أ عن ي. كانت هذه بداية رائعة جداً. تبشر بخير، كما يقولون."

تمدد على الفراش، وبينما كانت الأنسة جويرنج تنظر إليه سقط في النوم. سرعان ما بدأ في الشخير. ألفت بغطاء فوقه، وغادرت الغرفة، وهي تشعر بحيرة عميقة.

في الطابق السفلي انضمت إلى الآخرين أمام نار المدفأة. كانا يشربان شيئاً ساخناً أضافا إليه القليل من الرّم.

كانت الأنسة جيملون مسترخية. "هذا أفضل شيء في العالم لأعصابك"، قالت، "وأيضاً لتلطيف الزوايا الحادة في حياتك. كان أرنولد يخبرني عن صعوده في مكتب عمه. كيف بدأ عمله كساع، وكيف شق طريقه الآن إلى أعلى ليصبح أحد المندوبين الرئيسيين في المكتب. لقد قضينا وقتاً ممتعاً إلى أقصى حد بمجرد جلوسنا هنا. أعتقد أن أرنولد كان يخفي عنا حساً عملياً ممتاراً جداً."

بدا أرنولد متزعجاً قليلاً. كان ما زال يخشى من إثارة استياء الأنسة جويرنج.

"سوف نسأل أنا والآنسة جيملون غداً إن كان هناك ملعب جولف في الجزيرة. اكتشفنا اهتماماً مشتركاً بالجولف"، قال.

لم تستطع الأنسة جويرنج أن تفهم التغير المفاجئ في سلوك أرنولد. كان الأمر كما لو أنه قد وصل تَوّاً إلى فندق صيفي وكان حريصاً على التخطيط لعطلة لطيفة. أثارت الأنسة جيملون استغرابها أيضاً، لكنها لم تقل أي شيء.

"سيكون الجولف رائعًا لك،" قالت الأنسة جيملون للآنسة جويرنج؛ "ربما شد قامتك في أسبوع."

"حسنًا،" قال أرنولد معتذرًا، "ربما لا يروق لها."

"لا أحب الرياضة،" قالت الأنسة جويرنج؛ "أكثر من أي شيء آخر تعطيني إحساسًا رهيبًا بأني ارتكبت خطيئة."

"على العكس،" قالت الأنسة جيملون، "هذا تحديداً ما لا تفعل أبداً."

"لا تكوني وقحة، يا لوسي العزيزة،" قالت الأنسة جويرنج. "على أي حال، لقد وجهت اهتمامًا كافيًا لما يحدث داخلي وأعرف مشاعري أفضل منك."

"الرياضة،" قالت الأنسة جيملون، "لا يمكنها أبداً أن تعطيك إحساس ارتكاب خطيئة، لكن الأكثر إثارة للاهتمام هو أنه ليس في مقدورك أبداً الجلوس لأكثر من خمس دقائق بدون إدخال أمر غريب في الحوار. أعتقد بكل تأكيد أنك درست هذا."

في الصباح التالي نزل والد أرنولد إلى الدور السفلي بزر ياقة قميصه مفكوكًا وبدون سترة. كان قد شعّث شعره لهذا بدا الآن مثل فنان عجوز.

"ماذا بحق السماء ستفعل أُمي؟" سأله أرنولد على الإفطار.

"هراء!" قال والد أرنولد. "تدعو نفسك فناناً، ولا تعرف حتى كيف تكون غير مسؤول. يكمن جمال الفنان في الروح الطفولية." لمس يد الأنسة جويرنج بيده. لم تستطع سوى أن تفكر في الخطاب الذي ألقاه ليلة أتى إلى غرفة نومها، وكيف يتعارض مع كل ما يقوله الآن.

"إن كان لدى أمك رغبة في أن نحيا، فسوف نحيا، بشرط أن تكون مستعدة لطرح كل شيء وراءها كما فعلت أنا،" أضاف.

كانت الأنسة جيملون مخرجة قليلاً من هذا الرجل الطاعن في السن الذي يبدو أنه أجرى مؤخراً تغييرات جوهرية على حياته. لكنها لم تكن في الحقيقة تشعر بأي فضول بشأنه.

"حسناً،" قال أرنولد، "أتخيل أنك ما زلت تزودها بالنقود لدفع الإيجار. ما زلت أساهم بنصيبي."

"بالتأكيد،" قال أبوه. "أنا رجل مهذب دائماً، رغم أن عليّ القول إن المسؤولية تثقل عليّ، مثل مرسة حول عنقي. الآن،" أردف، "دعني أخرج وأقوم بتسوق اليوم. أشعر أنني قادر على المشاركة في سباق مائة ياردة."

جلست الأنسة جيملون مقطبة الجبين، متسائلة إن كانت الأنسة جويرنج ستسمح لهذا العجوز المجنون أن يعيش في البيت المزدهم بالفعل. خرج في طريقه إلى البلدة بعدها بقليل. نادوه من النافذة، ملتسمين منه أن يعود ويرتدي معطفه، لكنه لوّح بيده تجاه السماء ورفض.

في أثناء العصر، قامت الأنسة جويرنج ببعض التفكير الجاد. مشت جيئة وذهاباً أمام باب المطبخ. كان البيت قد تحول بالفعل، بالنسبة لها، إلى مكان مألوف وودود، مكان اعتبرته بيتها. قرّرت أنه من الضروري لها أن تقوم ببعض الرحلات الصغيرة إلى طرف الجزيرة، حيث يمكنها أن تستقل العبارة وتعبّر إلى البر. كرهت أن تفعل هذا لأنها كانت تعرف كم سيكون مزعجاً، وكلما تأملت الأمر أكثر، زادت جاذبية الحياة بالنسبة لها في البيت الصغير، حتى خطر لها أنه يدندن بالمرح. كي تطمئن نفسها أنها ستقوم بمغامرتها تلك الليلة، ذهبت إلى غرفة النوم ووضعت خمسين سنتاً فوق خزانة الملابس.

بعد العشاء، حين أعلنت أنها ستستقل القطار بمفردها، كادت الأنسة جيملون أن تبكي من الحنق. قال والد أرنولد إنها فكرة رائعة أن "تستقل القطار نحو الأزرق المجهول"، كما دعا الأمر. حين سمعته الأنسة جيملون يشجع الأنسة جويرنج، لم تعد قادرة على السيطرة على نفسها واندفعت إلى غرفة نومها. غادر أرنولد المائدة على عجل وتعثر صاعداً الدرج خلفها.

توسل والد أرنولد أن تسمح له الأنسة جويرنج بأن يذهب معها. "ليس هذه المرة"، قالت، "يتعين عليّ أن أذهب بمفردي"؛ ووالد أرنولد، رغم قوله إنه يشعر بخيبة أمل كبيرة، ظل مبتهجاً رغم ذلك. بدا أنه لا يوجد حد لمزاجه الطيب.

"حسنًا"، قال، "الخروج في الليل هكذا يتوافق مع روح ما أود أن أفعل، وأعتقد أنك تغشيني بعدم سماحك لي بمرافقتك."

"ذهابي ليس من أجل المتعة"، قالت الأنسة جويرنج، "بل لأنه من الضروري أن أفعل."

"ومع هذا، أتوسل إليك مرة أخرى"، قال والد أرنولد، متجاهلاً تبعات هذه الملحوظة، وراكعًا على ركبتيه بصعوبة، "أتوسل إليك، خذيني معك."

"أوه، أرجوك، يا عزيزي"، قالت الأنسة جويرنج، "أرجوك لا تصعب الأمر عليّ. شخصيتي أميل إلى الضعف."

قفز والد أرنولد واقفًا على قدميه. "بكل تأكيد"، قال، "لن أصعب أي أمر عليك". قَبَل رسغها، وتمنى لها حظًا طيبًا. "هل تعتقدين أن الحمامتين البريتين ستحدثان معي؟" سأها، "أم هل تعتقدين أنهما ستظلان محبوستين معًا طوال الليل؟ أكره أن أكون بمفردي."

"وأنا أيضًا"، قالت الأنسة جويرنج. "أطرق بائهما؛ سوف يتحدثان إليك. وداعًا..."

قررت الأنسة جويرنج أن تسير على الطريق السريع، بما أن الدنيا كانت أكثر إظلامًا من أن تمشي عبر الغابة في مثل هذه الساعة. لقد اقترحت هذا على نفسها كمهمة، في وقت سابق من العصر، لكنها قررت لاحقًا أنها حماقة صافية أن تفكر في الأمر حتى. كان الجو باردًا

وعاصفًا في الخارج، فأحكمت من وضع شالها حول نفسها. استمرت في إثارة الشالات الصوفية، رغم أنها لم تعد تُعتبر أنيقة منذ سنوات عديدة. نظرت الأنسة جويرنج إلى السماء؛ كانت تبحث عن النجوم وتمنى بكل قوة أن ترى بعضها. وقفت ساكنة لوقت طويل، لكنها لم تستطع أن تقرر إن كانت ليلة تضيئها نجوم أم لا، ذلك أنها رغم تركيزها لاهتمامها على السماء بدون أن تُخفص بصرها ولو مرة واحدة، بدا أن النجوم تظهر وتختفي بسرعة كبيرة حتى إنها بدت رؤى للنجوم أكثر منها نجوم حقيقية. قررت أن هذا فقط لأن السحب كانت تعدو عبر السماء بسرعة كبيرة إلى درجة أن النجوم كانت تُمحي للدقيقة وتظهر في التالية. واصلت طريقها إلى الحطة.

حين وصلت، فوجئت بوجود ثمانية أطفال أو تسعة وصلوا هناك قبلها. كل منهم حمل راية مدرسية كبيرة بألوان زرقاء وذهبية. لم يكن الأطفال يتحدثون كثيرًا، لكنهم كانوا يتقافزون بصخب أولاً على قدم ثم على الأخرى. بما أنهم كانوا يفعلون هذا معًا، كان الرصيف الخشبي الصغير يرتج بشكل رهيب وتساءلت الأنسة جويرنج إن كان من الأفضل أن تلفت انتباه الأطفال لهذه الحقيقة. بعدها بقليل، توقف القطار في الحطة وركبوا جميعًا معًا. جلست الأنسة جويرنج على مقعد عبر الممر بالقرب من سيدة بدينة في منتصف العمر. كانت هي والأنسة جويرنج الراكبتين الوحيدتين في العربة بالإضافة إلى الأطفال. نظرت الأنسة جويرنج إليها باهتمام.

كانت ترتدي قفازات وقبعة، وجلست مستقيمة الظهر تماما. في يدها اليمنى كان تحمل عبوة طويلة رفيعة بدت مثل منشة ذباب. حملت المرأة أمامها ولم تتحرك عضلة واحدة من عضلات وجهها. كانت توجد المزيد من العبوات رصتها بانتظام على المقعد بجوارها. نظرت الأنسة جويرنج إليها وأملت أن تكون، هي أيضاً، ذاهبة إلى طرف الجزيرة. بدأ القطار في الحركة، ووضعت المرأة يدها الخالية فوق العبوات بجوارها كي لا تتزلق عن الكرسي.

كان الأطفال قد تجمعوا في أغلبهم على مقعدين ومن كان يتعين عليهم أن يجلسوا في مكان آخر فضلوا الوقوف حول المقاعد المشغولة بالفعل. سرعان ما بدؤوا في الغناء، وكانت الأغاني كلها في مديح المدرسة التي أتوا منها. فعلوا هذا بشكل سيئ إلى حد أنه كاد أن يصبح أكثر مما تستطيع الأنسة جويرنج أن تتحمل. قامت عن مقعدها، وكانت مصممة على الذهاب إلى الأطفال بسرعة إلى درجة أنها لم تنتبه إلى اهتزاز عربة القطار، وبالتالي وقعت بسبب تعجلها وسقطت على رأسها فوق الأرضية مباشرة بجوار المكان الذي كان الأطفال يغنون فيه.

تمكنت من الوقوف على قدميها مرة أخرى رغم أن الدم كان يسيل من ذقنها. سألت الأطفال أولاً أن يتفضلوا بالتوقف عن الغناء. حلقوا فيها جميعاً. ثم أخرجت مندبلاً صغيراً من الدانتيل، وبدأت في مسح الدم عن ذقنها. سرعان ما توقف القطار ونزل الأطفال. ذهبت الأنسة جويرنج إلى مؤخرة العربة، وملأت كوباً ورقياً بالماء. تساءلت في عصبية، بينما تمسح ذقنها في الممر المظلم، إن كانت السيدة التي معها



منشأة الذباب ما زالت في العربة. حين عادت إلى مقعدها، رأت بشعور كبير بالراحة أن السيدة ما زالت هناك. كانت ما زالت تمسك بمنشأة الذباب، لكنها التفتت برأسها إلى اليسار وكانت تنظر إلى رصيف المحطة الصغيرة في الخارج.

"لا أعتقد"، قالت الأنسة جويرنج لنفسها، "أنه سيحدث أي ضرر إن غيرت مقعدي وجلست في مقابلها. على أي حال، أعتقد أنه أمر طبيعي تمامًا للسيدات أن يبادرن إحداهن الأخرى بالحديث في قطارات الضواحي مثل هذه، خصوصاً في جزيرة صغيرة هكذا."

جلست في هدوء على المقعد المقابل للمرأة واستمرت في شغل نفسها بذقتها. بدأ القطار في التحرك مرة أخرى، وحملت المرأة بقوة أكبر خارج النافذة كي تتجنب عين الأنسة جويرنج، ذلك أن الأنسة جويرنج كانت تثير قلق بعض الناس. ربما بسبب وجهها الأحمر الفخيم وملابسها الغريبة.

"أنا مسرورة أن الأطفال غادروا"، قالت الأنسة جويرنج؛ "الجو لطيف الآن فعلاً في هذا القطار."

بدأ المطر في السقوط، وضغطت المرأة جبهتها على الزجاج كي تحمق عن قرب أكبر في القطرات المائلة على زجاج النافذة. لم ترد على الأنسة جويرنج. بدأت الأنسة جويرنج من جديد، ذلك أنها كانت معتادة على إجبار الناس على الحديث، لم تكن مخاوفها ذات طبيعة اجتماعية قط.

"إلى أين أنتِ ذاهبة؟" سألت الأنسة جويرنج، بدايةً لأنها كانت مهتمة بالفعل بمعرفة إن كانت المرأة تستقل القطار إلى طرف الجزيرة، وأيضاً لأنها فكرت أنه سؤال لا يثير الإزعاج. تمعنت فيها المرأة جيداً.

"إلى البيت،" قالت بصوت محايد.

"وهل تعيشين في هذه الجزيرة؟" سألتها الأنسة جويرنج. "إنها فاتنة حقاً،" أضافت.

لم ترد المرأة، لكن بدلاً عن هذا بدأت في جمع كل عبواتها بين ذراعيها.

"أين تعيشين بالضبط؟" سألت الأنسة جويرنج. زاغت عينا المرأة.

"جلتزديل،" قالت بتردد، وأدركت الأنسة جويرنج، رغم أنها لم تكن حساسة تجاه الإهانات، أن المرأة تكذب عليها. ألمها هذا كثيراً جداً.

"لم تكذبين عليّ؟" سألت. "أؤكد لك أنني سيدة مثلك."

حينها كانت المرأة قد استجمعت قواها وبدت أكثر ثقة بنفسها. نظرت مباشرة في عيني الأنسة جويرنج.

"أعيش في جلتزديل،" قالت، "وعشت هناك طوال حياتي. أنا في طريقي لزيارة صديقة تعيش في بلدة أبعد قليلاً."

"لماذا أُرعبكِ إلى هذا الحد؟" سألتها السيدة جويرنج. "كنت أود أن أتحدث معك."

"لن أتقبل هذا للحظة أخرى"، قالت المرأة، لنفسها أكثر منه  
للآنسة جويرنج. "عندي ما يكفي من الأسى في حياتي بدون أن أضطر  
لمقابلة مجانين."

فجأة قبضت على مظلتها، وأعطت الآنسة جويرنج ضربة عنيفة  
على كاحلها. كان وجهها قد احمرّ تمامًا وقررت الآنسة جويرنج أنها  
بالرغم من مظهرها البرجوازي الراسخ كانت هستيرية في الحقيقة، لكن  
بما أنها كانت قد قابلت نساءً كثيرات مثلها من قبل، فقد قرّرت ألا  
تندesh من الآن فصاعدًا من أي شيء قد تفعله المرأة. غادرت المرأة  
مقعدها بكل عبواتها ومظلتها، وسارت بصعوبة إلى آخر الممر. سرعان  
ما عادت، يتبعها مُحصلّ التذاكر.

توقفا بجوار الآنسة جويرنج. وقفت المرأة خلف المُحصّل. مال  
مُحصّل التذاكر، الذي كان رجلاً عجوزًا، مقترّبًا من الآنسة جويرنج  
حتى أصبح تقريبًا يتنفس في وجهها.

"لا يمكنك الحديث إلى أي أحد في هذه القطارات"، قال، "إلا إن  
كنت تعرفينهم." بدا صوته معتدلًا جدًا للآنسة جويرنج.

بعدها نظر إلى المرأة خلفه، وقد بدت متضايقه ما زالت، لكنها  
كانت أكثر هدوءًا.

"المرّة القادمة"، قال مُحصلّ التذاكر، الذي بدا بالفعل أنه لا يجد  
ما يقوله، "المرّة القادمة التي تكونين فيها في هذا القطار، إبقى في مقعدك

ولا تضايقي أي أحد. إن أردت معرفة الوقت يمكنك أن تسألهم بدون أي جلبة، أو يمكنك فقط أن تشير بي إشارة بسيطة بيدك وسأكون على استعداد للرد على كل أسئلتك." اعتدل ووقف لدقيقة يحاول أن يفكر في أي أمر آخر يقوله. "تذكرني أيضاً،" أضاف، "وأخبرني أقاربك وأصدقاءك بهذا. تذكرني أيضاً أنه لا يُسمح بالكلاب في هذه القطارات أو بأشخاص في أزياء تنكرية إلا إن كانت مغطاة بمعاطف كبيرة ثقيلة؛ ولا مزيد من الضجيج،" أضاف، وهو يهز إصبعاً في وجهها. رفع قبعته للمرأة وذهب في طريقه.

بعدها بدقيقة أو دقيقتين توقف القطار، ونزلت المرأة. نظرت الآنسة جويرنج من النافذة بعصبية بحثاً عنها، لكنها استطاعت فقط أن ترى الرصيف الخالي وبعض الدُغل الداكنة. وضعت يدها فوق قلبها، وابتسمت لنفسها.

حين وصلت إلى طرف الجزيرة كان المطر قد توقف، والنجوم تلمع لمعاناً متقطعاً مرة أخرى. تعيّن عليها أن تمشي إلى نهاية طريق ضيق طويل كان ممراً بين القطار ورصيف رسو المعدية. كان الكثير من الألواح الخشبية غير مثبت، وكان على الآنسة جويرنج أن تنتبه لأين تضع قدمها. زفرت بنفاد صبر، فقد بدا لها أنها ما دامت على ذلك الطريق الخشبي فليس من المؤكد أنها ستستقل المعدية بالفعل. بما أنها كانت تقترب الآن من مقصدها، فقد شعرت أنه يمكن القيام بالمغامرة كلها بسرعة، وأنها ستكون قريباً قد عادت إلى أرنولد ووالده والآنسة جيملون.

كان الممشى الخشبي مضاءً فقط في أماكن متباعدة، وكانت ثمة مساحات كبيرة اضطرت أن تقطعها في الظلام. ومع هذا، فإن الأنسة جويرنج، وهي الجبانة عادة، لم تكن خائفة على الإطلاق. لقد شعرت حتى بنشوة من نوع ما، وهو أمر شائع في حالات معينة لأشخاص غير متزنين لكن كثيري التفاؤل حين يبدوون في الاقتراب مما يخافون. أصبحت أكثر رشاقة في تجنب الألواح غير المثبتة، وقامت حتى بوثبات صغيرة فوقها. كان في استطاعتها الآن أن ترى المرسى في نهاية الممشى. كان ساطع الإضاءة، وقامت البلدية بنصب سارية علم كبيرة الحجم في منتصف الرصيف. كان العلم حينها ملتفًا حول السارية في طيات كبيرة، غير أن الأنسة جويرنج تمكنت بسهولة من تمييز الخطوط الحمراء والبيضاء والنجوم. شعرت بالسرور لرؤية العلم في ذلك المكان البعيد، ذلك أنها لم تكن تتخيل أن يكون هناك أي نوع من التنظيم على الإطلاق في طرف الجزيرة.

"لماذا، لقد عاش الناس هنا لسنوات عديدة"، قالت لنفسها. "من الغريب أنني لم أفكر في هذا من قبل. إنهم هنا بشكل طبيعي، بصلاتهم العائلية، بمتاجر أحيائهم، بحسهم بالحشمة والأخلاق، ومن المؤكد أن لديهم تنظيماهم لمكافحة مجرمي المجتمع." شعرت بالسعادة تقريبًا الآن لأنها تذكرت كل هذا.

كانت الشخص الوحيد الذي ينتظر المعديّة. ما إن ركبتها حتى ذهبت مباشرة إلى مقدمة القارب، ووقفت تراقب اليابسة حتى وصلوا إلى الضفة الأخرى. كان مرسى المعديّة أسفل طريق يتقاطع مع الشارع

الرئيسي عند قمة تل صغير منحدر. كانت الشاحنات ما زالت مجبرة على التوقف عند قمة التل وتفريغ بضائعها في عربات تُدفع باليد، وهي ما تُجر بعدها بحرص إلى الأسفل نحو المرسى. حين نظرت إلى أعلى من المرسى، كان من الممكن أن ترى الحوائط الجانبية للمتجرين في نهاية الشارع الرئيسي لكن لا شيء أكثر من هذا. كان الطريق ساطع الإضاءة في كلا الجانبين حتى إنه كان بوسع الأنسة جويرنج تمييز أغلب التفاصيل في ملابس من يهبطون التل كي يركبوا المعدية.

رأت ثلاث شابات صغيرات آتيات نحوها يتعلقن بذراع إحداهن الأخرى ويقهقهن. كن قد ارتدين ملابس أنيقة جداً، ويجاولن أن يتشبهن بقبعاتهن ويأحداهن الأخرى. جعل هذا تقدمهن بطيئاً جداً، لكن في منتصف الطريق نحو أسفل التل نادين على شخص عند المرسى كان يقف بالقرب من العمود الذي رُبطت فيه المعدية.

"لا تغادر بدوننا، يا جورج،" صحن عليه، ورد بالتلويح بيده في

ود.

كان هناك العديد من الشباب آتين إلى أسفل التل، وبدا أنهم هم أيضاً قد ارتدوا ملابس من أجل أمر استثنائي. كانت أحذيتهم لامعة، والعديد منهم وضعوا زهوراً في عُرى قمصانهم. حتى من بدؤوا بعد الشابات الثلاث بكثير فقد تجاوزوهن بسرعة. في كل مرة حدث فيها هذا كانت الفتيات يدخلن في نوبات من الضحك لم يكن في استطاعة الأنسة جويرنج أن تسمعها إلا خافتة من حيث كانت تقف. واصل

المزيد والمزيد من الناس الظهور أعلى قمة التل وأغلبهم، بدا للآنسة جويرنج، لم يتجاوز الثلاثين. انتحت جانباً وسرعان ما كانوا يتحدثون ويضحكون معاً على امتداد رصيف المرسى والجسر. شعرت بفضول شديد لمعرفة إلى أين كانوا ذاهبين، غير أن معنوياتها كانت قد وهنت كثيراً من مشاهدتها الرحيل الجماعي، وهو ما اعتبرته نذير شر. قرّرت أخيراً أن تسأل شاباً كان ما زال على المرسى ويقف ليس بعيداً عنها.

"أيها الشاب،" قالت له، "هل تمنع في إخباري إن كنتم جميعاً ماضين معاً بالفعل إلى هو ما أم أن الأمر مصادفة؟"

"كلنا ذاهبون إلى المكان نفسه،" قال الفتى، "على قدر علمي."

"حسناً، هل يمكنك أن تخبرني بمكانه؟" سألت الآنسة جويرنج.

"Pig Snout's Hook"، رد. حينها أطلقت المعدة صفيها.

استأذن بسرعة من الآنسة جويرنج وعبر كي ينضم إلى أصدقائه على مقدمة المعدة.

شقت الآنسة جويرنج طريقها بصعوبة إلى أعلى التل بمفردها تماماً. ثبتت عينيها على حائط المتجر الأخير في الشارع الرئيسي. كان فنان دعاية قد رسم بألوان وردية زاهية وجه طفل له أبعاد عملاقة على نصف مساحة الحائط، وفي المساحة المتبقية بزازة مطاطية هائلة. تساءلت الآنسة جويرنج عما يكون Pig Snout's Hook. خاب أملها إلى حد ما حين وصلت إلى أعلى التل، ووجدت أن الشارع الرئيسي خالٍ إلى حد كبير

ومعتم الإضاءة. ربما خدعتها الألوان الزاهية في إعلان بزازة الطفل، وأملت قليلاً أن تكون البلدة بأكملها على القدر نفسه من البهجة.

قبل أن تواصل سيرها في الشارع الرئيسي قرّرت أن تفحص اللافطة المطلية عن قرب. كي تفعل ذلك كان عليها أن تعبر ساحة خالية. قريباً جداً من الإعلان لاحظت أن رجلاً عجوزاً كان منحنيّاً فوق بعض الصناديق ويحاول نزع مسامير من الألواح الخشبية. قرّرت أن تسأله إن كان يعرف أين يقع Pig Snout's Hook.

اقتربت منه، ووقفت تراقبه لبرهة قبل أن تطرح سؤالها. كان يرتدي معطفاً أخضر مربع النقش وقبعة صغيرة من القماش نفسه. كان منشغلاً تماماً في محاولة نزع مسمار من الصندوق مستخدماً عصا رفيعة فقط.

"عذراً،" قالت الأنسة جويرنج له أخيراً، "لكنني أود أن أعرف أين يقع Pig Snout's Hook وأيضاً لم قد يذهب أي شخص إليه، إن كنت تعرف."

استمر الرجل في الانشغال بالمسمار، لكن كان في وسع الأنسة جويرنج إدراك أنه كان مهتماً فعلاً بسؤالها.

"Pig Snout's Hook?" قال الرجل. "هذا سهل. إنه مكان جديد، ملهى."

"هل يذهب الجميع إلى هناك؟" سألته الأنسة جويرنج.



"إن كانوا من النوع الأحمق، يذهبون."

"لم تقول هذا؟"

"لم أقول هذا؟" قال الرجل، وهو ينهض أخيراً ويضع عصاه في جيبه. "لم أقول هذا؟ لأنهم يذهبون هناك من أجل متعة أن يُغشوا ويؤخذ منهم بنسهم الأخير. اللحم لا أكثر من لحم خيول. على هذا اللحم وليس أحمر. إنه يميل إلى اللون الرمادي، بدون أي أثر لبطاطس بالقرب منه، ويكلف الكثير أيضاً. كلهم في فقر فئران كنيسة فوق هذا، بدون أوقية واحدة من المعرفة بالحياة في حشدهم بأكمله. مثل الكثير من الكلاب التي تجهد نفسها وهي مقيدة بسلسلة."

"يذهبون جميعهم إلى Pig Snout's Hook كل ليلة إذن؟"

"لا أعرف متى يذهبون إلى Pig Snout's Hook"، قال

الرجل، "أكثر مما أعرف ما تفعل الصراصير كل ليلة."

"حسناً، ما السيء جداً في Pig Snout's Hook؟" سأله الآنسة

جويرنج.

"يوجد أمر واحد سيء"، قال الرجل بينما يزداد اهتمامه، "وهو

أن لديهم زنجياً هناك يتقافز أمام امرأة في غرفته طيلة النهار حتى يعرق،

ثم يفعل الأمر نفسه أمام هؤلاء الفتيان والفتيات ويعتقدون أنه يلعب لهم

موسيقى. معه آلة موسيقية غالية الثمن لأنني أعرف من أين اشتراها،

ولن أقول هل دفع ثمنها أم لا، لكنني أعرف أنه يدسها في فمه ثم يبدأ في

التحرك بذراعيه الطويلتين مثل ذراعي عنكبوت، أما هم فلن يستمعوا إلى أي شيء سواه."

"حسناً،" قالت الأنسة جويرنج، "بعض الناس يحبون بالفعل ذلك النوع من الموسيقى."

"نعم،" قال الرجل، "بعض الناس يحبون بالفعل ذلك النوع من الموسيقى، وهناك أناس يعيشون معاً ويتناولون طعامهم معاً حول المائدة عُرة تماماً طوال العام، ويوجد آخرون نعرفهم كلانا" — بدا غامضاً جداً — "لكن،" أضاف، "في أيامي كان المال يساوي دائماً رطلاً من السكر أو السمن أو دهن الخنزير. حين كنا نخرج كنا نأخذ ما دفعنا مقابلته بالإضافة إلى كلب يقفز عبر أطواق مشتعلة، وشرائح لحم يمكنك أن تريحي ذقنك عليها."

"ماذا تعني؟" سألت الأنسة جويرنج — "كلب يقفز عبر أطواق مشتعلة؟"

"حسناً،" قال الرجل، "بإمكانك تدريبها على فعل أي شيء بسنوات من الصبر الحقيقي والمثابرة والكثير من الصداق أيضاً. تأنين بطوق وتشعلين أطرافه وكرلاب البودل تلك، إن كانت حقيقية، سوف تقفز عبرها مثل طيور تطير في الهواء. بطبيعة الحال من النادر رؤيتها تفعل هذا، لكنها كانت هنا في هذه البلدة تطير عبر منتصف أطواق مشتعلة. بالطبع كان الناس أكبر سنًا حينها وكانوا يهتمون اهتماماً

أفضل بأموالهم ولم يكونوا يريدون رؤية أسود يتقافز إلى أعلى وأسفل.  
كانوا يفضلون وضع سقف جديد فوق بيوتهم. "ضحك.

"حسنًا،" قالت الأنسة جويرنج، "هل كان هذا يحدث في ملهى  
كان يقع حيث يوجد الآن ذلك المكان Pig Snout's Hook؟ تفهم  
ما أعني."

"بالتأكيد لم أفهم!" قال الرجل بحماس. "كان ذلك المكان يوجد هنا  
على هذا الجانب من النهر في مسرح حقيقي بثلاثة أسعار مختلفة للمقاعد  
وعرض كل ليلة وثلاث مرات عصرًا كل أسبوع."

"حسنًا، إذن،" قالت الأنسة جويرنج، "هذا أمر مختلف تمامًا،  
أليس كذلك؟ لأن، على أي حال، Pig Snout's Hook ملهى  
ليلي، كما قلت أنت نفسك منذ قليل، وذلك المكان حيث كانت  
كلاب البودل تقفز عبر أطواق مشتعلة كان مسرحًا، لهذا في حقيقة  
الأمر لا يوجد أي مجال للمقارنة."

انحنى الرجل المعجوز مرة أخرى وواصل نزع المسامير من الألواح  
الخشبية بوضع عصاه الصغيرة بين رأس المسمار والخشب.

لم تعرف الأنسة جويرنج ماذا تقول له، لكنها شعرت أن مواصلة  
الحديث ألطف من الشروع في المشي إلى نهاية الشارع الرئيسي بمفردها.  
أدركت أنه تضايق قليلًا، لهذا كانت مستعدة ل طرح سؤالها التالي بصوت  
أنعم كثيرًا.

"قل لي"، قالت له، "هل ذلك المكان خطير بأي شكل، أم أنه فقط مضیعة للوقت."

"بالتأكيد، إنه خطير"، قال العجوز على الفور، وقد بدا أن مزاجه السيئ قد مضى. "بكل تأكيد المكان خطير. يديره بعض الإيطاليين، والمكان محاط بحقول وغابات." نظر إليها كما لو كان يقول: "هذا هو كل ما تحتاجين إلى معرفته، أليس كذلك؟"

للحظة شعرت الأنسة جویرنج أنه حُجّة، وبدورها نظرت بمجدية شديدة في عينيه. "لكن أليس بوسعك"، سألت، "أليس بوسعك أن تدرك بكل يسر إن كانوا جميعًا قد عادوا سالمين؟ على أي حال، عليك إن استدعى الأمر أن تقف على قمة التل وتراقبهم يغادرون المعديّة." تناول العجوز عصاه مرة أخرى وقبض على ذراع الأنسة جویرنج.

"تعالي معي"، قال، "ولتقتني بشكل نهائي". أخذها من ذراعها إلى طرف التل، ونظرا إلى نهاية الشارع ساطع الإضاءة الذي يقود إلى المرسى. لم تكن العبارة هناك، لكن الرجل الذي يبيع التذاكر كان مرئيًا بوضوح في كابيته، وكذلك كان الحبل الذي يربطون به المعديّة إلى العمود، وحتى الشاطئ المقابل. استوعبت الأنسة جویرنج المشهد بأكمله بعين صافية، وانتظرت في قلق ما كان العجوز على وشك قوله.

"حسنًا"، قال العجوز، بينما يرفع ذراعه ويقوم بإيماءة غامضة شملت النهر والسماء، "بوسعك رؤية أنه من المستحيل معرفة أي شيء"، تلفتت الأنسة جویرنج حولها، وبدا لها أنه من غير الممكن أن

يكون أي شيء مخفياً عن عيونهما، لكنها صدقت في الوقت نفسه ما قاله لها العجوز. شعرت بالخزي والارتباك معاً.

"تعال معي"، قالت الأنسة جويرنج، "سوف أعزمك على بيرة."

"أشكركِ جداً، يا سيدتي"، قال العجوز. تغيّرت نبرة صوته إلى نبرة خادم، وشعرت الأنسة جويرنج بالمزيد من الخزي لأنها صدقت ما أخبرها به.

"هل هناك أي مكان معيّن تود الذهاب إليه؟" سألته.

"لا، يا سيدتي"، قال، بينما يجرد قدميه بجوارها. لم يعد يبدو عليه أدنى ميل إلى الكلام.

لم يكن أي أحد يمشي في الشارع الرئيسي سوى الأنسة جويرنج والعجوز. مرا بسيارة متوقفة أمام متجر مظلم. كان شخصان يدخلان في المقعدين الأماميين.

توقف العجوز أمام الواجهة الزجاجية لبار ومطعم شواء، ووقف ينظر إلى لحم الديك الرومي وبعض السجق المعروضين.

"هل ندخل هنا ونأكل شيئاً ما مع مشروبنا؟" سألته الأنسة جويرنج.

"لست جائعاً"، قال الرجل، "لكنني سأدخل معك وأجلس."

شعرت الأنسة جويرنج بخيبة أمل لأنه لم يبدو أن لديه أي معرفة بكيف يُضفي حتى أقل القليل من البهجة على المساء. كان البار مظلمًا، لكنه وُشِّي هنا وهناك بورق زينة. "احتفالاً بعطلة ما قريبة، بدون شك،" فكّرت الأنسة جويرنج. كان هناك إكليل لطيف على نحو خاص من زهور ورقية خضراء زاهية مُعلّق على امتداد المرأة وراء البار. كانت الغرفة قد زودت بثماني طاولات أو تسع، أُحيطت كل منها بمقصورة لها لون بني داكن.

جلست الأنسة جويرنج والعجوز عند البار.

"بالمناسبة،" قال العجوز لها، "ألن يروقك أكثر أن تجلسي على مائدة حيث لا تكونين في مجال الرؤية بهذا الشكل؟"

"لا،" قالت الأنسة جويرنج، "أعتقد أن هذا لطيف جدًا جدًا بالفعل. الآن أطلب ما تريد، هل تفعل؟"

"سوف أتناول،" قال الرجل، "ساندويتش من لحم الرومي وساندويتش من لحم الخنزير، كوب قهوة، ومشروبًا من ويسكي الشوفان."

"يالها من نفسية مثيرة للاهتمام!" فكّرت الأنسة جويرنج. "كنت لأعتقد أنه سيكون مُحرجًا بعد أن انتهى للتو من قول إنه لم يكن جائعًا."

نظرت بجانب عينيها بدافع الفضول، ولاحظت أن خلفها كان يجلس فتى وفتاة. كان الفتى يقرأ جريدة. لم يكن يشرب أي شيء. كانت الفتاة ترشف مشروبًا لطيفًا جدًا كرزي اللون عبر شفاطة. طلبت الأنسة

جويرنج لنفسها كأسين من العجن الواحدة تلو الأخرى، وحين انتهت منهما التفتت خلفها ونظرت إلى الفتاة مرة أخرى. يبدو أن الفتاة كانت تتوقع ذلك لأنها كانت قد التفتت بوجهها فعلاً ناحية الأنسة جويرنج. ابتسمت برقة للأنسة جويرنج وفتحت عينيها على اتساعهما. كانتا شديدي الدكنة. أبيضُ عينيها، لاحظت الأنسة جويرنج، كان مشوباً بلون أصفر. كان شعرها أسود وسلوكياً، ويمتد واقفاً محيطاً برأسها.

"يهودية، أو رومانية، أو إيطالية،" قالت الأنسة جويرنج لنفسها. لم يرفع الفتى عينيه عن جريدته، وكان يُمسك بها بطريقة أخفت وجهه. "تقضين وقتاً لطيفاً؟" سألت الفتاة الأنسة جويرنج بصوت أجش.

"حسناً،" قالت الأنسة جويرنج، "لم أخرج كي أقضي وقتاً لطيفاً على وجه التحديد. إلى حد كبير أجبرت نفسي على الخروج، ببساطة لأنني أحترق الخروج في أثناء الليل بمفردي، وأفضل ألا أغادر بيتي. لقد وصل الأمر إلى درجة أنني أجبر نفسي على القيام بهذه الخروجات الصغيرة."

توقفت الأنسة جويرنج لأنها لم تعرف في الحقيقة كيف يمكنها أن تستمر وتوضّح لهذه الفتاة ما تعنيه بدون أن تتحدث لوقت طويل جداً، وأدركت أن هذا سيكون مستحيلاً في تلك اللحظة، بما أن النادل كان يمشي باستمرار رائجاً وغادياً بين البار ومائدة الشاب والشابة.

"على أي حال،" قالت الأنسة جويرنج، "بالتأكيد أعتقد أنه لا ضرر في الاسترخاء قليلاً وقضاء وقت رائع."

"على الجميع أن يقضوا وقتًا مدهشًا في روعته،" قالت الفتاة، ولاحظت الأنسة جويرنج وجود أثر للكنتة في كلامها. "أليس هذا صحيحًا، يا ملاكي الققطوطة؟" قالت للفتى.

وضع الفتى جريدته جانبًا؛ بدا متضايقًا قليلًا. "ما هو الصحيح؟" سألتها. "لم أسمع كلمة مما قلت." عرفت الأنسة جويرنج تمامًا أن هذه كذبة، وأنه كان يتظاهر فقط بعدم ملاحظته أن صاحبتة كان تتحدث معها.

"لا شيء كبير الأهمية، حقًا،" قالت، وهي تنظر برقة في عينيه. "هذه السيدة هنا كانت تقول إنه على أي حال لا يسبب أي ضرر لأي أحد أن يسترخي ويقضي وقتًا ممتعًا."

"ربما،" قال الفتى، "يسبب قضاء وقت ممتع ضررًا أكبر من أي شيء آخر." قال هذا مباشرة إلى الفتاة وتجاهل تمامًا حقيقة أن الأنسة جويرنج قد أتت ذكرها على الإطلاق. مالت الفتاة نحوه كثيرًا، وهمست في أذنه.

"حبيبي،" قالت، "أمر فظيع حدث لتلك المرأة. أشعر بهذا في قلبي. أرجوك لا تكن سيئ المزاج معها."

"مع من؟" سألتها الفتى.

ضحكت لأنها كانت تعرف أنه لا يوجد المزيد بإمكانها فعله. كان الفتى عرضةً لأمزجة سيئة، لكنها كانت تحبه، وكانت قادرة على تحمل أي شيء تقريبًا.



كان العجوز الذي أتى مع الأنسة جويرنج قد استأذن، وأخذ مشروباته وطعامه إلى جوار راديو، حيث كان يقف الآن وأذنه قريبة من الصندوق.

بعيداً داخل الغرفة كان رجل يلعب البولنج في ممر صغير بمفرده تماماً؛ أنصتت الأنسة جويرنج لضجيج الكرات بينما تتدحرج على الحجرى الخشبي، وتمنت لو تمكنت من رؤيته حتى يكون في وسعها أن تشعر بالسكينة في هذا المساء بيقين أنه لا أحد يمكن اعتباره يمثل أي تهديد موجود في الغرفة. بالطبع يوجد احتمال لدخول مزيد من الزبائن عبر الباب، لكن هذا فات عقلها تماماً. بصرف النظر عن جدية محاولاتها، كان من المستحيل بالنسبة لها أن ترى الرجل الذي كان يدفع بالكرات.

كان الفتى والفتاة يتشاجران. كان في وسع الأنسة جويرنج أن تعرف ذلك من نبرة صوتيهما. أنصتت إليهما بحرص بدون أن تلتفت برأسها.

"لا أرى لم،" قالت الفتاة، "عليك أن تغضب على الفور فقط لأنني ذكرت أنه يروقي دائماً أن آتي إلى هنا وأجلس لبعض الوقت."  
"لا يوجد أي سبب على الإطلاق،" قال الفتى، "لم يجب أن تريدي أن تأتي إلى هنا وتجلسي أكثر من أي مكان آخر."  
"لماذا إذن—لماذا إذن تأتي إلى هنا؟" سألت الفتاة بتردد.

"لا أعرف"، قال الفتى؛ "ربما لأنه أول مكان نصل إليه بعد أن نغادر غرفتنا."

"لا"، قالت الفتاة، "توجد أماكن أخرى. أتمنى فقط أن تقول إنك تحب المكان هنا؛ لا أعرف السبب، لكن هذا سيجعلني سعيدة جداً؛ إننا نأتي إلى هنا منذ مدة طويلة."

"سأكون ملعوناً إن قلت هذا، وسأكون ملعوناً إن أتيت إلى هنا بعد الآن إن كنت ستُضفيين على هذا المكان قوة ساحرات."

"أوه، يا قطقوطة"، قالت الفتاة، وثمة أسي حقيقي في نبرة صوتها، "يا قطقوطة، لا أحدث عن الساحرات وقواهن؛ لا أفكر فيهن حتى. فقط حين كنت بنتاً صغيرة. ما كان يجب أن أخبرك قط بالقصة."  
هز الفتى رأسه؛ كان يشعر بالقرص منها.

"بحق الرب"، قال، "لا يقترب هذا مما أقصد، يا بيرنيس Bernice."

"لا أفهم ما تقصد"، قالت بيرنيس. "يأتي العديد من الناس إلى هذا المكان أو إلى مكان ما آخر كل ليلة لسنوات وسنوات لا لفعل أي شيء أكثر من تناول مشروب والتحدث إلى أحدهم الآخر؛ فقط لأن المكان يشبه البيت بالنسبة لهم. ونحن نأتي إلى هنا فقط لأنه رويداً رويداً يصبح بيتاً لنا؛ بيتاً ثانياً إن كان لك أن تدعو غرفتنا الصغيرة بيتاً؛ إنها كذلك بالنسبة لي؛ أحبها كثيراً."

همهم الفتى ساخطاً.

"ثم إن،" أضافت، شاعرةً أن كلماتها ونبرة صوتها لا تستطيع المساعدة في استمالة الفتى، "الطاوولات والمقاعد والحوائط هنا أصبحت الآن مثل الوجوه المألوفة لأصدقاء قدامى."

"أي أصدقاء قدامى؟" قال الفتى، بينما تزداد شراسة تجهمه. "أي أصدقاء قدامى؟ بالنسبة لي هذا مجرد مرحاض آخر حيث يشرب الفقراء الكحوليات كي ينسوا حال دخلهم الذي لا وجود له."

جلس مستقيماً تماماً ونظر بغضب شديد إلى بيرنيس.

"قد يكون هذا صحيحاً، على نحو ما،" قالت بغموض، "لكنني أشعر أنه يوجد أكثر من هذا."

"هذه تحديداً هي المشكلة."

في تلك الأثناء كان فرانك، الساقى، ينصت إلى حديث بيرنيس مع ديك Dick. كانت ليلة مملة وكلما فكّر فيما قال الفتى، شعر بمزيد من الغضب. قرّر أن يذهب إلى المائدة، ويبدأ شجاراً.

"هيا، يا ديك،" قال، بينما يقبض عليه من ياقة قميصه. "إن كان هذا هو ما تشعر به تجاه هذا المكان، فلتخرج بحق الجحيم من هنا." جذبته بعنف من مقعده، ودفعه دفعةً رهيبيةً إلى درجة أن ديك تعثر لعدة خطوات ووقع برأسه على البار.

"أيها الرأس الكبير البدين،" صرخ ديك في الساقى، بينما يندفع نحوه. "يا كتلة الشحم الرجعية. سوف أضرب وجهك الأبيض هذا."

كان الاثنان يتعاركان الآن بعنف. كانت بيرنيس واقفة فوق المائدة، تجذب قميصي المتعاركين في محاولة لفصلهما. تمكنت من الوصول إليهما حتى حين كانا بعيدين إلى حد كبير عن المائدة لأن المقاعد الخشبية تنتهي بأعمدة في كلا الجانبين، وبالتشبت بأحدها كان بإمكانها أن تتأرجح فوق رأسي المتعاركين.

من حيث كانت تقف الآن، كان في وسع الأنسة جويرنج أن ترى اللحم أعلى جوارب بيرنيس كلما مالت بعيداً بشكل خاص عن المائدة. لم يكن هذا ليزعجها كثيراً إن لم تكن قد لاحظت أن الرجل الذي كان يدحرج الكرات الخشبية قد ابتعد الآن عن مكانه ويحملق بثبات كبير في لحم بيرنيس العاري كلما سنحت فرصة. كان للرجل وجه أحمر مستطيل، أنف شاحب ومتضخم على نحو ما، وشفتان رفيعتان جداً. كان شعره تقريباً برتقالي اللون. لم تستطع الأنسة جويرنج أن تحدد إن كانت له شخصية مفرطة الزهافة أم طبيعة إجرامية، غير أن حدة سلوكه أخافتها تقريباً إلى حد الموت. ولم يكن من الممكن للأنسة جويرنج أن تحدد حتى إن كان ينظر إلى بيرنيس باهتمام أم بازدراء.

رغم أنه كان يتلقى بعض اللكمات القوية وكان وجهه غارقاً في العرق، بدا فرانك الساقى هادئاً جداً، وبدا للأنسة جويرنج أنه كان يفقد اهتمامه بالشجار، وأن الشخص الوحيد في الغرفة الذي كان في حقيقة الأمر متوتراً بالفعل هو الرجل الواقف خلفها.

سرعان ما كان لفرانك شفة مجروحة ولديك أنف دام. بعد هذا  
بقليل توقف كلاهما عن الشجار وسارا بدون اتران نحو الحمام. قفزت  
بيرنيس عن المائدة وجرت وراءهما.

عادا بعد عدة دقائق، وقد اغتسلا ومشطا شعرهما. كانا يضعان  
مناديل متسخة فوق فميهما. سارت الأنسة جويرنج إليهما، وأمسكت  
بكل من الرجلين من ذراعه.

"أنا مسرورة أن الأمر انتهى الآن، وأريد من كل منكما أن يتناول  
مشروباً كضيفي."

بدا ديك حزينا جداً الآن وواجباً تماماً. أوماً برأسه في جدية،  
وجلسوا معاً وانتظروا أن يُعدّ لهم فرانك مشروباتهم. عاد بمشروباتهم،  
وبعد أن خدمهم، جلس هو الآخر إلى المائدة. شربوا جميعاً في صمت  
لبرهة. كان فرانك حالماً وبدا أنه يفكر في أمور شخصية جداً لا صلة لها  
بأحداث المساء. أخرج دفتر عناوين وتصفحه عدة مرات. كانت الأنسة  
جويرنج أول من قطع الصمت.

"الآن أخبراني،" قالت لبيرنيس وديك، "أخبراني بماذا تهتمان."

"أنا مهتم بالنضال السياسي،" قال ديك، "وهو، بطبيعة الحال،  
الأمر الوحيد الذي يمكن أن يهتم به أي كائن بشري يحترم نفسه. أنا  
أيضاً في الجانب المنتصر وفي الجانب الصائب. الجانب الذي يؤمن بإعادة

توزيع رأس المال. "ضحك ضحكة مكتومة لنفسه، وكان من اليسير رؤية أنه يعتقد أنه يتحدث مع حمقاء مكتملة الحماقة.

"لقد سمعت بكل هذا،" قالت الأنسة جويرنج. "وماذا تهتمين أنت؟" سألت الفتاة.

"بأي شيء يهتم به، لكن صحيح أنني آمنت بأن النضال السياسي هام جداً قبل أن أقابله. الأمر هو أن طبيعتي تختلف عن طبيعته. ما يجعلني سعيدة يبدو أنني ألتقطه من السماء بكلتا يدي؛ أحمل فقط أياً ما كان ما أحب لأن ذلك هو كل ما أستطيع أن أراه. يتدخل العالم بيني وبين سعادتني، لكنني لا أتدخل مع العالم إلا الآن بما أنني مع ديك." مدت بيرنيس يدها على المائدة لديك كي يُمسك بها. كانت سكرانة قليلاً بالفعل.

"يحزني أن أسمعك تتحدثين على هذا النحو،" قال ديك. "تعرفين، كيسارية، تمام المعرفة أنه قبل أن نقاتل من أجل سعادتنا الخاصة يتعين علينا أن نقاتل من أجل شيء آخر. نحن نعيش في عصر تعني فيه السعادة الشخصية القليل جداً لأنه يتبقى للفرد لحظات قليلة جداً. من الحكمة أن تدمري نفسك أولاً؛ على الأقل كي تستبقي فقط ذلك الجزء منك الذي يمكن أن يكون نافعاً لمجموعة كبيرة من الناس. إن لم تفعلني هذا تفقدي أثر الحقيقة الموضوعية وكل هذه الأمور، وتسقطي سقوطاً مدوياً في منتصف تصوف هو الآن مضيعة للوقت."

"أنت على حق، يا ديكي العزيز،" قالت بيرنيس، "لكنني أحياناً أود أن أخدم في غرفة جميلة. أحياناً أفكر أنه سيكون من اللطيف أن

أكون برجوازية." (قالت كلمة "برجوازية"، لاحظت الأنسة جويرنج، كما لو كانت قد تعلمتها للتو.) واصلت بيريس: "أنا شخص على درجة عالية من الإنسانية. رغم أنني فقيرة فسوف أفتقد الأشياء نفسها التي يفتقدونها، لأن أحياناً في الليل حقيقة أنهم نائمون في بيوتهم بأمان، بدلاً عن أن تثير غضبي، تملؤني بسكينة، مثلما يروق لطفل يخاف في أثناء الليل أن يسمع البالغين يتحدثون في الشارع. ألا تعتقد أنه يوجد بعض المعنى فيما أقول، يا ديكي؟"

"لا معنى على الإطلاق!" قال الفتى. "نعرف تمام المعرفة أن أمانهم ذلك هو ما يجعلنا نبكي في أثناء الليل."

في تلك اللحظة كانت الأنسة جويرنج متلهفة على المشاركة في الحديث.

"أنت"، قالت لديك، "مهتم بكسب معركة عادلة وذكية. أنا أكثر اهتماماً بما يجعل هذه المعركة عصية على الكسب."

"لديهم السلطة في أيديهم؛ لديهم الصحافة ووسائل الإنتاج."

وضعت الأنسة جويرنج يدها فوق فم الفتى. قفز. "هذا صحيح تماماً"، قالت، "لكن أليس من الواضح جداً أن هناك أمراً آخر تحاربه أيضاً؟ إنك تحارب وضعهم الحالي على هذه الأرض، وهم جميعاً مرتبطون به في تجهم. عرقنا، كما تعرف، ليس غيباً. إنهم متجهمون لأنهم ما زالوا يعتقدون أن الأرض مسطحة، وأنه من المحتمل أن يسقطوا

من فوقها في أي لحظة. هذا هو السبب في أنهم يتشبهون تشبهاً قوياً بالمنتصف. أعني، بكل المثل التي عاشوا دائماً طبقاً لها. ليس في وسعك أن تواجه رجالاً ما زالوا يحاربون الظلام وكل التنانين، بمستقبل جديد."

"حسناً، حسناً، قال ديك، "ماذا عليّ أن أفعل إذن؟"

"فقط تذكر،" قالت الأنسة جويرنج، "أن ثورة كُسبت هي بالغ يتعين عليه قتل طفولته بشكل نهائي."

"سوف أتذكر،" قال ديك، وهو يهزأ قليلاً بالأنسة جويرنج.

الرجل الذي كان يدحرج الكرات كان يقف عند البار الآن.

"الأفضل أن أذهب كي أرى ماذا يريد آندي،" قال فرانك. كان يُصفر بصوت منخفض طوال حوار الأنسة جويرنج مع ديك، لكن بدا أنه يُنصت رغم ذلك، لأنه بينما يغادر المائدة التفت إلى الأنسة جويرنج.

"أعتقد أن الأرض مكان لطيف جداً للحياة،" قال لها، "ولم أشعر قط أنني بأخذ خطوة إضافية أبعد مما يجب سوف أقع من فوقها. يمكنك دائماً أن تفعلي الأشياء مرتين أو ثلاثاً على الأرض ويكون الجميع على ما يكفي من الصبر حتى تقومي بشيء ما على ما يرام. خطأ المرة الأولى لا يعني أنك قد غرقت."

"حسناً، لم أكن أتحدث عن هذا،" قالت الأنسة جويرنج.



"هذا بالضبط ما تتحدثين عنه. لا تحاولي التملص من هذا الآن. لكنني أقول لك إن الأمر على ما يرام تمامًا فيما يخصني." كان ينظر بحنو في عيني الأنسة جويرنج. "حياتي"، قال، "تخصني، سواء كانت كلبة هجينة أو أميرة."

"عمّ يتحدث بحق السماء؟" سألت الأنسة جويرنج بيرنيس وديك. "يبدو أنه يعتقد أنني أهنته."

"الرب يعلم!" قال ديك. "على أي حال أشعر برغبة في النوم. بيرنيس، لنذهب إلى البيت."

بينما كان ديك يدفع لفرانك عند البار، مالت بيرنيس على الأنسة جويرنج وهمست في أذنها.

"تعرفين، يا عزيزتي"، قالت، "إنه ليس هكذا حين نكون في البيت معًا وحدنا. يجعلني سعيدة حقًا. إنه فتى عذب، وعليك أن تري الأشياء البسيطة التي تسره حين يكون في غرفته الخاصة وليس مع غرباء. حسنًا" —وقفت وبدت محرجة قليلاً من فورة الثقة التي أبدتها— "حسنًا، أنا مسرورة جدًا أنني قابلتك، وأتمنى ألا نكون قد عرضناك لأكثر مما يجب من الوقت السيئ. أؤكد لك أن هذا لم يحدث من قبل، لأن في داخله، ديك مثلي ومثلك حقًا، لكنه في حالة ذهنية عصبية جدًا. لهذا عليك مسامحته."

"بالتأكيد"، قالت الأنسة جويرنج، "لكنني لا أرى على أي شيء."

"حسنًا، وداعًا،" قالت بيرنيس.

كانت الأنسة جويرنج أكثر حرجًا وصدمة مما قالته بيرنيس وراء ظهر ديك من أن تلاحظ بدايةً أنها كانت الآن الشخص الوحيد في غرفة البار بالإضافة إلى الرجل الذي كان يدحرج الكرات الخشبية والعجوز، الذي كان حينها قد سقط في النوم ورأسه فوق البار. حين لاحظت ذلك شعرت للحظة واحدة موحشة أن الأمر كله رُتب مسبقًا وأنه رغم أنها قد أجبرت نفسها على القيام بتلك الرحلة الصغيرة إلى اليابسة، فقد خُدعت في الوقت نفسه على نحو ما للقيام بها من قبل القوى في الأعلى. شعرت بأنها ليس بوسعها المغادرة وأنه حتى إن حاولت، فسوف يحدث أمر ما كي يعطل رحيلها.

لاحظت بقلب ضعيف أن الرجل قد رفع مشروبه من فوق البار وكان آتياً نحوها. توقف على بعد ما يقارب القدم من طاولتها ووقف ممسكًا بكأسه في منتصف المسافة.

"سوف تتناولين مشروبًا معي، أألن تفعلين؟" سألها بدون أن يبدو ودودًا على نحو خاص.

"أنا آسف،" قال فرانك من وراء البار، "لكننا سنغلق الآن. أخشى أننا لن نقدم المزيد من المشروبات."

لم يقل آندي أي شيء، لكنه خرج من الباب وأغلقه وراءه بعنف. كان في وسعهما سماعه رائتًا وغاديًا خارج البار.

"سوف يفعل أفعاله مرة أخرى،" قال فرانك، "اللعنة على كل شيء".

"أوه، يا إلهي،" قالت الأنسة جويرنج، "هل تخافه؟"

"بالتأكيد لا أخافه،" قال فرانك، "لكنه شخص كريه—هذه هي الكلمة الوحيدة التي يمكن أن أفكر فيها كي أصفه—كريه؛ وبعد أن نقول ونفعل كل شيء، الحياة قصيرة."

"حسنًا،" قالت الأنسة جويرنج، "هل هو خطير؟"

هز فرانك كتفيه. سرعان ما عاد آندي.

"القمر والنجوم يظهران الآن،" قال، "ويمكنني تقريبًا أن أرى بوضوح حتى أطراف البلدة. لا يوجد رجل شرطة في مدى الرؤية، لهذا أعتقد أنه يمكننا أن نتناول مشروبنا."

انسل إلى الداخل، وجلس على المقعد المقابل للأنسة جويرنج.

"الجو بارد، والشارع يخلو من أي حياة، لا يوجد أي شيء حي فيه،" بدأ، "لكن هذا ما يروقي هذه الأيام؛ فلتسامحني إن بدوت عابسًا لامرأة مبتهجة مثلك، لكنني معتاد على عدم الانتباه أبدًا لأي كان من أحدثه. أعتقد أن الناس قد تقول، عني: 'ينقصه احترام الكائنات البشرية الأخرى'. أنت لديك الكثير من الاحترام لأصدقائك، أنا متأكد من

هذا، لكن هذا فقط لأنك تحترمين نفسك، وهذه هي دائماً نقطة البداية لأي شيء: نفسك."

لم تشعر الآنسة جويرنج براحة أكثر الآن إذ يتحدث معها عما كانت قبل أن يجلس. بدا أنه يزداد حدة وغضباً بينما يتحدث، وطريقته في إضفاء سمات عليها لم تكن حقيقية على أي نحو بالنسبة لطبيعتها أعطت كلامه طابعاً مخيفاً، وفي الوقت نفسه جعلت الآنسة جويرنج تشعر بأنها قليلة الأهمية.

"هل تعيش في هذه البلدة" سألته الآنسة جويرنج.

"نعم، بالتأكيد،" قال آندي، "عندي ثلاث غرف مفروشة في مبنى سكني جديد. إنه المبنى السكني الوحيد في هذه البلدة. أَدفع إيجاراً كل شهر، وأعيش هناك بمفردي تماماً. بعد الظهر تسطع الشمس داخل شقتي، وهذه من أفضل المفارقات، في رأيي، لأنه من بين كل الشقق في المبنى، شقتي هي الأكثر تعرضاً للشمس وأنام هناك طيلة النهار مُسدلاً الستائر. لم أعش هناك دائماً. عشت في السابق في المدينة مع أمي. لكن هذا هو أقرب ما استطعت أن أجد لجزيرة عقابية، لهذا تناسبني، تناسبني تماماً." تحسّس بعض السجائر لعدة دقائق، واحتفظ بعينيه عمداً بعيداً عن وجه الآنسة جويرنج. ذكرها ببعض ممثلي الكوميديا ممن يُعطوا في نهاية المطاف دوراً مأساوياً ثانوياً ويؤدون باتقان تام. كان لديها أيضاً انطباع واضح أن شيئاً محددًا يشق عقله البسيط إلى قسمين، مؤدياً به إلى

أن يتقلب بين ملاءات السرير بدلاً عن النوم، وإلى أن يعيش وجوداً  
بائساً تماماً. لم يكن لديها أي شك في أنها ستعرف ذلك الشيء قريباً.

"لديك نوع خاص جداً من الجمال،" قال لها؛ "أنف سيء، لكن  
عينان جميلتان وشعر جميل. سيسرني وسط كل هذا الرعب أن أذهب إلى  
الفراش معك. لكن كي نفعل هذا سيكون علينا أن نغادر هذا البار  
ونذهب إلى شقتي."

"حسناً، لا أستطيع أن أعدك بأي شيء، لكن سيسرني أن أذهب  
إلى شقتك،" قالت الأنسة جويرنج.

قال آندي لفرانك أن يتصل بموقف سيارات الأجرة، ويخبر رجلاً  
معيئاً كان مداوماً طيلة الليل بأن يأتي ويأخذهما.

قطعت سيارة الأجرة الطريق إلى نهاية الشارع الرئيسي ببطء  
شديد. كانت قديمة جداً وبالتالي كان يصدر عنها الكثير من الصليل.  
حشر آندي رأسه خارج النافذة.

"كيف الحال، أيها السيدات والسادة؟" زعق في الشارع الخالي،  
محاولاً أن يتمثل لكنته إنجليزية. "أمل، أمل بكل تأكيد أن يكون كل فرد  
منكم يقضي وقتاً ممتعاً في بلدتنا العظيمة هذه." مال بظهره عائداً إلى  
مقعده مرة أخرى، وابتسم بصورة بشعة تماماً إلى درجة أن الأنسة  
جويرنج شعرت بالرعب مرة أخرى.

"يمكنك دحرجة عجلة معدنية عبر هذا الشارع، عارية، في منتصف الليل ولن يعرف أي أحد بالأمر أبدًا،" قال لها.

"حسنًا، إن كنت تعتقد أنه مكان موحش إلى هذا الحد،" قالت الأنسة جويرنج، "فلم لا تنتقل، بكل ما تملك، إلى مكان آخر؟"

"أوه، لا،" قال عابسًا، "لن أفعل هذا أبدًا. لا فائدة في أن أفعل هذا."

"هل الأمر أن عملك يربطك بهذا المكان؟" سأله الأنسة جويرنج، رغم أنها كانت تعرف تمام المعرفة أنه كان يتحدث عن أمر ما روحي وأكثر أهمية بكثير.

"لا تدعوني رجل أعمال،" قال لها.

"أنت فنان إذن؟"

هز رأسه في غموض كما لو كان غير متأكد تمامًا مما هو الفنان.

"حسنًا، إذن،" قالت الأنسة جويرنج، "لقد خمنت مرتين؛ الآن أئن تخبرني بما أنت؟"

"متبطل!" قال بصوت جهور، وهو ينزلق أكثر في مقعده. "عرفت هذا طيلة الوقت، أليس كذلك، بما أنك امرأة ذكية؟"

توقفت السيارة أمام مبنى سكني انتصب بين قطعة أرض خالية وسلسلة من المتاجر من دور واحد فقط.

"انظري، أحصل على شمس بعد الظهيرة طوال النهار،" قال،  
"لأنه لا توجد أي عوائق. أطل على هذه الساحة الخالية."

"ثمّة شجرة تنمو في هذه الساحة الخالية،" قالت الأنسة جويرنج.  
"أفترض أن في وسعك أن تراها من نافذتك؟"

"نعم،" قال آندي. "غريب، أليس كذلك؟"

كان المبنى السكني جديدًا تمامًا وصغيرًا جدًا. وقفًا معًا في المدخل  
بينما بحث آندي في جيوبه عن المفاتيح. كانت الأرضية مصنوعة من  
رخام مُقلّد، أصفر اللون إلا في المنتصف حيث وضع المصمم سيفساء  
لطاووس أزرق، تحيطه زهور متنوعة طويلة الفروع. كان من العسير  
تمييز الطاووس في الضوء المعتم، غير أن الأنسة جويرنج أقتت على  
أعقابها كي تفحصه على نحو أفضل.

"أعتقد أن هذه زنابق مائية حول ذلك الطاووس،" قال آندي،  
"لكن من المفترض أن يكون في طاووس آلاف الألوان، أليس كذلك؟  
متعدّد الألوان، أليس هذا مغزى الطاووس؟ هذا الطاووس أزرق  
تمامًا."

"حسنًا،" قالت الأنسة جويرنج، "ربما هو أطفه هكذا."

تركا الردهة وصعدا بعض السلالم الحديدية القبيحة. كان آندي  
يسكن في الطابق الأول. كانت هناك رائحة رهيبة في الردهة. أخبرها أنها  
لا تحتفي أبدًا.

"إنهم يطبخون هناك لعشرة أشخاص"، قال، "طوال اليوم. يعملون في ساعات مختلفة من اليوم؛ نصفهم لا يرى النصف الآخر، إلا في أيام الأحاد والعطلات."

كانت شقة آندي حارة جدًا وسيئة التهوية. الأثاث كان بني اللون ولم يبدو أن أيًا من الوسائد تناسب المقاعد كما ينبغي.

"ها هي نهاية الرحلة"، قال آندي، "خُذي راحتك. سوف أخلع بعض ملابسني." عاد بعد دقيقة وقد ارتدى ثوب حمام مصنوعًا من قماش رخيص جدًا. كان كل من طرفي رباط الثوب قد بُليا إلى حد ما من القضم.

"ماذا حدث لرباط ثوبك؟" سألته الأنسة جويرنج.

"عضّه كلبني."

"أوه، لديك كلب؟" سألته.

"في زمن بعيد كان عندي كلب ومستقبل، وفتاة"، قال، "لكن لم يعد هذا هو الحال."

"حسنًا، ماذا حدث؟" سألت الأنسة جويرنج، وهي تُزيح شالها من على كتفها، وتمسح جبهتها بمنديلها. كان الحر قد جعلها تتعرق بالفعل، خصوصًا أنها لم تكن معتادة على التدفئة المركزية منذ مدة طويلة.

"دعينا لا نتحدث عن حياتي"، قال آندي، رافعًا يده مثل ضابط مرور. "فلنتناول بعض المشروبات بدلاً عن هذا."



"حسنًا، لكنني بالتأكيد أعتقد أن علينا أن نتحدث عن حياتك عاجلاً أو آجلاً،" قالت الأنسة جويرنج. في أثناء كل هذا كانت تفكر أنها ستسمح لنفسها بالعودة إلى البيت في خلال ساعة. "أعتبر،" قالت لنفسها، "أني قد أبلت بلاءً حسنًا بالنظر إلى أنها ليلتي الأولى." كان آندي واقفًا يشد من رباط ثوبه كي يُحكم شدة حول خصره.

"كنت،" قال، "قد خطبت وعلى وشك الزواج من فتاة لطيفة جدًا كانت تعمل. أحببتها على أقصى ما يمكن لرجل أن يحب امرأة. كان لها جبهة ناعمة، عينا زرقاوان جميلتان، وأسنان لم تكن جيدة على القدر نفسه. كانت ساقاها شيئًا ثلثت له الصور. كان اسمها ماري، وكانت على وفاق مع والدي. كانت فتاة بسيطة لها عقل عادي، وتجد متعة كبيرة في الحياة. أحيانًا كنا نتناول العشاء في منتصف الليل لأكثر من أن نفعل ذلك وكانت تقول لي: 'تصور أننا نمشي في الشارع في منتصف الليل كي نتناول عشاءنا. مجرد شخصين عاديين. ربما لا يوجد أي عقل.' بطبيعة الحال، لم أقل لها إن هناك الكثير من الناس مثل من يسكنون في آخر الممر في هـ د ممن يأكلون العشاء في منتصف الليل، ليس لأنهم مجانين، بل لأن لديهم وظائف تتسبب في أن يفعلوا هذا، لأن حينها ربما لم تكن لتجد متعة كبيرة في ذلك. لم أكن لأفسد الأمر، وأخبرها أن العالم ليس مجنونًا، أن العالم نصف عاقل؛ ولم أكن أعرف أيضًا أن بعدها بشهرين سيصبح حبيب قلبها واحدًا من أكثر المجانين فيه."

كانت العروق في جبهة آندي قد بدأت في الانتفاخ، ووجهه أصبح أكثر احمراراً، وطرفا منخاره أكثر تعرقاً.

"من المؤكد أن كل هذا يعني له شيئاً ما،" فكّرت الآنسة جويرنج.

"في أحيان كثيرة كنت أذهب إلى مطعم إيطالي للعشاء؛ كان بالضبط على الناصية بالقرب من بيتي؛ تقريباً كنت أعرف كل من كان يأكل هناك، والجو كان بهيجاً جداً. كان البعض منا يأكلون دائماً معاً. كنت دائماً أشتري النبيذ لأنني كنت أكثر دخلاً من معظمهم. ثم إنه كان هناك عجوزان يأكلان هناك، لكننا لم نكثرث بهما قط. كان هناك رجل آخر أيضاً لم يكن مسناً جداً، لكنه كان متوحداً ولم يختلط بالآخرين. عرفنا أنه كان في الماضي يعمل في السيرك، لكننا لم نكتشف قط أي وظيفة كان يشغلها هناك. ثم ذات ليلة، الليلة السابقة لليلة التي أحضرها فيها، حدث أنني كنت أهدق فيه بدون أي سبب على الإطلاق، ورأيته يقف ويطوي جريدته في جيبه، وهو ما بدا أمراً غريباً لأنه لم يكن قد انتهى من عشائه بعد. ثم التفت نحونا، وسعل كما لو كان يجلو حلقه.

"أيها السادة،" قال، "لدي إعلان عليّ أن أقوم به." كان عليّ أن أهدئ الفتية فقد كان له صوت منخفض رفيع إلى درجة أنه كان من الصعب أن تسمع ما يقول.

'لن آخذ الكثير من وقتكم،' واصل، مثل شخص يتحدث في مأدبة كبيرة، 'لكنني أريد أن أخبركم وسوف تفهمون السبب بعد دقيقة. أريد فقط أن أخبركم بأنني سوف أحضر سيدة شابة هنا في ليلة الغد وبدون أي تحفظات أود منكم جميعاً أن تحبوها: هذه السيدة، أيها السادة، مثل دمية مكسورة. ليس لديها ذراعان ولا ساقان.' ثم جلس بهدوء تام وعاد على الفور إلى الأكل مرة أخرى.

"إنه أمر محرج بشكل رهيب!" قالت الأنسة جويرنج. "يا إلهي، كيف كان ردكم على ذلك؟"

"لا أتذكر،" قال آندي، "أتذكر فقط أن الأمر كان محرجاً كما تقولين، ولم نشعر أنه كان يتعين عليه أن يقوم بالإعلان على أي حال."

"كانت بالفعل على مقعدها في الليلة التالية حين وصلنا هناك؛ وقد تجملت في أنيقة، وارتدت بلوزة جميلة جداً ونظيفة، ومشبوكة من الأمام بدبوس له شكل فراشة. كان شعرها قد مُوج أيضاً، وكانت شقراء. أصحخت السمع، فسمعتها تحبّر الرجل ضئيل الحجم أن شهيتها تتحسن باستمرار، وأن في وسعها أن تنام أربع عشرة ساعة في اليوم. بعدها بدأت في ملاحظة فمها. كان مثل بتلة وردة أو قلب أو صدفة صغيرة من نوع ما. كان جميلاً جداً فعلاً. ثم على الفور بدأت في التساؤل عن كيف ستكون؛ بقيتها، تفهمين - بدون أي سيقان." توقف عن الحديث ومشى في أرجاء الغرفة، بينما يرفع نظره إلى حوائطه.

"أتى الأمر إلى ذهني مثل حية قبيحة، هذه الفكرة، وتلوت هناك كي تبقى. نظرت إلى رأسها صغيراً جداً ورقيقاً جداً على خلفية الحائط الداكن الكئيب، وكانت هذه هي تفاحة الخطيئة آكلها للمرة الأولى."

"حقاً للمرة الأولى؟" قالت الأنسة جويرنج. بدت متحيرة، واستغرقت في أفكارها للحظة.

"من لحظتها فصاعداً لم أفكر في أي أمر سوى أن أكتشف ذلك؛ كل خاطر آخر غادر رأسي."

"وقبل ذلك كيف كانت خواطرك؟" سألته الأنسة جويرنج بقليل من الخبث. لم يبدو أنه يسمعها.

"حسناً، استمر هذا لبعض الوقت—الطريقة التي شعرت بها تجاهها. كنت أقابل بل Belle، التي كثيراً ما جاءت إلى المطعم، بعد تلك الليلة الأولى، وكنت أقابل ماري أيضاً. أصبحت ودوداً مع بل. لم يكن هناك أي شيء مميز فيها. كانت تحب النيذ، وفي الحقيقة اعتدت أن أصبه لها في حلقها. كانت تتحدث أكثر قليلاً مما ينبغي عن أسرتها، وكانت تقية قليلاً. ليست متدينة بالضبط، لكن ممتلئة أكثر قليلاً مما ينبغي بحليب الطيبة الإنسانية. تنامى وتنامى، ذلك الفضول الرهيب أو رغبتى تلك حتى في نهاية المطاف بدأ عقلي في الهيام حين أكون مع ماري، ولم أعد أستطيع أن أنام معها. كانت رائعة في التعامل مع ذلك، صبورة مثل حمل. كانت أصغر من أن يحدث لها أمر مثل هذا. كنت مثل

عجوز رهيب أو واحد من هؤلاء الملوك العننين ممن لهم تاريخ من الزهري".

"هل أخبرت حبيبتيك بما كان يثقل على أعصابك؟" سألت الأنسة جويرنج، محاولة أن تستعجله قليلاً.

"لم أخبرها لأنني أردت للمباني أن تبقى في مكانها بالنسبة لها، وأردت للنجوم أن تكون فوق رأسها ومن دون أن تُصاب بالحوادث - أردت لها أن يكون في وسعها أن تمشي في الحديقة وتطعم العصافير في السنوات القادمة وإنسان ما آخر رائع يتعلق بذراعها. لم أرد لها أن تمس شيئاً ما داخلها، وتنظر إلى العالم عبر نافذة مغلقة بالمسامير. لم يمض وقت طويل قبل أن أذهب إلى الفراش مع بل، وجلبت على نفسي حالة بديعة من الزهري، وهو ما قضيت العامين التاليين في علاجه. بدأت في لعب البولنج تقريباً حول هذا الوقت، وفي النهاية تركت بيت أمي وعملي، وأتيت إلى هذه الأرض الخراب. بوسعي أن أعيش في هذه الشقة بشكل طيب بقليل من مال أحصل عليه من مبنى أملكه في أحد الأحياء الفقيرة من المدينة."

جلس على كرسي في مقابل الأنسة جويرنج، ووضع وجهه بين يديه. قدّرت الأنسة جويرنج أنه قد انتهى، وكانت على وشك أن تشكره على حسن ضيافته وتتمنى له ليلة سعيدة حين كشف وجهه وبدأ من جديد.

"أسوأ ما في الأمر، أتذكر بوضوح؛ أنني لم أعد أستطيع مواجهة أمي. كنت أظل في الخارج ألعب البولنج طيلة النهار ونصف الليل. ثم

في يوم الرابع من يوليو قرّرت أن أبذل مجهودًا استثنائيًا جدًا كي أفضي اليوم معها. كان من المفترض أن يمر موكب كبير بجوار نافذتنا في الثالثة عصرًا. قبل ذلك الوقت بقليل كنت أقف في الردهة مرتديًا بدلة مكوّبة، وكانت أمي تجلس على أكبر قرب استطاعته من النافذة. كان اليوم مشمسًا بالخارج ومناسبًا تمامًا لموكب. كان الموكب في موعده تمامًا لأننا بدأنا نسمع قبل الثالثة بربع ساعة بعض الموسيقى الخافتة على مبعده. ثم بعدها بقليل مر علم بلادي الأحمر والأبيض والأزرق، يحمله فتیان حسنو الهیئة. كانت الفرقة تعزف اليانكي دودل. وفجأة خبأت وجهي بين يدي؛ لم أستطع النظر إلى علم بلادي. حينها عرفت، بصورة نهائية، أنني أكره نفسي. منذ ذلك الحين تقبلت مكائتي كشخص حقير. 'المواطن حقير' هو اسم خاص صغير أطلقه على نفسي. يمكنك الحصول على بعض المتعة في الوحل رغم هذا، كما تعرفين، فقط إن تقبلت مقعدًا فيه بدلا عن محاولة التملص منه."

"حسنًا،" قالت الأنسة جویرنج، "بالتأكيد أعتقد أن في وسعك استجماع قواك بقليل من الجهد. ولم أكن لأعول كثيرًا على فقرة العلم هذه." نظر إليها نظرة غامضة. "تحدثين مثل سيدة مجتمع،" قال لها.

"أنا سيدة مجتمع،" قالت الأنسة جویرنج. "أنا غنية أيضًا، لكنني خفضت مستوى معيشتي عمدًا. تركت بيتي الرائع، وانتقلت إلى بيت صغير في الجزيرة. البيت في حالة سيئة جدًا ويكلفني عمليًا لا شيء. ما رأيك في هذا؟"

"أعتقد أنك محبولة،" قال أندي، بنبرة غير ودودة على الإطلاق. كان قد عبس بقتامة. "أمثالك من الناس يجب ألا يُسمح لهم أن يحتفظوا بالنقود." استغربت الأنسة جويرنج أن تسمعه يُعبّر عن مثل هذا الخلق المتعالي.

"من فضلك،" قالت، "هل من الممكن أن تفتح النافذة؟" "سيتعرض هذا المكان لريح باردة جداً إن فعلت،" قال أندي. "بصرف النظر،" قالت الأنسة جويرنج، "أعتقد أنني أفضل أن تفتحها."

"في الحقيقة،" قال أندي، بينما يتململ بضيق فوق مقعده. "لقد أصبت حديثاً بنوبة برد سيئة، وأخشى الجلوس في تيار الهواء." عض على شفته وبدا قلقاً جداً. "يمكنني أن أذهب وأقف في الغرفة المجاورة إن أردتَ بينما تحصلين على بعض الهواء الطلق،" أضاف، بينما تنفرج أساريره قليلاً.

"هذه فكرة ممتازة،" قالت الأنسة جويرنج.

غادر وأغلق باب غرفة النوم برفق خلفه. كانت مسرورة بفرصة الحصول على بعض الهواء البارد، وبعد أن فتحت النافذة، وضعت يديها على حافتها متباعدتين تماماً، ومالت إلى الخارج. كانت لتستمتع بهذا أكثر إن لم تكن متأكدة أن أندي يقف ساكناً في غرفته يلتهمه السأم ونفاد الصبر. كان ما زال يثير رعبها قليلاً، وفي الوقت نفسه شعرت أنه عبء رهيب. كانت توجد محطة بتزين في مقابل المبنى السكني. ورغم أن

المكتب كان مهجوراً في ذلك الوقت، فقد كان مضاءً بأنوار ساطعة، وكان ثمة راديو على المكتب قد تُرك مفتوحاً. وصلت إليها أغنية شعبية عبر الهواء. سرعان ما سمعت طرقة سريعة على باب غرفة النوم، وهو بالضبط ما توقعت أن تسمع. أغلقت النافذة رغماً عنها قبل أن تنتهي الأغنية.

"تعال،" نادته، "تعال." حين فتح آندي الباب، انزعجت لرؤية أنه قد خلع كل ملابسه فيما عدا جواربه وسرواله الداخلي. لم يبدو مخرجاً، بل تصرف كما لو كانا كلاهما قد فهما ضمناً أنه سيظهر على هذا النحو.

سار معها إلى الأريكة، وجعلها تجلس جواره. ثم لف ذراعه حولها، ووضع ساقاً فوق ساق. كانت ساقاه نحيفتين بشكل رهيب، وإجمالاً بدا ضئيل القيمة الآن بعد أن خلع ملابسه. ضغط بجذده على خد الأنسة جويرنج.

"هل تعتقدين أن بإمكانك جعلني سعيداً قليلاً؟" سأها.

"بحق السماء،" قالت الأنسة جويرنج، وهي تجلس مستقيمة الظهر تماماً، "اعتقدت أنك تجاوزت هذا."

"حسناً، لا يستطيع أي رجل أن يعرف المستقبل حقاً، كما تعرفين." ضيق عينيه، وحاول أن يُقبلها.



"الآن، بخصوص تلك المرأة،" قالت، "بل، التي لم يكن لها ذراعان ولا ساقان؟"

"أرجوك، يا جبي، دعينا لا نتناقش بشأنها الآن. هل تفعلين هذا الجميل من أجلي؟" كانت نبرته غاضبة قليلاً، لكن كان هناك تيار خفي من الإثارة في صوته. قال: "الآن أخبريني أي شيء يروقك. تعرفين... لم أبدد كل وقتي خلال هذين العامين. ثمة عدة أمور صغيرة أفتخر بها."

بدأت الآنسة جويرنج وقورة جداً. كانت تفكر في ذلك بجديّة شديدة، لأنها خشيت أنها إن قبلت عرض آندي، فسيكون أصعب كثيراً بالنسبة لها أن تضع حداً لتلك الرحلات، إن شعرت بالميل نحو هذا. حتى وقت قريب لم تذهب قط إلى مدى أخطر مما ينبغي في مسار قررت أنه المسار الصحيح أخلاقياً. لم تكن قد أقرت تماماً نقطة الضعف هذه في نفسها، لكنها كانت فطنة إلى حد ما وسعيدة بما يكفي لأن تحمي نفسها تلقائياً. كانت ثملة قليلاً، مع ذلك، وقد راقها اقتراح آندي إلى حد كبير. "على المرء قبول أن قدرًا ما من اللامبالاة في طبيعته يحقق أحيانًا ما لا تستطيع الإرادة أن تحقق،" قالت لنفسها.

نظر آندي ناحية باب غرفة النوم. بدا أن مزاجه قد تغير بشكل مفاجئ وبدأ مشوشًا. "لا يعني هذا أنه ليس داعرًا،" فكرت الآنسة جويرنج. نهض وتجوّل في أرجاء الغرفة. في النهاية سحب جرامفون قديمًا من وراء الأريكة. قضى وقتًا طويلًا ينفض عنه الغبار، ويجمع بعض الإبر التي كانت متناثرة حول القرص الدوار وتحت. بينما انحنى

فوق الآلة، استغرق تمامًا فيما كان يفعل، واتخذ وجهه طابعًا يثير تقريبًا التعاطف.

"إنها آلة قديمة جدًا،" تتمم. "حصلت عليها منذ وقت بعيد جدًا، جدًا."

كانت الآلة صغيرة جدًا وقديمة الطراز تمامًا، وإن كانت الآنسة جويرنج مرهفة العواطف، كانت لتشعر بالقليل من الحزن وهي تراقبه؛ غير أن صبرها كان يوشك على النفاد.

"لا أستطيع سماع كلمة واحدة مما تقول،" صرخت فيه بصوت عالٍ بدون داعٍ.

قام بدون أن يرد عليها، ودخل إلى غرفته. حين عاد كان يرتدي ثوب الحمام مرة أخرى ويحمل أسطوانة في يده.

"ستعتقدين أنني أبله،" قال، "أشغل نفسي بتلك الآلة كل هذا الوقت، بينما كل ما لدي هي هذه الأسطوانة الواحدة. إنها لحن حماسي؛ ها هي." ناولها إياها كي تتمكن من قراءة عنوان القطعة واسم الفرقة التي تؤديها.

"ربما،" قال، "تفضّلين ألاّ تسمعيها. كثير من الناس لا يحبون الموسيقى الحماسية."

"لا، شغلّها،" قالت الآنسة جويرنج. "سأكون مسرورة، حقًا."

وضع الأستوانة، وجلس على طرف مقعد غير مريح على مبعدة من الأنسة جويرنج. كانت الإبرة مفرطة الصخب، والمقطوعة الحماسية كانت "واشنطن بوست". شعرت الأنسة جويرنج بارتباك شخص يستمع إلى موسيقى مواكب حماسية في غرفة هادئة. بدا أندي مستمتعاً بها، وتتبع الإيقاع بقدميه طوال مدة الأستوانة. لكن ما إن انتهت، حتى بدا في حالة من التشوش أسوأ مما كان عليها قبلها.

"هل تودين رؤية الشقة؟" سألها.

قفزت الأنسة جويرنج واقفةً بسرعة مخافة أن يغير أندي رأيه.

"كانت الشقة من قبلي لامرأة تصنع الملابس، لهذا غرفة نومي مختنة قليلاً بالنسبة لرجل."

تبعته إلى داخل غرفة النوم. كان قد رتب السرير بشكل سيء، وكان فرش الوسادتين رمادياً ومُجعداً. فوق الخزانة كانت ثمة صور لعدة فتيات، جميعهن غير جذابات على نحو مريع وعاديات. بدون أقرب، بالنسبة للأنسة جويرنج، إلى نمط الشابات المترددات على الكنيسة من عشيقات لأعزب.

"فتيات حسنات المظهر، ألسن كذلك؟" قال أندي للأنسة جويرنج.

"رائعات المظهر،" قالت، "رائعات."

"ولا واحدة من هؤلاء الفتيات تعيش في هذه البلدة،" قال.  
"يعشن في بلدات مختلفة في محيط المنطقة. الفتيات هنا مصونات، ولا يروقهن أعزب في سني. لا ألومهن. أخرج مع أي واحدة من هؤلاء الفتيات من وقت إلى آخر كلما شعرت بالرغبة في ذلك. أجلس حتى في غرف معيشتهن لأمسية معهن، وأباؤهن في البيت. لكنهن لا يرينني كثيراً، بوسعي أن أخبرك بذلك."

كانت حيرة الأنسة جويرنج في ازدياد، لكنها لم تطرح عليه المزيد من الأسئلة لأنها شعرت فجأة بالإرهاق.

"أعتقد أنني سأنصرف الآن،" قالت، بينما تُحرك ساقها قليلاً.  
أدركت على الفور كم كانت وقحة وفضة، ورأت أندي يتوتر. وضع قبضتيه في جيوبه.

"حسناً، ليس في إمكانك الانصراف الآن،" أخبرها. "إبقي قليلاً، وسوف أصنع لك بعض القهوة."

"لا، لا، لا أريد أي قهوة. على أي حال، سوف يقلقون عليّ في البيت."

"من هم؟" سأها أندي.

"أرنولد ووالد أرنولد والأنسة جيملون."

"يبدون لي كحشد رهيب،" قال. "ليس في إمكاني العيش مع حشد مثل هذا."

"يروقني الأمر،" قالت الأنسة جويرنج.

وضع ذراعيه حولها وحاول أن يُقبلها، لكنها ابتعدت، "لا، بصدق، أنا متعبة جداً."

"حسنًا،" قال، "حسنًا!" كانت جبهته مقطبة جداً، وبدأ بائسًا تمامًا. خلع رداء حمامه، ودخل إلى فراشه. استلقى هناك والغطاء حتى رقبتة، ضاربًا الفراش بقدميه، وناظرًا إلى السقف مثل شخص مصاب بالحمى. كان ثمة مصباح صغير على المنضدة بجوار السرير وقد تألق على وجهه مباشرة، إلى درجة أن الأنسة جويرنج تمكنت من تمييز العديد من الخطوط لم تكن قد لاحظتها من قبل. مشت إلى فراشه ومالت عليه.

"ما الأمر؟" سألته. "لقد كانت أمسية لطيفة جداً، ونحتاج جميعاً إلى بعض النوم."

ضحك في وجهها. "أنت مجنونة،" قال لها، "وبالتأكيد لا تعرفين أي شيء عن الناس. أنا على ما يرام هنا، رغم هذا." شد الغطاء إلى أعلى، واستلقى هناك متنفسًا أنفاسًا ثقيلة. "توجد معدية في الخامسة تغادر بعد نحو نصف ساعة. هل ستعودين في مساء الغد؟ سأكون حيثما كنت اليوم في ذلك البار."

وعدته أن تعود في المساء التالي، وبعد أن شرح لها كيف تصل إلى رصيف المعدية، فتحت له النافذة وغادرت.

بسبب الغباء، نسيت الأنسة جويرنج أن تأخذ مفاتيحها، واضطرت إلى أن تدق الباب كي تدخل بيتها. دقت مرتين، وعلى الفور تقريباً سمعت شخصاً ما يجري هابطاً الدرج. استطاعت تخمين أنه أرنولد قبل حتى أن يفتح الباب. كان يرتدي جاكيت بيجامة وردية اللون وبنطلوناً. كانت حاملتا البنطلون تتدليان على خصره. كانت ذقنه قد نمت كثيراً بالنظر لمثل هذا الوقت القصير، وبدا أكثر قذارة من أي وقت مضى.

"ما خطبك، يا أرنولد؟" قالت الأنسة جويرنج. "شكلك فظيع."

"حسناً، قضيت ليلة سيئة، يا كرستينا. أمنت فقاقيع منذ مدة قصيرة؛ إنها قلقة جداً عليك. في حقيقة الأمر، لا أعتقد أنك تُظهرين أي اعتبار لنا."

"من هي فقاقيع؟" سألته الأنسة جويرنج.

"فقاقيع"، قال، "هو الاسم الذي أطلقته على الأنسة جيملون."

"حسناً"، قالت الأنسة جويرنج، بينما تدخل إلى البيت وتجلس أمام المدفأة، "أخذت المعديّة عائدة إلى الياسة وانشغلت جداً. قد أعود في ليلة الغد"، أضافت، "رغم أنني في الحقيقة لا أود أن أفعل."

"لا أعرف لم تجدين التماس مدينة جديدة أمراً مثقفاً ومثيراً للاهتمام"، قال أرنولد، قابضاً على ذقنه بيده وناظراً إليها بثبات.

"لأنني أعتقد أن أصعب شيء بالنسبة لي هو الانتقال حقًا من أمر إلى آخر، جزئيًا،" قالت الأنسة جويرنج.

"روحياً،" قال أرنولد، محاولاً أن يتحدث بنبرة أكثر ودًا، "روحياً أقوم دائماً برحلات صغيرة وأغير من طبيعتي بأكملها كل ستة أشهر."  
"لا أصدقك ولو لدقيقة واحدة،" قالت الأنسة جويرنج.

"لا، لا، هذا حقيقي. كما أنني أستطيع أن أخبرك أنني أعتقد أنه من الهراء التام التحرك جسدياً من مكان إلى آخر. كل الأماكن تتشابه بدرجة أو أخرى."

لم ترد الأنسة جويرنج على هذا. أحكمت من وضع الشال حول كتفها، وبدأت فجأة مسنة جداً وحزينة تماماً.

بدأ أرنولد في الشك في صحة ما قال للتو، وعلى الفور قرّر أن يقوم بالرحلة نفسها التي عادت منها الأنسة جويرنج للتو، في الليلة التالية. عقد العزم وأخرج دفترًا من جيبه.

"الآن، هل لك أن تخبريني بتفاصيل كيف أصل إلى اليابسة؟" قال أرنولد. "الأوقات التي يغادر فيها القطار، وما إلى ذلك."

"لماذا تسأل؟" قالت الأنسة جويرنج.

"لأنني سأذهب إلى هناك بنفسني في ليلة الغد. كنت لأعتقد أنك خمنت ذلك بالفعل."

"لا، بالنظر إلى ما انتهيت للتو من قوله لي، ليس بإمكانني أن أحنّ هذا."

"حسنًا، أتحديث بشكل معين،" قال أرنولد، "لكنني في الحقيقة، وراء ذلك، النوع المهووس نفسه الذي تتمين إليه."  
"أود أن أرى والدك،" أخبرته الأنسة جويرنج.

"أعتقد أنه نائم. أتمنى أن يعود إلى رشده ويذهب إلى البيت،" قال أرنولد.

"حسنًا، أتمنى العكس،" قالت الأنسة جويرنج. "أنا متعلقة به جدًا. لنذهب إلى الطابق العلوي، وثلث نظرة على غرفته."  
صعدا الدرج معًا، وخرجت الأنسة جيملون لتقابلهما عند نهايته. كانت عيناها متفتحتين تمامًا، وتندثر برداء حمام قطني ثقيل.

بدأت في الحديث إلى الأنسة جويرنج بصوت كان غليظًا بسبب النوم. "مرة أخرى، وستكون آخر ما ترين من لوسي جيملون."

"الآن، يا فقايع،" قال أرنولد، "تذكّري أن هذا ليس بيتًا عاديًا، وعليك توقع بعض الغرابيات الشخصية من التزلاء. هل ترين، لقد أسميتنا جميعًا نزلًا."

"أرنولد،" قالت الأنسة جيملون، "لا تبدأ الآن. تعرف ما أخبرتك به هذا الأصيل عن التحدث بكلام فارغ."



"أرجوك، لوسي،" قال أرنولد.

"هيا، هيا، فلنذهب جميعًا، ونختلس نظرة على والد أرنولد،"  
اقترحت الأنسة جويرنج.

تبعتهما الأنسة جيملون فقط كي تواصل لوم أرنولد، وهو ما فعلت بصوت منخفض. فتحت الأنسة جويرنج الباب. كانت الغرفة باردة جدًا، وأدركت للمرة الأولى أن النهار كان ساطعًا في الخارج بالفعل. حدث الأمر كله بسرعة كبيرة بينما كانت تتحدث مع أرنولد في الردهة، لكن هناك كان المكان معتمًا دائمًا تقريبًا بسبب الأشجار الكثيفة في الخارج.

كان والد أرنولد يتام على ظهره. كان وجهه ساكنًا، ويتنفس بانتظام بدون شخير. هزت الأنسة جويرنج كتفه مرات قليلة.

"التصرفات في هذا البيت،" قالت الأنسة جيملون، "تدنو من الإجمام. الآن توقظين رجلًا عجوزًا يحتاج إلى نومه، في الفجر. يقشعر جسدي إذ أقف هنا وأرى ما أصبحت، يا كرستينا."

أخيرًا استيقظ والد أرنولد. استغرق منه الأمر بعض الوقت كي يدرك ما حدث، لكن حين فعل، استند على مرفقيه وقال بمرح للأنسة جويرنج:

"صباح الخير، أنسة ماركو بولو. أي كنوز جميلة عدت بها من الشرق؟ سعيدٌ لرؤيتك، وإن كان هناك أي مكان تريد أن أذهب

معك إليه، فأنا على استعداد." ترك نفسه يسقط عائداً إلى وسادته مع صوت ارتطام مرتفع.

قالت الأنسة جويرنج إنها ستراه لاحقاً، وإنها في الوقت الحالي تحتاج بشدة إلى بعض الراحة. غادروا الغرفة، وقبل أن يغلقوا الباب خلفهم، كان والد أرنولد قد نام بالفعل. على بداية الدرج، شرعت الأنسة جيملون في البكاء، ودفنت وجهها للحظة في كتف الأنسة جويرنج. ضمتها الأنسة جويرنج بقوة، ورجتها ألا تبكي. ثم أعطت كلاً من أرنولد والأنسة جيملون قبلة ما قبل النوم. حين بلغت غرفتها غلبها الرعب لعدة لحظات، لكن سرعان ما سقطت في نوم عميق.

في نحو الخامسة ونصف من الأصيل التالي أعلنت الأنسة جويرنج عن نيتها العودة مرة أخرى ذلك المساء إلى اليايسة. كانت الأنسة جيملون واقفة، تخطط أحد جوارب أرنولد. كانت ترتدي ملابس أكثر غنجاً مما اعتادت، بكشكشة حول طوق فستانها، وطبقة سخية من الأحمر فوق خديها. كان العجوز جالساً على مقعد كبير في الركن يقرأ شعر لونغفيلو، حيناً بصوت مرتفع، وحيناً في سره. كان أرنولد ما زال مرتدياً ما كان يرتديه في الليلة السابقة، باستثناء سترة لبسها فوق جاكيت البيجاما. كانت ثمة بقعة قهوة كبيرة على السترة، ورماد سيجارته سقط فوق صدره. كان يستلقي فوق الأريكة نصف نائم.

"ستعودين هناك مرة أخرى على جثتي،" قالت الأنسة جيملون.  
"الآن، أرجوك، كرستينا، كوني عاقلة ودعينا نقضي أمسية لطيفة معاً."

تنهدت الأنسة جويرنج. "حسنًا، أنتِ وأرنولد يمكنكما أن تقضيا  
معاً أمسية تامة اللطف بدوني. أنا آسفة. أحب أن أبقى، لكنني أشعر  
حقاً أن عليّ أن أذهب."

"تدفعيني نحو الجنون بكلامك الغامض،" قالت الأنسة جيملون.  
"فقط لو كان فرد ما من عائلتك هنا! لم لا نتصل بسيارة أجرة،" قالت  
بأمل، "ونذهب إلى المدينة؟ قد نأكل بعض الطعام الصيني، ونذهب إلى  
المسرح بعدها، أو إلى فيلم، إن كنتِ ما زلتِ في مزاج البخل."

"لم لا تذهبين أنتِ وأرنولد إلى المدينة وتأكلان بعض الطعام الصيني  
ثم تذهبان إلى المسرح؟ سأكون مسرورة جداً إن ذهبتما كضيفي، لكنني  
أخشى أنني لا أستطيع أن أصحبكما."

كان أرنولد قد بدأ يتضايق من السهولة التي تخلّصت بها الأنسة  
جويرنج منه. طريقته أعطته أيضاً شعوراً سيئاً بأنه أدنى منها.

"أنا آسفة يا كرستينا،" قال من فوق أريكته، "لكن ليس لدي أي  
نية لتناول طعام صيني. لقد خططت طوال الوقت لأن أقوم برحلة  
قصيرة إلى اليابسة في مقابل هذا الطرف من الجزيرة أيضاً، ولن ينعني  
أي شيء. أمل أن تأتي معي، يا لوسي؛ في حقيقة الأمر، لا أرى لم لا  
يمكننا أن نذهب جميعاً معاً. من غير الفطنة تماماً أن يكون على كرستينا

أن تجعل من هذا الخروج الموجز إلى اليابسة أمرًا كئيبيًا. في الحقيقة الأمر كله هين."

"أرنولد!" صرخت فيه الأنسة جيملون. "إنك تفقد عقلك أنت الآخر، وإن كنت تفكر أنني سأذهب في مطاردة إوز بري على متن قطار ومعدية فقط كي ينتهي بي الحال في مصيدة فئران صغيرة فأنت مجنون مرتين. على أي حال، سمعت أنها بلدة صغيرة قاسية جدًا، بالإضافة إلى كونها موحشة وخالية من أي أمر يثير الاهتمام."

"بصرف النظر،" قال أرنولد، وهو يعتدل جالسًا ويفرس قدميه في الأرض، "سوف أذهب هذا المساء."

"في هذا الحال،" قال والد أرنولد، "سوف أذهب أنا أيضًا."

سرًا كانت الأنسة جويرنج مسرورة بأنهما سيأتيان، ولم تكن لديها الشجاعة لردعهما، رغم أنها شعرت أن ذلك هو الفعل الصحيح الذي عليها القيام به. ستكون رحلاتها خالية إلى هذا النحو أو ذلك من أي قيمة أخلاقية في عينيها إن رافقها، لكنها كانت جد مسرورة إلى درجة أنها أقنعت نفسها بأنه من الممكن أن تسمح بذلك هذه المرة فقط.

"من الأفضل لك أن تأتي معنا، يا لوسي،" قال أرنولد؛ "وإلا فستكونين هنا بمفردك تمامًا."

"سيكون هذا على ما يرام تمامًا، يا عزيزي،" قالت لوسي.  
"سأكون الوحيدة التي تخرج كاملة، في النهاية. وربما كان ممتعًا أن أكون  
هنا بدون أي واحد منكم."

أصدر والد أرنولد صوتًا مُهينًا بفمه، وغادرت الأنسة جيملون  
الغرفة.

هذه المرة كان القطار الصغير ممتلئًا بالناس، وكان هناك العديد من  
الأولاد يقطعون الممر ذهابًا وإيابًا ويبيعون الحلوى والفاكهة. كان يومًا  
دافئًا على نحو غريب، وسقطت لمدة قصيرة بعض زخات مطر من تلك  
المتكررة في الصيف لكن النادر جدًا حدوثها في الخريف.

كانت الشمس في سبيلها إلى الغروب، وقد خلفت زخة المطر في  
أعقابها قوس قزح جميلًا جدًا، وهو ما كان مرئيًا فقط للجالسين على  
الجانب الأيسر من القطار. لهذا، مال الآن أغلب المسافرين الجالسين  
على الجانب الأيمن على هؤلاء الأكثر حظًا كي يحظوا، هم أيضًا، برؤية  
جيدة لقوس قزح.

كان العديد من النساء يُسمين لأصدقائهن بصوت مرتفع الألوان  
التي تمكنوا من تمييزها. بدا كل من كان في القطار مُغرماً به سوى  
أرنولد، الذي، بعد أن أكد قوة شخصيته، شعر باكتئاب رهيب،  
جزئيًا كنتيجة لاضطراره إلى أن يغادر أريكنه وتفكيره في احتمال قضاء  
أرسية مملة، وجزئيًا أيضًا لأنه شك كثيرًا في إن كان سيتمكن من

التصالح مع لوسي جيملون. كانت، شعر بيقين، من النوع الذي في وسعه أن يبقى غاضباً لأسابيع.

"أوه، أعتقد أن هذا جدّ، جدّ بهيج،" قالت الأنسة جويرنج. "قوس قزح هذا وذلك الغروب وكل هؤلاء الناس الذين يثرثرون مثل غربان. ألا تعتقد أن الأمر مبهج؟" كانت الأنسة جويرنج تُخاطب والد أرنولد.

"أوه، نعم،" قال، "إنه بساط سحري فعلاً."

تفحصت الأنسة جويرنج وجهه لأن صوته بدا لها حزيناً قليلاً. بدا، في حقيقة الأمر، مضطرباً قليلاً. داوم على النظر إلى الركاب من حوله، وضبط رباط عنقه.

أخيراً غادروا القطار، واستقلوا المعدية. وقفوا معاً جميعاً عند مقدمة المركب كما فعلت الأنسة جويرنج في الليلة السابقة. هذه المرة حين رست المعدية، نظرت الأنسة جويرنج إلى أعلى ولم تر أي أحد يهبط إلى أسفل التل.

"عادةً،" قالت لهم الأنسة جويرنج، ناسية أنها هي نفسها لم تقم بهذه الرحلة إلا مرة واحدة من قبل، "يزدحم هذا التل بالناس. لا أستطيع تخيّل ما حدث لهم الليلة."

"إنه تل منحدر،" قال والد أرنولد. "ألا توجد أي طريقة للوصول إلى البلدة بدون تسلق ذلك التل؟"

"لا أعرف"، قالت الآنسة جويرنج. نظرت إليه ولاحظت أن أكامه كانت أطول مما يناسبه. في حقيقة الأمر، كان معطفه نحو نصف مقاس أكبر من مقاسه.

رغم أنه لم يوجد أي أحد ذاهب إلى المعديّة أو عائِد منها، فقد كان الشارع الرئيسي مزدحمًا بالناس. كانت السينما مضاءة بأكملها، وطابور طويل تشكّل أمام منفذ بيع التذاكر. كان من الواضح أن حريقاً قد حدث، إذ كانت هناك ثلاث سيارات إطفاء متوقفة على أحد جانبي الشارع، على بعد عدة نواصٍ من السينما. استتجت الآنسة جويرنج أنه لم يكن ذا شأن بما أنها لم تستطع أن ترى أي أثر لدخان أو لمبانٍ محترقة. ورغم هذا، فقد زادت عربات الإطفاء من مرح الشارع إذ كان العديد من الشباب قد تزاخوا حولها مازحين مع رجال الإطفاء الذين بقوا في العربات. سار أرنولد بخطو سريع، متمعنًا بمحرص في كل ما في الشارع، ومتظاهراً أنه مستغرق تماماً في انطباعاته الخاصة عن البلدة.

"أرى ما تعنين،" قال للآنسة جويرنج، "إنها رائعة."

"ما هو الرائع؟" سألته الآنسة جويرنج.

"كل هذا." فجأة توقف أرنولد مثل مثل ميت. "أوه انظري، يا كرستينا، يا له من منظر جميل!" جعلهم يتوقفون أمام قطعة أرض كبيرة خالية بين بنايتين. كانت قطعة الأرض قد حُولت إلى ملعب جديد لكرة السلة. كان الملعب مرصوفاً في أنيقة بأسفلت رمادي، وساطع الإضاءة بأربع لمبات عملاقة مُركزة على اللاعبين والسلة. كان ثمة مكتب تذاكر

على أحد جانبي الملعب حيث يشتري المشاركون حق لعبهم لمدة ساعة. أغلب اللاعبين كانوا صبية صغاراً. كان هناك العديد من الرجال يرتدون زيّاً، وقدّر أرنولد أنهم يعملون في الملعب، ويكملون أي نقص حين يشتري عدد لا يكفي من الناس تذاكر لتكوين فريقين كاملين. تورد أرنولد من اللذة.

"انظري، يا كرستينا،" قال، "أكملي الطريق أنتِ بينما أجرب يدي في هذا. سألحق بك وأبي فيما بعد."

أشارت له على مكان البار، لكنها شعرت أن أرنولد لم يكن يعطي أي اهتمام لما قالت. وقفت برهة مع والد أرنولد، وراقباه يهرع إلى مكتب التذاكر ويدفع بنقوده المعدنية عبر البوابة الصغيرة. أصبح في الملعب في خلال مدة وجيزة، يتقافز بمعطفه، ويثب في الهواء ويدها مُشرعتان. خرج واحد من الرجال ذوي الزي بسرعة من المباراة كي يتخلى عن مكانه لأرنولد. غير أنه كان يحاول جاهداً الآن أن يجذب انتباهه لأن أرنولد كان في عجلة من أمره عند مكتب التذاكر إلى درجة أن الموظف لم يجد الوقت كي يعطيه شارة الذراع الملونة التي يتمكن عبرها اللاعبون من تمييز أعضاء فريقهم.

"أعتقد،" قالت الأنسة جويرنج، "أن من الأفضل لنا أن نكمل طريقنا. أرنولد، أنتخيل، سوف يتبعنا بعد قليل."

سارا إلى نهاية الشارع. تردد والد أرنولد للحظة أمام باب الحانة.  
"أي نوع من الرجال يأتي إلى هنا؟" سأها.



"أوه،" قالت جويرنج، "كل أنواع الرجال، على ما أعتقد. أغنياء وفقراء، عمال ومصرفيون، مجرمون وأقزام."  
"أقزام،" كرّر والد أرنولد بقلق.

في اللحظة التي أصبحت فيها بالداخل، نحت الأنسة جويرنج أندي. كان يشرب في الطرف الأقصى من البار وقبعته تغطي إحدى عينيه. أجلس الأنسة جويرنج والد أرنولد بسرعة عند إحدى المناضد.

"اخلع معطفك،" قالت، "واطلب لنفسك مشروباً من ذلك الرجل الواقف هناك خلف البار."

ذهبت إلى أندي ومدت يدها إليه. بدا لثيماً ومتعجباً جداً.  
"مرحباً،" قال. "هل قررت أن تأتي إلى اليايسة مرة أخرى؟"  
"لم، بالتأكيد،" قالت الأنسة جويرنج. "لقد أخبرتك أنني سأفعل."  
"حسناً،" قال أندي، "تعلمت على مدى السنين أن هذا لا يعني أي شيء."

شعرت الأنسة جويرنج بالقليل من الحرج. وقفا جنباً إلى جنب لبرهة بدون أن يقولوا أي كلمة.

"أنا أسف،" قال أندي، "لكن ليس لدي أي اقتراحات أبدية لك من أجل المساء. يوجد عرض واحد فقط لأفلام في البلدة ويعرضون فيلماً سيئاً جداً الليلة." طلب لنفسه مشروباً آخر وتجرعه مرة واحدة. ثم حرك مؤشر راديو ببطء شديد حتى وجد موسيقى تانجو.

"حسنًا، هل تسمحين لي بهذه الرقصة؟" سأل، وقد بدا أن مزاجه قد تحسن قليلاً.

هزت الأنسة جويرنج رأسها.

أمسك بها مستقيمة الظهر جدًا وبإحكام شديد إلى حد أنها كانت في وضع مزعج جدًا وغير مريح. رقص معها متحركًا بها إلى ركن بعيد من الغرفة.

"حسنًا،" قال، "هل ستحاولين وتجعليني سعيدًا؟ لأنه لا وقت عندي كي أبدده." دفعها بعيدًا عنه ووقف منتصب القامة في مواجهتها، وذراعاها تتدليان إلى جانبيه.

"تراجعي إلى الورااء قليلاً، من فضلك،" قال. "أنظري بحرص إلى رجلك ثم قولي إن كنت تريدينه أم لا."

لم تر الأنسة جويرنج كيف يمكن لها أن تُجيب بأي شيء سوى نعم. كان يقف الآن ورأسه مائل إلى جانب، وقد بدا كما لو كان يحاول أن يمتنع عن إغماض عينيه، على النحو الذي يفعله الناس حين تؤخذ لهم صورًا.

"جيد جدًا،" قالت الأنسة جويرنج، "أود أن تكون رجلي". ابتسمت له بعدوبة، لكنها لم تكن تفكر كثيرًا فيما تقول.

مد ذراعيه لها، وواصل الرقص. كان ينظر وراءها بفخر شديد ويبتسم ابتسامة خفيفة. حين انتهيا من رقصتهما، تذكرت الأنسة

جويرنج بألم مفاجئ أن والد أرنولد كان يجلس إلى منضدته بمفرده طيلة هذا الوقت. شعرت بأسف مضاعف لأنه بدا وقد أصابه الحزن وشاخ كثيراً منذ أن استقلا القطار إلى درجة أنه بالكاد يشبه الآن الرجل المرح، غريب الأطوار الذي كان لعدة أيام في بيت الجزيرة، أو حتى السيد المتعصب الذي بدا عليه للآنسة جويرنج في الليلة الأولى التي تقابلا فيها.

"يا إلهي! عليّ أن أقدمك إلى والد أرنولد،" قالت لآندي. "تعال معي إلى هناك."

شعرت حتى بمزيد من الندم حين بلغت المنضدة لأن والد أرنولد كان يجلس هناك طوال ذلك الوقت بدون أن يطلب لنفسه مشروباً.

"ما الأمر؟" سألت الآنسة جويرنج، وقد علا صوتها كثيراً مثل صوت أم متحمسة. "لماذا بحق السماء لم تطلب لنفسك شيئاً تشربه؟"

تلقت والد أرنولد حوله بحذر. "لا أعرف،" قال، "لم أشعر بأي رغبة في فعل ذلك."

قدمت الرجلين إلى أحدهما الآخر، وجلسوا جميعهم معاً. سأل والد أرنولد آندي بهتذيب شديد إن كان يعيش في هذه البلدة وما عمله. في خلال حديثهما اكتشف كلاهما ليس فقط أنهما وُلدا في البلدة نفسها، لكنهما، رغم اختلاف السن، عاشا هناك أيضاً في وقت ما من الماضي في الفترة نفسها بدون أن يلتقيا قط. لم يبدو أن آندي، على عكس معظم الناس، قد أصبح أكثر حيوية حين وقعا على هذه الحقيقة.

"نعم،" رد بضجر على أسئلة والد أرنولد، "عشت هناك بالفعل في عام ١٩٢٠."

"بالتأكيد إذن،" قال والد أرنولد بينما يعتدل في جلسته، "بالتأكيد إذن كنت على معرفة جيدة بعائلة ماكلين. لقد سكنوا أعلى التل. كان لهم سبعة أطفال، خمس بنات، وولدان. جميعهم، كما تتذكر بالتأكيد، كان لهم كومة رهيبة من الشعر الأحمر اللامع."

"لم أكن أعرفهم،" قال آندي بهدوء، وقد بدأ وجهه في الاحمرار.

"هذا غريب جدًا،" قال والد آندي. "من المؤكد إذن أنك كنت تعرف فنسنت كونيلي، بيتر جاكسون، وروبرت بول."

"لا،" قال آندي، "لا، لم أعرفهم." بدا أن معنوياته المرتفعة قد تلاشت تمامًا.

"كانوا يسيطرون،" قال والد أرنولد، "على الأعمال الرئيسية في البلدة. تفحص وجه آندي بعناية.

هز آندي رأسه مرة أخرى ونظر إلى الفراغ.

"ريديلتون؟" سأله والد أرنولد بغتة.

"ماذا؟" قال آندي.

"ريديلتون، مدير البنك."

"حسنًا، ليس تمامًا،" قال آندي.

رجع والد أرنولد بظهره على المقعد وتنهّد. "أين كنت تسكن؟"  
سأل أندي في النهاية.

"كنت أسكن،" قال أندي، "في نهاية شارع البرلمان وبيرد أفنيو."  
"كان المكان رهيئاً في تلك الأثناء قبل أن يبدؤوا في إزالته، أليس  
كذلك؟" قال والد أرنولد، وعينه تمتلئ بالذكريات.

أزاح أندي المائدة إلى جانب بخشونة، واتجه بسرعة إلى البار.  
"لم يعرف أي شخص محترم في البلدة بأكملها،" قال والد أرنولد.  
"البرلمان وبيرد كانا الجزء—"

"أرجوك،" قالت الأنسة جويرنج. "انظر، لقد أهنته. يا للخجل؛  
لأن أياً منكما لا يهتم بمثل هذه الأمور! أي شيطان صغير كربه  
تلبسكما؟"

"لا أعتقد أنه شخص مهذب، ومن الواضح أنه ليس نوع الرجال  
الذين أتوقع أن أجدك تختلطين بهم."

غضبت الأنسة جويرنج قليلاً من والد أرنولد، لكن بدلاً من أن  
تقول له أي شيء ذهبت إلى أندي وواسته.

"أرجو ألا تكثرث به،" قالت. "إنه حقاً عجوز مبهج وشعري  
تماماً. الأمر فقط أنه يجتاز بعض التغييرات الجذرية في حياته، وكل هذا  
في الأيام الأخيرة، وأعتقد أنه يشعر بضغطها الآن."

"شعريّ إذن؟" رد أندي عليها بغضب. "إنه قرد عجوز متبجح. هذا ما هو." كان أندي غاضبًا جدًا في الحقيقة.

"لا،" قالت الأنسة جويرنج. "إنه ليس قردًا عجوزًا متبجحًا." انتهى أندي من مشروبه، ومشى مختللاً إلى والد أنولد ويده في جيوبه. "أنت قرد عجوز متبجح!" قال له. "قرد عجوز متبجح لا فائدة منه!" انسل والد أنولد من مقعده وعيناه مغضضتان، وسار في اتجاه الباب. أسرعَت الأنسة جويرنج، التي سمعت ملاحظة أندي، وراءه، لكنها همست لأندي حين مرت به، أنها تنوي العودة على الفور.

حين أصبحا في الخارج، مالا معًا على عمود إضاءة. كان في وسع الأنسة جويرنج أن ترى أن والد أنولد يرتعش.

"لم أقابل قط في حياتي مثل هذه الوقاحة،" قال، "ذلك الرجل أسوأ من جرو بالوعات."

"حسنًا، لم أكن لأفلق بسبب هذا،" قالت الأنسة جويرنج. "إنه فقط في مزاج سيئ."

"مزاج سيئ؟" قال والد أنولد. "إنه من النوع الفظ رخيص الملابس الذي يملأ العالم اليوم بإطراد."

"أوه، هيا،" قالت الأنسة جويرنج، "هذا لا علاقة له بالأمر."

نظر والد أرنولد إلى الأنسة جويرنج. كان وجهها رائعاً جداً في ذلك المساء بالذات، وتنهد في أسف. "أظن،" قال، "أنك خائبة الظن فيّ تماماً على طريقتك الخاصة جداً، وأن في وسعك أن تكني له الاحترام في قلبك بينما لا تستطيعين العثور على أي احترام داخل ذلك القلب نفسه من أجلي. الطبيعة الإنسانية غامضة وجميلة جداً، لكن تذكري أنه ثمة علامات معينة لا خطأ فيها تعلمت، كرجل أكبر سنًا، أن ألاحظها. لم أكن لأثق كثيراً في ذلك الرجل. إنني أحبك، يا عزيزتي، من كل قلبي، كما تعرفين."

وقفت الأنسة جويرنج صامتةً.

"أنت قريبة جداً مني،" قال بعد برهة، وهو يضغط على يدها.

"حسنًا،" قالت، "هل تود العودة إلى الحانة أم تشعر أنك قد اكتفيت؟"

"سيكون حرفياً من المستحيل لي أن أعود إلى تلك الحانة حتى إن كانت لدي أدنى رغبة في ذلك. أعتقد أنه من الأفضل لي أن أنصرف. لن تأتي معي، أليس كذلك، يا عزيزتي؟"

"أنا آسفة جداً،" قالت الأنسة جويرنج، "لكن لسوء الحظ كان هذا ارتباطاً مسبقاً. هل تود أن أمشي معك حتى ملعب كرة السلة؟ ربما يكون أرنولد قد مل الآن من مباراته. إن لم يكن، ففي وسعك أن تجلس بكل يسر وتشاهد اللاعبين لبعض الوقت."

"نعم، سيكون هذا لطيفاً جداً منك"، قال والد أرنولد، بصوت جد حزين إلى حد أنه كاد أن يكسر قلب الأنسة جويرنج.

سرعان ما بلغا ملعب كرة السلة. كانت الأمور قد تبدلت إلى حد كبير. انسحب معظم الفتية الصغار من المباراة، وحل عديد من الشباب والشابات محل كلٍ من هؤلاء الفتية الصغار والحراس. كانت النساء يصرخن بالضحك، وقد تجمع حشد كبير لمشاهدة اللاعبين. بعد أن وقفت الأنسة جويرنج ووالد أرنولد هناك لدقيقة، أدركا أن أرنولد نفسه كان مصدر أغلب المرح. كان قد خلع معطفه وسترته ولدهشتهما رأيا أنه ما زال يرتدي جاكيت البيجامة. كان قد جذبته خارج بنطلونه كي يبدو أكثر سخفًا. راقباه يعدو عبر الملعب بالكرة بين ذراعيه مزجرًا مثل أسد. حين وصل إلى موقع جيد، مع ذلك، بدلاً من تمرير الكرة إلى عضو آخر من أعضاء فريقه، لم يفعل سوى أن أسقط الكرة على أرض الملعب بين قدميه، وشرع في نطح أحد خصومه على معدته مثل عتزة. ضحك الحشد بالضحك. كان الحراس ذوو الزي مبتهجين على نحو خاص لأنها كانت استراحة لطيفة غير متوقعة من روتين الليل. كانوا جميعًا يقفون في صف واحد، بابتسامات عريضة.

"سأحاول أن أرى إن كنت سأجد مقعدًا لك"، قالت الأنسة جويرنج. سرعان ما عادت وقادت والد أرنولد إلى كرسي يُطوى كان أحد الحراس قد تكرم بوضعه خارج مكتب التذاكر مباشرة. جلس والد أرنولد وتثاءب.



"وداعاً،" قالت الأنسة جويرنج. "وداعاً، يا عزيزي. انتظر هنا حتى ينتهي أرنولد من مباراته."

"لكن انتظري دقيقة،" قال والد أرنولد. "متى ستعودين إلى الجزيرة؟"  
"قد لا أعود،" قالت. "قد لا أعود على الفور، لكنني سأؤكد من أن تستلم الأنسة جيملون ما يكفي من النقود لإدارة البيت وللطعام."  
"لكن يجب بالطبع أن أراك. ليست هذه طريقة إنسانية جداً للمغادرة."

"حسنًا، تعال معي لدقيقة،" قالت الأنسة جويرنج، وهي تقبض على يده، وتسحبه بصعوبة عبر الحشد إلى الرصيف.

احتج والد أرنولد بأنه لن يعود إلى الحانة ولو مقابل مليون دولار.  
"لن آخذك إلى الحانة. لا تكن سخيًّا،" قالت. "الآن هل ترى محل الآيس كريم ذلك على الناحية الأخرى من الشارع؟" أشارت إلى متجر أبيض صغير في مقابلهما تقريبًا مباشرة. "إن لم أعد، وهذا محتمل جدًا، فهل تقابلني هناك في صباح الأحد؟ سيكون هذا بعد ثمانية أيام، في الحادية عشرة صباحًا."

"سأكون هناك بعد ثمانية أيام،" قال والد أرنولد.

حين عادت مع آندي إلى شقته تلك الليلة، لاحظت أنه توجد ثلاث ورود بفروع طويلة فوق المنضدة بجوار الأريكة.

"ياها من زهور رائعة!" تعجبت. "يُذكرني هذا بأنه كان لأمي في الماضي أكثر الحدايق روعة على مدى أميال حولها. لقد نالت جوائز عديدة بزهورها."

"حسنًا،" قال آندي، "لم يفز أي أحد في عائلتي قط بمسابقات ورود، لكنني اشتريت هذه من أجلك في حال أتيت."

"لقد تأثرت كثيرًا،" قالت الأنسة جويرنج.

قضت الأنسة جويرنج ثمانية أيام مع آندي. كان ما زال عصبيًا جدًا ومتوترًا، لكنه بدا بشكل عام أكثر تفاعلًا بكثير. لدهشة الأنسة جويرنج، بدأ في اليوم الثاني يتحدث عن فرص العمل في البلدة. أثار استغرابها كثيرًا أيضًا بمعرفته أسماء العائلات البارزة في مجتمع البلدة، بالإضافة إلى إلمامه ببعض تفاصيل تخص حيواتهم الخاصة. في ليلة السبت أعلن للأنسة جويرنج عن نيته عقد اجتماع عمل في الصباح التالي مع السيد بيلامي، السيد شلاجيل، والسيد دوكرتي. كان هؤلاء الرجال يسيطرون على أغلب تجارة العقارات ليس فقط في البلدة نفسها لكن في عدة بلدات مجاورة أيضًا. بالإضافة إلى هذه الاهتمامات فقد كانوا يمتلكون الكثير من المزارع في الريف المجاور. كان متحمسًا جدًا حين

أخبرها بمخططه، وقد كانت أساساً بيع المباني التي يمتلكها في المدينة، التي كانت قد عُرض عليه في مقابلها مبلغ صغير، كي يشتري حصّة في عملهم.

"إنهم أذكى ثلاثة رجال في البلدة"، قال، "لكنهم ليسوا رجال عصابات على الإطلاق. إنهم ينحدرون من أفضل العائلات هنا، وأعتقد أن الأمر سيكون لطيفاً بالنسبة لك أنت أيضاً."

"ليس هذا من نوع الأمور التي تثير أدنى اهتمام بالنسبة لي"، قالت الأنسة جويرنج.

"حسناً، بطبيعة الحال، لم أكن لأتوقع أن تثير اهتمامي أو اهتمامك"، قال آندي، "لكن عليك الإقرار بأننا نعيش في العالم، إلا إن كنا نريد أن نتصرف مثل صبية مجانيين، أو مخبولين هارين، أو شيء من هذا القبيل."

لعدة أيام كان واضحاً تماماً للأنسة جويرنج أن آندي لم يعد يفكر في نفسه كمتبطل. كان ذلك ليسعدّها كثيراً إن كانت تهتم بإصلاح أصدقائها، لكن لسوء الحظ لم تكن تهتم إلا بالمسار الذي كانت تتبعه كي تنال خلاصها الخاص. كانت مغرمة بآندي، لكن خلال الليلتين السابقتين شعرت برغبة في مغادرته. كان سبب ذلك يعود في جزء كبير منه إلى حقيقة أن شخصاً غير مألوف بدأ في التردد على البار.

كان لهذا الآتي الجديد حجم هائل، وفي المرتين اللتين رآته فيهما، كان يرتدي معطفًا ضخمًا أسود حسن التفصيل، وبشكل واضح مصنوعًا من قماش غالي الثمن جدًا. لقد رأت وجهه على نحو عابر مرة أو مرتين فقط، لكن ما رأت منه أروعها جدًا إلى درجة أنها لم تستطع التفكير إلا في القليل جدًا سواه على مدار اليومين الماضيين.

ذلك الرجل، لقد لاحظنا، كان يأتي إلى الحانة في سيارة كبيرة، جميلة جدًا، أكثر شبهًا بعربة لنقل الموتى من سيارة خاصة. تمكنت فيها الأنسة جويرنج ذات يوم حين كان الرجل يشرب في الحانة. بدت جديدة تمامًا تقريبًا. نظرت هي وأندي عبر النافذة واستغربا قليلاً لرؤية الكثير من الملابس المتسخة على الأرضية. كانت الأنسة جويرنج منشغلة تمامًا الآن بكيف تتصرف إن كان الآتي الجديد مستعدًا لأن يجعل منها عشيقته لفترة قصيرة. كانت متأكدة تقريبًا من أنه سيفعل، لأنها ضبطته عدة مرات ينظر إليها بطريقة معينة تعلمت أن تلاحظها. أملها الوحيد كان أن يختفي قبل أن تسنح لها فرصة مفاتحته في الأمر. إن فعل، فسُجِّب الأمر، وهكذا يكون في إمكانها أن تبدد المزيد من الوقت مع أندي الذي بدا الآن خاليًا تمامًا من أي شيء شرير إلى حد أنها بدأت تتشاجر معه بسبب أشياء صغيرة على النحو الذي يفعل المرء مع أخ أصغر.

في صباح الأحد صحت الأنسة جويرنج لتجد أندي يرتدي ملابس خفيفة، وينفض الغبار عن بعض المناضد الصغيرة في غرفة المعيشة.

"ما الأمر؟" سألته. "لماذا تثير كل هذه الضجة مثل عروس؟"

"ألا تتذكرين؟" سألت، وقد بدا أنه جرح. "اليوم هو اليوم الكبير - يوم الاجتماع. سيأتون إلى هنا متألقين ومبكرين، ثلاثتهم. إنهم يعيشون مثل عصافير أبي الحناء، رجال الأعمال هؤلاء. أليس بوسعك،" سألتها، "أليس بوسعك فعل أي شيء لجعل هذه الغرفة أكثر جمالاً؟ هل ترين، لديهم جميعاً زوجات، وحتى إن كان من المحتمل ألا يستطيع أي منهم إخبارك بما لديهم في غرف معيشتهم، فإن زوجاتهم جميعاً عندهن الكثير جداً من المال لإنفاقه على زخارف صغيرة، وعيونهم ربما معتادة على درجة معينة من البهجة."

"حسناً، هذه الغرفة شنيعة، يا أندي، إلى درجة أنني لا أعتقد أن أي شيء سيُحسّن من حالها."

"نعم، أعتقد أنها غرفة سيئة جداً. لم أعتد أن ألاحظها كثيراً." ارتدى أندي حلة ذات لون أزرق داكن، ومشط شعره بحرص شديد، وفركه بالقليل من زيت الشعر. ثم سار بخطوات ثابتة في أرجاء غرفة المعيشة، ويداه في جيوب خاصرته. كانت الشمس تتدفق من خلال النافذة، والمدفأة تُصفر بشكل يثير الضيق بينما تُفرط في تدفئة الغرفة كما تفعل باستمرار منذ جاءت الأنسة جويرنج.

لقد استلم السيد بيلامي، والسيد شلاجيل، والسيد دوكرتي رسالة أندي القصيرة وكانوا في طريقهم على الدرج. قبلوا الموعد بسبب الفضول وبفعل عادة قديمة ألا يدعوا أي شيء يفوتهم أكثر من اعتقادهم

بالفعل أن زيارتهم ستكون مثمرة. حين شموا الرائحة النتنة الفظيعة للظهو الرخيص في الردهات، وضعوا أيادهم فوق أفواههم كي لا يضحكوا بصوت أعلى مما ينبغي، وأدوا بانتومام قصيراً ساخراً يتراجعون فيه نحو السلام. لم يكثرثوا كثيراً في الحقيقة، مع ذلك، لأن اليوم كان الأحد، وكانوا يفضلون أن يكونوا معاً على التواجد مع أسرهم، لهذا فقد دقوا على باب أندي. مسح أندي يديه بسرعة لأنهما كانتا مبللتين بالعرق، وجرى كي يفتح الباب. وقف عند المدخل، وصافح كل رجل منهم بحماس شديد قبل أن يدعوهم إلى الدخول.

"أنا أندرو مكلين،" أخبرهم، "وأنا آسف لأننا لم نلتق من قبل." قادمهم إلى داخل الغرفة، وأدرك ثلاثتهم على الفور أن الجو سيكون حاراً على نحو مقيت. التفت السيد دوكرتي، وهو أكثر الرجال الثلاثة عدوانية، نحو أندي.

"هل تمنع في فتح النافذة، أيها الصديق؟" قال بصوت مرتفع. "إنها تغلي هنا."

"أوه،" قال أندي ووجهه يتورد، "كان عليّ أن أفكر في هذا." ذهب إلى النوافذ وفتحها.

"كيف تطيق هذا، أيها الصديق؟" قال السيد دوكرتي. "تحاول أن تجعل شيئاً ما يفسس هنا؟"

وقف الرجال الثلاثة في مجموعة صغيرة بالقرب من الأريكة وأخرجوا بعض السيجارات، وفحصوها معاً، وتناقشوا بشأنها لدقيقة.

"سيجلس اثنان منا على هذه الأريكة، أيها الصديق،" قال السيد دوكيرتي، "وبوسع السيد شلاجيل أن يجلس هنا على هذا المقعد الصغير. الآن أين ستجلس أنت؟"

كان السيد دوكيرتي قد قرّر تقريباً على الفور أن أندي معتوه تماماً، وكان قد أخذ زمام الأمور في يديه. أربك هذا أندي كثيراً إلى حد أنه وقف يحملق في الرجال الثلاثة بدون أن ينطق بكلمة.

"هيا،" قال السيد دوكيرتي، بينما يحمل كرسيًا من أحد أركان الغرفة ويضعه بالقرب من الأريكة، "هيا، فلتجلس أنت هنا."  
جلس أندي في صمت ولعب بأصابعه.

"قل لي،" قال السيد بيلامي، الذي كان أكثر رقة في كلامه، وأكثر تهذبًا من الرجلين الآخرين. "قل لي كم عشت هنا."  
"أعيش هنا منذ سنتين،" قال أندي بضجر. فكّر الرجال الثلاثة في هذا لبرهة.

"حسنًا،" قال السيد بيلامي، "وأخبرنا ماذا كنت تفعل في هذه السنوات الثلاث."  
"ستان،" قال أندي.

لقد أعد أندي قصة طويلة جدا كي يقصها عليهم لأنه ظن أنهم قد يسألونه قليلاً بخصوص حياته الخاصة ليتبينوا مع أي نوع من

الرجال يتعاملون، وقد قرّر أنه لن يكون من الحكمة أن يُقرّ بأنه لم يفعل أي شيء على الإطلاق في الستين المنصرمتين. غير أنه تحيّل أن الاجتماع سينعقد على أسس أكثر ودًا بكثير. لقد افترض أن الرجال سيسرهم أن يجدوا شخصًا ما يرغب في وضع القليل من المال في أعمالهم، وسيكونون أكثر من متلهفين على تصديق أنه كان مواطنًا مستقيمًا، نشيطًا في عمله. الآن، على عكس ذلك، شعر أنهم يستجوبونه ويجعلون منه أضحوكة. كان يستطيع بصعوبة أن يسيطر على رغبته في الاندفاع خارجًا من الغرفة.

"لا شيء"، قال، متجنبًا عيونهم، "لا شيء."

"يدهشني دائمًا"، قال السيد بيلامي، "كيف في وسع الناس الحصول على أوقات فراغ - أعني، إن كان لديهم وقت فراغ أكثر مما يحتاجون. الآن أعني أن أقول إن عملنا متواصل منذ اثنين وثلاثين عامًا. لم يمر يوم واحد بدون أن يكون لدي على الأقل ثلاثة عشر أو أربعة عشر أمرًا عليّ أن أهتم بها. قد يبدو في هذا القليل من المبالغة بالنسبة لك أو حتى الكثير من المبالغة، لكن لا مبالغة فيه، إنه حقيقي. في المقام الأول أهتم شخصيًا بكل بيت على قوائمنا. أتفقد السباكة والصرف وما إلى ذلك. أرى إن كان البيت مُعتنى به كما ينبغي، وأزوره أيضًا في كل أنواع الجو كي أرى كيف يكون حاله في أثناء عاصفة أو عاصفة ثلجية. أعرف بالضبط أي قدر من الفحم يكفي لتدفئة كل بيت على قوائمنا. أتحدث بنفسني مع عملائنا وأحاول أن أوثر عليهم بشأن السعر الذي يطلبونه مقابل بيتهم، سواء كانوا يحاولون تأجيرها أو بيعه. على



سبيل المثال، إن كانوا يطلبون سعرًا أعرف أنه أعلى مما ينبغي لأن بوسعي مقارنته بكل سعر في السوق، أحاول أن أقنعهم بخفض سعرهم قليلاً كي يكون أقرب إلى العادي. إن كانوا، في الناحية الأخرى، يخدعون أنفسهم وأعرف ..."

كان الرجلان الآخران قد بدأ يشعران بالقليل من الملل. كان بوسع المرء أن يرى بسهولة أن السيد بيلامي هو أقل الثلاثة أهمية، رغم أنه قد يكون بالتأكيد من أنجز كل الأعمال الرتيبة. قاطعه السيد شلاجيل.

"حسنًا، يا صديقي،" قال لآندي، "أخبرنا بالأمر. لقد قلت في خطابك إن لديك مقترحات اعتقدت أنها ستفيدنا، كما ستفيدك أنت أيضًا بالطبع."

نهض آندي عن كرسيه. كان من الواضح للرجال الآن أنه تحت ضغط رهيب، لهذا كان حذرهم مضاعفًا.

"لم لا تعودون في وقت آخر؟" قال آندي بسرعة كبيرة. "حينها سأكون قد فكّرت في الأمر بوضوح أكبر."

"خذ وقتك، خذ وقتك، الآن، يا صديق،" قال السيد دو كيرتي. "نحن هنا جميعًا معًا، ولا يوجد أي سبب ألاً نناقش الأمر على الفور. في الحقيقة لا نعيش في البلدة، كما تعرف. نعيش على بعد عشرين دقيقة في فيرفيو. لقد طورنا فيرفيو بأنفسنا، في حقيقة الأمر."

"حسنًا،" قال آندي، وهو يعود ويجلس على طرف الكرسي، "عندي القليل من الأملاك أنا أيضًا."

"أين ذلك؟" قال السيد دوكرتي.

"إنها بناية، في المدينة، في نهايتها تمامًا، عند رصيف الميناء." أعطى السيد دوكرتي اسم الشارع، ثم جلس يعرض على شفتيه. لم يقل السيد دوكرتي أي شيء.

"هل ترون،" قال آندي، "فكرت أنني قد أنقل حقوقي في هذه البناية إلى الشركة مقابل بعض الأرباح من عملكم—على الأقل الحق في العمل لصالح المؤسسة والحصول على نسبي من المبيعات التي أقوم بها. لن أحتاج إلى أن أحصل على حقوق متساوية معكم على الفور، بطبيعة الحال، لكنني فكرت أن أناقش هذه التفاصيل معكم لاحقًا إن كنتم تهتمون."

أغمض السيد دوكرتي عينيه ثم بعد مدة قصيرة توجه بكلامه إلى السيد شلاجيل.

"أعرف الشارع الذي يتحدث عنه،" قال. هز السيد شلاجيل رأسه وتجهم. نظر آندي إلى حدائه.

"لمدة طويلة،" قال السيد دوكرتي، وهو ما زال يخاطب السيد شلاجيل، "منذ مدة طويلة المباني في تلك المنطقة لا طائل منها في السوق. حتى في فئة الأحياء الفقيرة، هي سيئة جدًا والريح من أيٍ منها يكفي فقط لإبقاء الروح والجسد معًا. السبب في هذا، كما تتذكر، يا شلاجيل، أنه لا توجد أي وسيلة مواصلات على أي مسافة ملائمة، وأنها محاطة بأسواق السمك."

"بالإضافة إلى هذا،" أضاف السيد دو كيرتي، ملتفتًا إلى آندي، "لدينا في ميثاقنا بند يحظر علينا قبول المزيد من الرجال إلا على أساس الراتب، وتوجد، يا صديقي، قائمة بطول ذراعي تنتظر وظيفة في مكاتبنا، إن حدث أن خلت وظيفة. ألسنتهم متدلية من أجل أي وظيفة يمكننا أن نعرضها عليهم. شباب رائع أيضًا، أغلبهم تخرج للتو من الجامعة، يزأرون رغبة في العمل، وكي يضعوا موضع الاستخدام كل حيلة تعلموها من حيل البيع الحديثة. أعرف شخصيًا البعض من عائلاتهم، وأشعر بالأسف لأنني لا أستطيع مساعدة هؤلاء الفتيان أكثر مما في وسعي."

في هذه اللحظة دخلت الأنسة جويرنج مندفة عبر الغرفة. "أنا متأخرة ساعة أو ساعتين على والد أرنولد،" صرخت ملتفتة بينما تخرج من الباب. "سأراك لاحقًا."

كان آندي قد نهض، وكان يواجه النافذة وظهره للرجال الثلاثة. كانت عظام ظهره ترتجف.

"هل هذه زوجتك؟" هتف السيد دو كيرتي بآندي.

لم يرد آندي، لكن في خلال لحظات قليلة كرّر السيد دو كيرتي سؤاله، في المقام الأول لأن شكًا راوده بأنها ليست زوجة آندي، وكان متلهفًا على معرفة إن كان تخمينه صحيحًا من عدمه. ركل قدم السيد شلاجيل بقدمه، وغمزا لأحدهما الآخر.

"لا،" قال آندي، ملتفتًا وكاشفًا عن وجهه المشتعل احمرارًا. "لا، ليست زوجتي. إنها صاحبتني. تعيش هنا معي منذ نحو أسبوع. هل هناك أي شيء آخر تريدون معرفته، أيها الرجال؟"

"الآن انظر، أيها الصديق،" قال السيد دو كيرتي، "لا يوجد أي داع لأن تنفعل. إنها امرأة جميلة جدًا، جميلة جدًا، وإن كنت قد انزعجت بسبب حديثنا القصير عن العمل، فلا يوجد أي سبب لذلك أيضًا. لقد فسرنا كل شيء لك بوضوح، مثل ثلاثة أصدقاء." نظر آندي من النافذة.

"تعرف،" قال السيد دو كيرتي، "توجد وظائف أخرى أكثر ملاءمة بكثير لك ولخلفيتك يمكنك الحصول عليها، وستجعلك أسعد في النهاية. فلتسأل صاحبتك إن لم يكن الأمر كذلك." مرة أخرى لم يرد عليهم آندي.

"هناك وظائف أخرى،" غامر السيد دو كيرتي بالقول ثانية، لكن بما أنه لم يكن هناك رد بعد من آندي، فقد هز كتفيه، ونهض بصعوبة عن الأريكة، وسوى سترته ومعطفه. فعل الآخرون الشيء نفسه. ثم في تهرب استأذن ثلاثتهم بالانصراف من ظهر آندي وغادروا الغرفة.

كان والد أرنولد قد جلس في محل الآيس كريم لساعة ونصف حين دخلت الأنسة جويرنج، في النهاية، تجري. بدا مهجورًا تمامًا. لم يخطر له

قط أن يشتري مجلة كي يقرأها، ولم يكن هناك أي أحد كي ينظر إليه في محل الآيس كريم لأن الوقت كان ما زال صباحاً ونادراً ما يأتي الناس قبل الظهر.

"أوه، لا أستطيع أن أخبرك، يا عزيزي، كم أنا آسفة،" قالت الأنسة جويرنج، وهي تأخذ بكلتا يديه بين يديها، وتضغط عليهما بشفتيها. كان يرتدي قفازات صوفية. "لا أستطيع أن أخبرك كم تذكرني هذه القفازات بطفولتي،" أضافت الأنسة جويرنج.

"كنت أشعر بالبرد خلال هذه الأيام الماضية،" قال والد أرنولد، "لهذا ذهبت الأنسة جيملون إلى البلدة واشترت لي هذه."

"حسناً، وكيف حال كل شيء؟"

"سأخبرك بكل شيء بعد برهة،" قال والد أرنولد، "لكن أود أن أعرف إن كنت على ما يرام، يا امرأتي العزيزة، وإن كنت تنوين العودة إلى الجزيرة."

"أنا-أنا، لا أعتقد هذا،" قالت الأنسة جويرنج، "ليس قبل وقت طويل."

"حسناً، عليّ أن أخبرك بالتغيرات العديدة التي حدثت في حياتنا، وأتمنى ألا تعتقدي أنها مفرطة في تطرفها أو مفاجئة أو ثورية أكثر مما يجب، أو أي كان ما قد تطلقين عليها."

ابتسمت الأنسة جويرنج ابتسامة واهنة.

"هل ترين،" أضاف، "ازدادت برودة الجو في البيت خلال هذه الأيام الأخيرة، وأصبحت الأنسة جيملون بنوبة زكام رهيبة، علي أن أقر بهذا، بالإضافة إلى أنها، كما تعرفين، كانت منذ البداية في محنة بائسة بشأن أواني الطهو قديمة الطراز. الآن، أرنولد لا يكثرث بأي شيء إن حصل على ما يكفيه من الطعام، لكن مؤخرًا امتعت الأنسة جيملون عن وضع قدميها في المطبخ."

"الآن بحق السماء ماذا كانت نتيجة كل هذا؟ أسرع وأخبرني،" حثته الأنسة جويرنج.

"لا أستطيع أن أسرع أكثر مما أفعل،" قال والد أرنولد، "منذ عدة أيام، أديل ويمن، وهي صديقة قديمة لأرنولد منذ سنوات الدراسة، قابلته في البلدة وتناولوا القهوة معًا. في أثناء الحديث ذكرت أديل أنها تعيش في بيت مشترك لعائلتين في الجزيرة وأن الأمر يروقها لكنها قلقة جدًا بخصوص من سيأخذ نصفه الآخر."

"حسنًا، إذن، هل أفهم أنهما انتقلا إلى هذا البيت، ويعيشان هناك؟"

"انتقلا إلى ذلك البيت حتى تعودني،" قال والد أرنولد. "لحسن الحظ، يبدو أنك لم توقعي عقد إيجار للبيت الأول الصغير؛ لهذا، بما أنها كانت نهاية الشهر، كانا حرين في أن ينتقلا. تتساءل الأنسة جويرنج إن كنت سترسلين شيكات الإيجار إلى البيت الجديد. تطوع أرنولد بدفع فرق الإيجار، وهو مبلغ ضئيل جدًا."

"لا، لا، ليس هذا ضروريًا. هل هناك أي شيء جديد آخر؟"  
قالت الأنسة جويرنج.

"حسنًا، قد يهملك أن تعرفي،" قال والد أرنولد، "أنني قرّرت  
العودة إلى زوجتي وإلى بيتي الأصلي."  
"لماذا؟" سألت الأنسة جويرنج.

"خليط من ظروف مختلفة، بما فيها حقيقة أنني عجوز، وأشعر  
برغبة في العودة إلى بيتي."

"يا إلهي،" قالت الأنسة جويرنج، "من المخزي رؤية الأشياء  
تتداعى على هذا النحو، أليس كذلك؟"

"نعم، يا عزيزتي، الأمر مثير للأسى، لكنني أتيت هنا كي أطلب  
منك معروفًا بالإضافة إلى أنني أتيت لأنني أحبك وأردت أن أودعك."

"سوف أفعل من أجلك،" قالت الأنسة جويرنج، "أي شيء في  
وسعي فعله."

"حسنًا،" قال والد أرنولد، "أود منك أن تقرئي هذه الرسالة  
القصيرة التي كتبها لزوجتي. أريد أن أرسل بها إليها، ثم أعود في اليوم  
التالي إلى بيتي."

"بالتأكيد،" قالت الأنسة جويرنج. لاحظت وجود مظروف فوق  
المائدة أمام والد أرنولد. تناولته.

## عزیزتی ایٹل [تقرأ]

أمل أن تقرئى هذا الخطاب بكل التسامح والتعاطف الذى تمتلكين بقوة فى قلبك.  
بوسعى فقط أن أقول إنه يوجد، فى حياة كل رجل، رغبة ملحة فى ترك حياته  
وراء لفترة والتماس حياة جديدة. إن كان يعيش بجوار البحر، فثمة رغبة ملحة فى  
أخذ القارب التالى والإبحار بعيداً بصرف النظر عن قدر سعادة بيته أو حبه  
لزوجته أو أمه. صحيح أيضاً أنه إن كان الرجل يعيش بجوار طريق، فقد يشعر  
بالرغبة الملحة فى أن يلقى بحقيبة فوق ظهره ويمضى بعيداً، مرة أخرى تاركاً خلفه  
بيتاً سعيداً. القليل جداً من الناس يتبعون هذه الرغبة إن اجتازوا شبابهم بدون  
أن يفعلوا. لكنها فكرتى أنه أحياناً ما يؤثر فىنا التقدم فى العمر مثلما يفعل الشباب،  
مثل الشمبانيا القوية التى تسرى إلى عقولنا، فنجرؤ على ما لم نجرؤ عليه من قبل،  
ربما أيضاً لأننا نشعر أنها فرصتنا الأخيرة. ومع هذا، بينما كشباب قد نستمر فى  
مغامرة من هذا القبيل، فى سنى سرعان ما يكشف المرء أنها مجرد وهم، وأنه ليس  
لدى المرء القوة. هل تقبلين بعودتى؟

زوجك المحب،

إدجار



"إنها بسيطة،" قال والد أرنولد، "وتعبّر عما شعرت به."  
"هل هذا حقاً ما شعرت به؟" سألت الأنسة جويرنج.

"أعتقد هذا،" قال والد أرنولد. "من المؤكد أن هذا هو الأمر.  
بطبيعة الحال لم أذكر لها أي شيء يتعلق بمشاعري تجاهك، لكنها من  
المؤكد قد خمنت ذلك، ومثل هذه الأشياء من الأفضل ألا تُقال..."  
خفض بصره إلى قفازاته الصوفية، ولم يقل أي شيء آخر لبرهة.  
فجأة مد يده في جيبه، وأخرج خطاباً آخر.

"آسف،" قال، "كدت أنسى. ها هو خطاب من أرنولد."

"الآن،" قالت الأنسة جويرنج بينما تفض الخطاب، "عن أي  
شيء يمكن أن يكون هذا؟"

"بالتأكيد الكثير عن لا شيء وعن البغيّ التي يعيش معها، وهي  
أسوأ من لا شيء." فتحت الأنسة جويرنج الخطاب، وشرعت في قراءته  
بصوت مرتفع:

عزيزتى كرسيتينا،

أخبرت الوالد أن يشرح لك أسباب تغييرنا مؤخراً لحل الإقامة. أتمنى أن يكون  
قد فعل ذلك وأن تكونى مقتنعة بأننا لم نتصرف بتهور، ولا بشكل قد تقررين أنه  
يخلو من مراعاة لمشاعرك. تود لوسى أن ترسلى شيكها إلى هذا العنوان الحالى.  
كان من المفترض أن يخبرك الوالد بهذا لكننى فكرت أنه ربما ينسى. أخشى أن

لوسى منزعجة جداً من مغامرتك الحالية. دائماً ما تكون في مزاج إما عابس وإما سوداوى. أملتُ أن يحف هذا الحال بعد انتقالنا، لكنها ما تزال عرضةً لفترات طويلة من الصمت، وكثيراً ما تبكى في أثناء الليل، ناهيك بذكر أنها سريعة الغضب إلى حد بعيد، وأنها تشاجرت مرتين مع أديل، رغم أننا لم نتقل هنا سوى منذ يومين. أرى من كل هذا أن طبيعة لوسى هي في الواقع خليط من رقة شديدة واعتلال، وفتنى أن أكون إلى جانبها. أديل من ناحية أخرى لها طبيعة معتدلة جداً، لكنها مثقفة جداً ومهتمة كثيراً بكل فرع من فروع الفن. فكّر في أن تبدأ مجلةً معاً حين نستقر إلى حد ما. إنها فتاة شقراء جميلة.

أفتدك كثيراً، يا عزيزتى، وأرجو منك أن تصدقى أنني إن تمكنت على نحو ما من الوصول إلى ما كان داخلي، فسوف أددف خارج هذه الشرقة الرهيبة التي أنا فيها. أتوقع حقاً أن أفعل هذا في يوم ما. سوف أتذكر دائماً القصة التي أخبرتني بها حين تقابلنا للمرة الأولى، القصة التي شعرت دائماً أن مدفون فيها مغزى ما غريباً، رغم أن علىّ أن أقرّ لك الآن بأننى لم أستطع تحديده. علىّ أن أذهب وأخذ بعض الشاى الساخن إلى فقايع في غرفتها الآن.

أرجو، أرجو أن تؤمنى بى.

حب وقبلات،

أرنولد

"إنه رجل لطيف"، قالت الأنسة جويرنج. لسبب ما جعلها خطاب أرنولد تشعر بالحزن، بينما ضابقتها خطاب والده وحيرها.

"حسنًا،" قال والد أرنولد، "عليّ أن أغادر الآن إن كنت أريد أن أُلحق المعدة التالية."

"انتظر،" قالت الأنسة جويرنج، "سوف أرافقك إلى الرصيف." بسرعة فُكّت وردة كانت تضعها في ياقة معطفها، وثبتتها على طية معطف العجوز.

حين وصلا إلى الرصيف كان الجرس يُدق، والمعدة متأهبة للمغادرة إلى الجزيرة. شعرت الأنسة جويرنج بالراحة لرؤية ذلك، إذ إنها خشيت من مشهد عاطفي طويل.

"حسنًا، لقد وصلنا في آخر لحظة،" قال والد أرنولد، محاولاً أن يتخذ مظهرًا عفويًا. غير أنه كان في وسع الأنسة جويرنج رؤية أن عينيه الزرقاوين كانتا مبتلتين بالدموع...أمكنها بصعوبة منع دموعها هي الأخرى، وحوّلت نظرها عن المعدة إلى أعلى التل.

"أتساءل،" قال والد أرنولد، "إن كان في إمكانك إقراض خمسين سنتًا. لقد أرسلت كل مالي إلى زوجتي، ولم أفكر في اقتراض ما يكفي من أرنولد هذا الصباح."

بسرعة أعطته دولارًا، وتبادلا قبلة وداع. بينما تبعد المعدة، وقفت الأنسة جويرنج على الرصيف، ولوحت؛ لقد طلب منها أن تفعل ذلك كجميلٍ من أجله.

حين عادت إلى الشقة وجدتها خالية، لهذا قررت أن تذهب إلى البار وتشرب، وهي تشعر بيقين أنه إن لم يكن آندي هناك بالفعل، فسوف يذهب عاجلاً أو آجلاً.

كانت تشرب هناك لعدة ساعات، وقد بدأ الظلام في الهبوط. لم يصل آندي بعد، وشعرت الآنسة جويرنج بالقليل من الراحة. نظرت خلفها ورأت الرجل ضخم البنية الذي يمتلك السيارة التي تشبه عربات نقل الموتى آتياً من الباب. ارتجفت لا إرادياً وابتسمت بعدوبة إلى فرانك، الساقى.

"فرانك،" قالت، "ألا تأخذ أي يوم إجازة؟"

"لا أريد إجازة."

"لم لا؟"

"لأنني أود أن أحتفظ بأنفي على حجر الرحي، وأفعل شيئاً ما ذا قيمة فيما بعد. لا أحصل على أي متعة من أي شيء سوى التفكير بأفكاري الخاصة على أي حال."

"أكره أن أفكر بأفكاري، يا فرانك."

"لا، هذا سخيف،" قال فرانك.

كان الرجل الضخم في المعطف الثقيل قد تسلق أحد مقاعد البار العالية، وألقى بخمسين سنتاً على البار. قدم له فرانك مشروبه. بعد أن شربه التفت إلى الآنسة جويرنج.

"هل تتناولين مشروبًا؟" سألتها.

على قدر ما كانت نخشاه، شعرت الآنسة جويرنج بإثارة غريبة لأنه تحدث إليها أخيرًا. لقد توقعت الأمر لعدة أيام الآن، وشعرت أنه ليس في وسعها الامتناع عن إخباره بذلك.

"أشكرك كثيرًا"، قالت في صوت على درجة من التملق إلى حد أن فرانك، الذي لا يستحسن كثيرًا السيدات اللاتي يتحدثن إلى الغرباء، قطب بغضب وانتقل إلى الطرف الآخر من البار، حيث بدأ في قراءة مجلة. "أشكرك كثيرًا، سيسرني هذا. قد يهمك أن تعرف أنني قد تخيلت تناولنا المشروبات معًا هكذا لبعض الوقت، ولا أستغرب أبدًا أنك طلبت مني هذا. لقد تخيلت الأمر يحدث في هذا الوقت من النهار أيضًا، وفي وقت لا يكون هناك أي أحد آخر هنا." هز الرجل رأسه مرة أو مرتين.

"حسنًا، ماذا تريدان أن تشربي؟" سألتها. شعرت الآنسة جويرنج بخيبة أمل شديدة لأنه لم يعط ردًا مباشرًا على ملاحظتها.

بعد أن قدم فرانك المشروب، انتزعه الرجل من أمامها.

"هيا"، قال، "دعينا نجلس إلى مائدة."

هبطت الآنسة جويرنج من مقعدها العالي، وتبعته إلى المائدة الأبعد عن الباب.

"حسنًا"، قال لها بعد أن جلسا هناك لبرهة، "هل تعملين هنا؟"

"أين؟" سألت الأنسة جويرنج.

"هنا، في هذه البلدة."

"لا،" قالت الأنسة جويرنج.

"حسنًا، إذن، هل تعملين في بلدة أخرى؟"

"لا، لا أعمل."

"نعم، تعملين. ليس عليك أن تحاولي خداعي، لأنه لم يفعل هذا

أي أحد من قبل."

"لا أفهم."

"تعملين كعاهرة، على نحو ما، أليس كذلك؟"

ضحكت الأنسة جويرنج. "أيتها السماء!" قالت. "بالتأكيد لم أفكر

قط أنني أبدو كعاهرة فقط لأن لي شعرًا أحمر؛ ربما كمنبوذة، أو

كمنجونة هاربة، لكن قط كعاهرة!"

"لا تبدين مثل منبوذة أو منجونة هاربة بالنسبة لي. تبدين مثل

عاهرة، وهذا ما أنت. لا أعني عاهرة بسيطة. أعني عاهرة متوسطة."

"حسنًا، لا اعتراض لدي على العاهرات، لكن حقًا أؤكد لك

أنني لست كذلك."

"لا أصدقك."

"لكن كيف لنا أن نعقد أي نوع من الصداقة على الإطلاق،"

سألت الأنسة جويرنج، "إن لم تصدق أي شيء أقوله؟"

هز الرجل رأسه مرة أخرى. "لا أصدقك حين تقولين إنك لست عاهرة لأنني أعرف أنك عاهرة."

"حسنًا،" قالت الأنسة جويرنج، "لقد سئمت من الجدال." كانت قد لاحظت أن وجهه، على خلاف أغلب الوجوه الأخرى، لا يبدو أنه يكتسب أي حياة إضافية حين ينخرط في حوار، وشعرت أن كل هواجسها بشأنه كان لها ما يبررها.

كان يُحرّك قدمه إلى أعلى ساقها الآن. حاولت أن تبتسم له لكنها لم تستطع.

"اسمع،" قالت، "في مقدور فرانك أن يرى ما تفعل من حيث يقف خلف البار، وسيخرجني هذا جدًا."

بدا أنه يتجاهل ملاحظتها تمامًا، وواصل الضغط على ساقها بقوة متزايدة.

"هل تريدان أن تذهبي معي إلى البيت، وتتناولين عشاءً من شرائح اللحم؟" سألهما. "سوف أتناول شرائح اللحم والبصل وقهوة. يمكنك البقاء لعدة أيام إن سار كل شيء على ما يرام، أو لمدة أطول. تلك الفتاة الصغيرة الأخرى، دوروثي، غادرت منذ نحو أسبوع." "أعتقد أن هذا سيكون لطيفًا،" قالت الأنسة جويرنج.

"حسنًا،" قال، "البيت على مسافة ساعة تقريبًا بالسيارة من هنا. عليّ أن أذهب الآن كي أقابل شخصًا ما هنا في البلدة، لكنني سأعود

في خلال نصف ساعة أو ما يقارب ذلك؛ إن أردتِ بعض شرائح اللحم فمن الأفضل لك أن تكوني هنا أيضاً."

"حسناً، سأكون هنا،" قالت الأنسة جويرنج.

لم يكن قد انصرف منذ أكثر من عدة دقائق حين وصل أندي. كانت كلتا يديه في جيوبه، وياقة معطفه مرفوعة. كان ينظر لأسفل إلى قدميه.

"أيها الرب القادر!" قالت الأنسة جويرنج لنفسها. "عليّ أن أزف الخبر له على الفور ولم أره مكتئباً هكذا منذ أسبوع."

"ما الذي حدث لك بحق السماء؟" سألته.

"لقد ذهبت لمشاهدة فيلم، معطياً نفسي درساً صغيراً في ضبط النفس."  
"ما معنى هذا؟"

"أعني أنني كنت منزعجاً؛ كانت روحي مقلوبة رأساً على عقب هذا الصباح، ولم يكن عندي سوى خيارين، أن أشرب وأواصل الشرب أو أن أذهب لمشاهدة فيلم. اخترت الأخير."

"لكنك ما زلت تبدو متجهماً بشكل رهيب."

"أنا أقل تجهماً. ما يبدو عليّ هو نتائج المعركة الرهيبة التي خضتها داخل نفسي، وتعرفين أن وجه النصر كثيراً ما يشبه وجه الهزيمة."



"النصر يتلاشى سريعاً حتى إنه نادراً ما يُرى، ودائماً وجه الهزيمة هو ما تتمكن من رؤيته،" قالت الأنسة جويرنج. لم ترد أن تخبره، أمام فرانك، أنها ستغادر، لأنها كانت متأكدة من أن فرانك سيعرف إلى أين ستذهب. "أندي،" قالت، "هل تمنع في الذهاب معي إلى الناحية الأخرى من الشارع، إلى محل الآيس كريم؟ عندي شيء أود أن أتحدث معك بشأنه."

"حسناً،" قال أندي بلا مبالاة أكبر مما توقعت الأنسة جويرنج. "لكنني أود العودة على الفور لتناول مشروب."

عبرا الشارع إلى محل الآيس كريم، وجلسا إلى مائدة في مقابل أحدهما الآخر. لم يكن هناك أي أحد في اخل باستثنائهما والفتى الذي يخدم الزبائن. هز رأسه لهما حين دخلا.

"عُدت مرة أخرى؟" قال للآنسة جويرنج. "ذلك الرجل العجوز انتظرك لمدة طويلة فعلاً هذا الصباح."

"نعم،" قالت الأنسة جويرنج، "كان الأمر مريعاً."  
"حسناً، لقد أعطيتَه زهرة، على أي حال، حين انصرفت. من المؤكد أنه ابتهج بسبب ذلك."

لم ترد الأنسة جويرنج عليه إذ كان لديها القليل من الوقت لتبدهه.  
"أندي،" قالت، "سوف أذهب في خلال عدة دقائق إلى مكان يبعد نحو ساعة عن هنا، وفي الغالب لن أعود لمدة طويلة."

بدا أن أندي قد فهم الموقف على الفور. رجعت الأنسة جويرنج  
بظهرها، وانتظرت بينما ضغط راحتيه بقوة مُطْرِدَةً على صدغيه.

أخيراً رفع نظره إليها. "أنت،" قال، "كإنسانة كريمة، لا يمكنك أن  
تفعلي هذا بي."

"حسناً، أخشى أنني أستطيع، أندي، لدي نجمي الخاص لأتبعه."

"لكن هل تعرفين،" قال أندي، "كم جميل وحساس قلب رجل  
حين يكون سعيداً للمرة الأولى؟ إنه مثل الثلج الرقيق الذي سجن تلك  
النباتات الصغيرة الجميلة التي تتحرر حين يذوب الثلج."

"لقد قرأت ذلك في قصيدة ما،" قالت الأنسة جويرنج.

"هل يجعلها هذا أقل جمالاً؟"

"لا،" قالت الأنسة جويرنج، "أقرّ بأنه خاطر جميل جداً."

"ليس لك أن تمزقي النبتة الآن بعد أن أذبت الثلج."

"أوه، أندي،" قالت الأنسة جويرنج، "تجعلني أبدو فظيعة جداً!

كل ما في الأمر أنني أحاول شيئاً ما من أجل نفسي."

"ليس من حقك،" قال أندي. "لست وحدك في العالم. لقد ربطت

نفسك بي!" كان هياجه يزداد ربما لأنه أدرك أن لا طائل على الإطلاق

من قول أي شيء للأنسة جويرنج.

"سوف أنزل على ركبتيّ"، قال أندي، ملوحًا بقبضته في وجهها.  
ما إن قال هذا حتى كان على ركبتيه بالقرب من قدميها. كان النادل  
مصدومًا تمامًا، وشعر أنه من الأفضل أن يقول شيئًا.

"انظر، يا أندي،" قال بصوت خافت جدًا، "لم لا تنهض وتمعن  
التفكير في الأمر؟"

"لأنها،" قال أندي، بينما يرفع صوته، "لأنها لا تجرؤ على رفض  
رجل يركع على ركبتيه. لا تجرؤ! سيكون في هذا انتهاك للمقدسات."

"لا أرى كيف،" قالت الأنسة جويرنج.

"إن رفضت،" قال أندي، "فسوف أتسبب لك في العار، سوف  
أزحف إلى الشارع في الخارج، سوف أخزيك."

"في الحقيقة ليس لدي أي إحساس بالحياء،" قالت الأنسة  
جويرنج، "وأعتقد أن حسك بالحياء مُبالغ فيه بشكل رهيب، بالإضافة  
إلى أنه عبء رهيب على أعصابك. الآن عليّ أن أذهب، أندي. أرجو  
أن تنهض."

"أنت مجنونة،" قال أندي. "أنت مجنونة وتشبهين وحشًا—حقًا.  
وحش. إنك ترتكبين فعلًا متوحشًا."

"حسنًا،" قالت الأنسة جويرنج، "ربما تبدو مناوراتي غريبة قليلاً  
بالفعل، لكنني فكرت لوقت طويل أنه في أحيان كثيرة، في أحيان كثيرة  
جدًا، الأبطال الذي يعتقدون في أنفسهم أنهم وحوش لأنهم بعيدون

جداً عن بقية الناس، يلتفتون بعدها بكثير ويرون أفعالاً وحشيةً فعلاً  
ثرتك باسم شيء ما تافه القيمة."

"مخجلة!" صرخ أندي فيها وهو على ركبته. "لست مسيحية حتى."

هرعت الأنسة جويرنج خارجة من محل الآيس كريم بعد أن قبلت  
أندي قبلة خفيفة على رأسه، إذ أدركت أنها إن لم تغادره بسرعة فسوف  
يفوتها موعدها. في حقيقة الأمر، كان حكمها صحيحاً، لأن صديقها  
كان يخرج للتو من الحانة حين وصلت.

"هل ستأتين معي؟" قال. "لقد انتهيت أسرع قليلاً مما قدرت  
وقررت أنني لن أنتظر إذ لم أعتقد أنك ستأتين."

"لكن"، قالت الأنسة جويرنج، "لقد قبلت دعوتك. لم ظننت أنني  
لن أتجي؟"

"لا تنفعلي"، قال الرجل، "هيا، دعينا نستقل السيارة."

حين مرت السيارة بجوار محل الآيس كريم في طريقها نحو البلدة،  
نظرت الأنسة جويرنج عبر النافذة كي ترى إن كان في وسعها لمح أندي.  
لدهشتها، رأت أن المحل يمتلئ بالناس، إلى درجة أنهم فاضوا عن سعة  
المكان وخرجوا إلى الشارع، وزحموا الرصيف تماماً، ولم تستطع في  
الحقيقة أن ترى داخل المحل على الإطلاق.

كان الرجل يجلس في الأمام مع السائق الذي لم يكن يرتدي زياً،  
وجلست هي وحدها في المقعد الخلفي. حيرها هذا الترتيب في البداية،

لكنها شعرت بالسرور. سرعان ما فهمت لم رتب الجلوس على هذا النحو. بعد أن تركوا البلدة وراءهم بقليل، التفت إلى الخلف وقال لها: "سوف أنام الآن. أنا أكثر راحة في الأمام لأنني لا أهتز كثيرًا هنا. يمكنك الحديث مع السائق إن أردت."

"لا أعتقد أنني أباي بالحديث مع أي أحد،" قالت الأنسة جويرنج. "حسنًا، بحق الجحيم افعلي أيا ما تريد،" قال. "لا أريد أن يوقظني أحد قبل أن تكون شرائح اللحم تلك فوق الشواية." بدون إبطاء جذب قبعته إلى أسفل فوق عينيه وراح في النوم.

بينما تمضي السيارة، شعرت الأنسة جويرنج بأنها أكثر حزنًا ووحدة من أي وقت سابق من حياتها. افتقدت آندي وأرنولد والأنسة جيملون والعجوز من كل قلبها، وسرعان ما كانت تبكي في صمت في المقعد الخلفي من السيارة. فقط بمجهود هائل من إرادتها امتنعت عن فتح الباب والقفز إلى الطريق.

مروا عبر العديد من البلدات الصغيرة وأخيرًا، بينما الأنسة جويرنج توشك على الإغفاء، وصلوا إلى مدينة متوسطة الحجم.

"هذه هي البلدة التي نتوجه إليها،" قال السائق، مُفترضًا أن الأنسة جويرنج كانت تراقب الطريق بنفاد صبر. كانت بلدة صاخبة، وكان هناك عدة خطوط ترام تتجه جميعها في اتجاهات مختلفة. دُهِشت الأنسة جويرنج من أن الضجيج لم يوقظ صديقها في المقعد الأمامي.

سرعان ما تركوا منتصف البلدة، رغم أنهم كانوا ما زالوا في نطاق المدينة ذاتها حين توقفوا أمام بناية سكنية. واجه السائق صعوبة كبيرة في إيقاف مخدومه، لكنه نجح في النهاية بعد أن صرخ بعنوان الرجل بالقرب من أذنه.

كانت الأنسة جويرنج تنتظر على الرصيف، وقد وقفت في البداية على قدم ثم على الأخرى. لاحظت أن هناك حديقة صغيرة على امتداد جانب واحد من جوانب البناية. كانت قد زُرعت بأشجار وأجمات دائمة الخضرة، جميعها ذات أحجام صغيرة لأنه كان من الواضح أن كلاً من الحديقة والمبنى حديثان. أحاطت سلسلة من الأسلاك الشائكة بالحديقة، وكان كلب يحاول أن يزحف تحتها. "سوف أذهب كي أودع السيارة في مكانها، يا بن،" قال السائق.

خرج بن من السيارة، ودفع الأنسة جويرنج أمامه إلى مدخل البناية. "نمط إسباني زائف،" قالت الأنسة جويرنج لنفسها أكثر منه لبن. "هذا ليس نمطاً إسبانياً زائفاً،" قال بكآبة، "هذا إسباني حقيقي." ضحكت الأنسة جويرنج قليلاً. "لا أعتقد هذا،" قالت. "لقد ذهبت إلى إسبانيا."

"لا أصدقك،" قال بن. "على أي حال، هذا إسباني حقيقي، كل شبر منه."

نظرت الأنسة جويرنج إلى الحوائط حولها، كانت مبنية من حص  
أصفر، ومزينة بمصاييح وعناقيد من أعمدة صغيرة جدًا.

معًا دخلا إلى مصعد صغير جدًا، وكاد قلب الأنسة جويرنج أن  
يخذهما. ضغط رفيقها على زر، غير أن المصعد ظل ثابتًا.

"أستطيع أن أمزق الرجل الذي صنع هذا الشيء"، قال، بينما  
يخبط الأرضية بقدمه.

"أوه، أرجوك"، قالت الأنسة جويرنج، "أرجوك دعني أخرج."

لم يعرها أي اهتمام، لكنه واصل الخبط بقدمه أقوى حتى من ذي  
قبل، وضغط على الزر مرة بعد أخرى كما لو كان الخوف في صوتها قد  
أثاره. أخيرًا بدأ المصعد في الارتفاع. خبأت الأنسة جويرنج وجهها بين  
يديها. وصلا إلى الطابق الثاني، حيث توقف المصعد، وخرجا. انتظرا  
معًا أمام أحد الأبواب الثلاثة التي تفتح على ردهة ضيقة.

"المفاتيح مع جيم"، قال بن؛ "سيصعد خلال دقيقة. أتمنى أن  
تكوني تفهمين أننا لن نذهب للرقص أو لأي هراء كهذا. لا أستطيع  
تحمل ما يدعو الناس استمتاعًا."

"أوه، أحب كل هذا"، قالت الأنسة جويرنج. "جوهريًا أنا  
شخص مرح. أعني أنني أستمتع بكل الأشياء التي يستمتع بها المرحون."

تشاء بن.

"لن ينصت لي أبداً،" قالت الأنسة جويرنج لنفسها.

عاد السائق على الفور بالمفاتيح وأدخلهما إلى الشقة. كانت غرفة المعيشة صغيرة وغير جذابة. كان أحد ما قد ترك بقعة كبيرة في منتصف الأرضية. من خلال بعض الثقوب في الورق كان في وسع الأنسة جويرنج أن ترى أن البقعة كانت تتضمن لحافاً وردياً جميلاً. أعطتها رؤية اللحاف القليل من الشجاعة، وسألت بن إن كان قد اختاره بنفسه. بدون أن يرد على سؤالها نادى السائق الذي كان قد ذهب إلى المطبخ المجاور لغرفة المعيشة. كان الباب بين الغرفتين مفتوحاً، واستطاعت الأنسة جويرنج أن ترى السائق يقف بجوار الحوض مرتدياً قبعته ومعطفه، ويفض ببطء لفائف شرائح اللحم.

"أخبرتكَ أن تتأكد من أن يأتوا من أجل هذه البطانية اللعينة،"  
صرخ بن فيه.

"لقد نسيت."

"فلتحمل معك واحدة من تلك المفكرات إذن، وأخرجها من جيبك بين وقت وآخر. يمكنك شراء واحدة عند الناصية."

ألقى بن بنفسه فوق الأريكة بجوار الأنسة جويرنج التي كانت قد جلست من تلقاء نفسها، ووضع يده فوق ركبتيها.



"لماذا؟ ألا تريد اللحاف الآن بعد أن اشتريته بالفعل؟" سألته  
الآنسة جويرنج.

"لم أشتريه. تلك الفتاة التي كانت معي هنا الأسبوع الماضي اشتريته،  
كي تتغطى به في الفراش."

"ولا يروقك اللون؟"

"لا يروقني أن تكون كثير من الأشياء الإضافية ملقاة في كل  
مكان."

جلس مستغرقاً في التفكير لعدة دقائق، وبحث الآنسة جويرنج،  
التي بدأت ضربات قلبها في التسارع كلما سقط في الصمت، في عقلها  
عن سؤال آخر تطرحه.

"لست مغرماً بالمناقشات،" قالت له.

"تعين التحدث؟"

"نعم."

"لا، لست مغرماً بذلك."

"لماذا؟"

"يقول المرء أكثر مما ينبغي حين يتحدث،" رد شاردًا.

"حسنًا، ألسنت مهتمًا بمعرفة المزيد عن الناس؟"

هز رأسه. "لا أحتاج إلى معرفة المزيد عن الناس، والأهم، لا  
يحتاجون إلى معرفة المزيد عني." نظر إليها بظرف عينه.

"حسنًا،" قالت مبهورة الأنفاس قليلاً، "من المؤكد يوجد شيء ما يروقك."

"تروقي النساء كثيرًا ويروقي كسب المال إن استطعت كسبه سريعاً." بدون تحذير هب واقفاً وسحب الأنسة جويرنج معه، قابضاً على معصمها بخشونة. "بينما يُعدّ شرائح اللحم، دعينا نذهب إلى الداخل لدقيقة."

"أوه، أرجوك،" ناشدته الأنسة جويرنج. "أنا متعبة جداً. دعنا نستريح هنا قليلاً قبل العشاء."

"حسنًا،" قال بن. "سوف أذهب إلى غرفتي وأمدد جسمي حتى تُطبخ شرائح اللحم. أحبها زائدة الطهو."

بعد أن ذهب، جلست الأنسة جويرنج على الأريكة تشد أصابعها المبللة بالعرق. كانت ممزقة بين رغبة غامرة في أن تفر إلى خارج الغرفة ودافع لا يُقاوم مثير للغثيان بأن تبقى حيث هي.

"أمل فعلاً،" قالت لنفسها، "أن تكون شرائح اللحم جاهزة قبل أن يتسنى لي أن أقرّر."

ورغم هذا، حين أيقظ السائق بن كي يُعلن أن شرائح اللحم طُهِيت، كانت الأنسة جويرنج قد قرّرت أنه من الضروري جداً لها أن تبقى.

جلسا معاً حول مائدة صغيرة تُطوى، وأكلا في صمت. ما إن أتما وجبتيهما حتى رن التليفون. رد بن، وحين انتهى من الحوار، أخبر

الآنسة جويرنج وجيم أن ثلاثتهم ذاهبون إلى المدينة. نظر السائق إليه نظرة العارف.

"لا يستغرق الطريق وقتًا طويلاً من هنا،" قال بن، وهو يرتدي معطفه. التفت إلى الآنسة جويرنج. "سوف نذهب إلى مطعم،" قال لها. "ستجلسين بصبر إلى مائدة منفصلة بينما أتحدث عن العمل مع بعض الأصدقاء. إن تأخر الوقت جدًا فسنقضي أنا وأنت الليلة في المدينة في فندق أذهب إليه دائماً، بوسط المدينة. سيقود جيم السيارة عائداً، وينام هنا. الآن هل يفهم الجميع كل شيء؟"

"تماماً،" قالت الآنسة جويرنج، التي سُرّت بطبيعة الحال لأنهم سيغادرون الشقة.

لم يكن المطعم مبهجاً كثيراً. كان في غرفة مربعة ضخمة في الطابق الأول من بيت قديم. قادها بن إلى مائدة بالقرب من الحائط، وأخبرها أن تجلس.

"بين وقت وآخر يمكنك طلب شيء ما،" قال، وذهب إلى رجال ثلاثة كانوا يجلسون إلى بار مؤقت ارتُجّل من قطع خشب رقيقة وورق مُقوّى.

كان الضيوف كلهم تقريباً من الرجال، ولاحظت الآنسة جويرنج أنه لا توجد وجوه مميزة بينهم، رغم أنه لا أحد منهم كان رث الثياب. كان الرجال الثلاثة الذين يتحدث معهم بن قبيحي الوجوه، بل وكان

مظهرهم وحشياً حتى. على الفور رأت بن يشير إلى امرأة كانت تجلس إلى مائدة غير بعيدة عن طاولتها هي. ذهبت وتحدثت معه ثم أسرع إلى مائدة الأنسة جويرنج.

"يريدك أن تعرفي أنه سيظل هنا لمدة طويلة، ربما لما يزيد على ساعتين. عليّ أن أحضر لك ما تريدين. هل ترغيبين في بعض الاسباغيتي أو في ساندويتش؟ سآتي لك بأي ما تريدين."

"لا، شكراً،" قالت الأنسة جويرنج. "لكن هل تجلسين وتتناولين مشروباً معي؟"

"الحقيقة، لا لن أفعل،" قالت المرأة، "رغم أنني أشكرك كثيراً." ترددت قليلاً قبل أن تقول وداعاً. "بالطبع، أود أن تأتي إلى مائدتنا وتنضمي إلينا، لكن الموقف يصعب تفسيره. أغلبنا هنا أصدقاء مقربون، وحين نقابل أحداً الآخر نخبر أحداً الآخر بكل ما حدث."

"أفهم،" قالت الأنسة جويرنج، التي كانت حزينة قليلاً لرؤيتها تغادر إذ لم يرقها جلوسها وحدها لساعتين أو ثلاث. رغم أنها لم تكن متلهفة على أن تكون في صحبة بن، فإن قلق الانتظار لكل هذا الوقت مع قليل مما يمكن أن يلهيها كاد أن يكون غير محتمل. خطر لها أن بوسعها ربما أن تتصل تليفونياً بصديقة، وتطلب منها أن تأتي وتتناول مشروباً معها في المطعم. "بالتأكيد،" فكّرت. "لن يمانع بن في أن أدرش قليلاً مع امرأة أخرى." كانت أنا والسيدة كويرفيلد الشخصين الوحيدين اللذين تعرفهما بما يكفي لدعوتهما في آخر لحظة. من بين

الاثنتين، كانت تفضّل السيدة كوبرفيلد، وفكّرت أنها الأكثر احتمالاً لأن تقبل مثل هذه الدعوة. غير أنها لم تكن متأكدة من أن السيدة كوبرفيلد قد عادت بعد من رحلتها عبر أمريكا الوسطى. نادى النادل، وطلبت أن يأخذها إلى التليفون. بعد طرح عدة أسئلة، أخذها إلى ردهة مُعرّضة لتيار هواء، وطلب الرقم من أجلها. نجحت في الوصول إلى صديقتها التي تحمست بشكل كبير ما إن سمعت صوت الأنسة جويرنج.

"سأتي طائراً في الحال"، قالت للأنسة جويرنج. "لا أستطيع إخبارك كم رائع أن أسمع منك. لم أعد منذ وقت طويل، كما تعرفين، ولا أعتقد أنني سأبقى."

بينما كانت السيدة كوبرفيلد تخبرها بذلك، دخل بن إلى الردهة، وانزع السماعه من يد الأنسة جويرنج. "ما معنى هذا، بحق المسيح؟" طالبها برد.

طلبت الأنسة جويرنج من السيدة كوبرفيلد أن تنتظر لحظة. "أصل بصديقه"، قالت لبن، "امرأة لم أرها منذ وقت طويل. إنها شخص نشيط، وفكّرت أنها قد تود أن تأتي إلى هنا وتتناول مشروباً معي. كنت أشعر بالوحدة في مائدتى."

"مرحبا،" صرخ بن في السماعه، "هل ستأتين إلى هنا؟"

"بكل تأكيد، *tout de suite*،" ردت السيدة كوبرفيلد. "إنني أعشقها."

بدا بن مقتنعًا، وأعاد السماعه إلى الأنة جورنج من دون كلمة. قبل مغادرة الردهة، مع هذا، أعلن للأنة جورنج أنه لن يأخذ امرأتين. هزت رأسها، وعاودت حديثها مع السيدة كوبرفيلد. أخبرتها بعنوان المطعم الذي كتبه النادل لها، وودعتها.

بعدها بنحو نصف ساعة، وصلت السيدة كوبرفيلد، تصحبها امرأة لم ترها الأنة جورنج من قبل قط.

رُوعت من منظر صديقتها القديمة. كانت نحيفة بشكل فظيع، وبدا أنها تعاني من طفح جلدي. كانت صديقة السيدة كوبرفيلد جذابة إلى حد ما، فكّرت الأنة جورنج، غير أن شعرها كان سلكيًا إلى درجة لا تناسب ذوقها الشخصي. كانت كلتا المرأتين ترتديان ملابس سوداء غالية الثمن.

"ها هي"، صرخت السيدة كوبرفيلد، بينما تقبض على يد باسيفيكا، وتجري نحو مائدة الأنة جورنج.

"لا أستطيع أن أخبرك كم أنا مسرورة أنك اتصلت"، قالت. "أنت الشخص الوحيد في العالم الذي أردت أن يراني. هذه هي باسيفيكا. إنها معي في شقتي."

طلبت الأنة جورنج منهما أن تجلسا.

"اسمعي"، قالت باسيفيكا للأنة جورنج، "عندي موعد مع ولد بعيدًا في أقصى شمال المدينة. من الرائع أن أقابلك، لكنه سيكون عصبياً

جدًا وتعيّسًا. يمكنها أن تتحدث معك، وسأذهب أنا وأراه الآن. أنتما صديقتان مقربتان، لقد أخبرتني."

هبت السيدة كوبرفيلد واقفة. "باسيفيكا،" قالت، "عليك البقاء هنا وتناول مشروبات أولاً. هذه معجزة عليك أن تكوني فيها."

"الوقت متأخر جدًا الآن وسأكون في ورطة كبيرة إن لم أذهب على الفور. لم تقبل أن تأتي إلى هنا بمفردها،" قالت باسيفيكا للآنسة جويرنج.

"تذكري، لقد وعدت أن تأتي وتأخذيني بعدها،" قالت السيدة كوبرفيلد. "سوف أتصل بك حين تكون كرستينا مستعدة للانصراف."

ودعتهما باسيفيكا، وهرعت خارجة من الغرفة.

"ما رأيك فيها؟" سألت السيدة كوبرفيلد الآنسة جويرنج، لكن بدون أن تنتظر ردًا نادت النادل وطلبت اثنين دبل ويسكي. "ما رأيك فيها؟" كرّرت.

"من أين هي؟"

"إنها فتاة إسبانية من بنما، وأكثر الشخصيات التي وجدت روعة. لا نقوم بأي حركة بدون أحدنا الآخر. أنا راضية تمامًا وقانعة."

"عليّ أن أقول، مع هذا، إنك منهكة قليلاً،" قالت الآنسة جويرنج التي كانت قلقة بوضوح بشأن صديقتها.

"سأخبرك"، قالت السيدة كوبرفيلد، وهي تميل على المائدة، وتبدو فجأة متوترة جداً. "أنا قلقة قليلاً—لست قلقة قلقاً مفراطاً، لأنني لن أسمح بأن يحدث أي شيء لا أريد له أن يحدث—لكنني قلقة قليلاً لأن باسيفيكا قابلت ذلك الولد الأشقر الذي يسكن بعيداً في شمال المدينة، وقد طلب منها أن تتزوجه. لا يقول أي شيء أبداً، وشخصيته ضعيفة جداً. لكنني أعتقد أنه فتنها لأنه يُطري عليها طوال الوقت. ذهبت إلى شقته معها، لأنني لن أسمح لهما أن يكونا بمفردهما، وقد أعدت عشاءً من أجله مرتين. إنه مجنون بالطعام الإسباني، ويأكل بنهم من كل طبق تضعه أمامه."

مالت السيدة كوبرفيلد إلى وراء، وحملت باهتمام شديد في عيني الأنة جورينج.

"سوف آخذها ونعود إلى بنما بمجرد أن أتمكن من عمل ترتيبات السفر في قارب." طلبت دبل ويسكي آخر. "حسناً، ما رأيك في هذا؟" سألت بلهفة.

"ربما من الأفضل أن تنتظري كي تري إن كانت تريد فعلاً أن تتزوجه."

"لا تكوني مجنونة"، قالت السيدة كوبرفيلد. "لا أستطيع أن أعيش بدونها، ليس لدقيقة. سأتمزق تماماً إلى أشلاء."

"لكنك تمزقتِ إلى أشلاء، أم هل أسيء الحكم عليكِ بشكل فظيع؟"



"صحيح تمامًا،" قالت السيدة كوبرفيلد، وهي تنزل بقبضتها على المائدة وتبدو لئيمة تمامًا. "لقد تمزقت إلى أشلاء، وهو أمر وددت أن أفعل لسنوات. أعرف أنني مذنبه كما يمكن أن أكون، لكن عندي سعادتي، وهي ما أحرس كذئب، وعندي سلطة الآن وقد مر ما من الجرأة، وهما، لو تتذكرين بشكل صحيح، ما لم يكن عندي من قبل قط."

كانت السيدة كوبرفيلد تسكر، وتصبح أكثر إزعاجًا.

"أتذكر،" قالت السيدة كوبرفيلد، "أنك كنت خجولة إلى حد ما، لكن بوسعي أن أقول شجاعة جدًا. يتطلب الأمر الكثير من الشجاعة من أجل العيش مع رجل مثل السيد كوبرفيلد، وهو ما أفهم أنك لم تعودى تعيشين معه. لقد أعجبت بك كثيرًا بكل تأكيد. لست متأكدة أنني أشعر بهذا الآن."

"هذا لا يمثل أي فرق لي،" قالت السيدة كوبرفيلد. "أشعر أنك تغيرت على أي حال، وفقدت فتنتك. تبدين لي غليظة الآن وأقل حنوءًا. اعتدت أن تكوني رؤوفة جدًا ومتفهمة؛ الجميع اعتقد أنك خفيفة العقل، لكنني اعتقدت أنك فطرية جدًا وموهوبة بقوى سحرية." طلبت مشروبًا آخر، وجلست غارقة في الفكر للحظة.

"ستجادلين،" أضافت بصوت واضح جدًا، "أن كل الناس على القدر نفسه من الأهمية، لكن رغم أنني أحب باسيفيكا كثيرًا، أعتقد أنه من الواضح أنني أكثر أهمية."

لم تشعر الأنسة جويرنج بأن لها أي حق في مجادلة السيدة كوبرفيلد بشأن هذه النقطة.

"أفهم كيف تشعرين"، قالت، "ورما كنتِ على حق."

"أشكر الرب"، قالت السيدة كوبرفيلد، وأخذت بيد الأنسة جويرنج في يدها.

"كرستينا"، ناشدت، "أرجوكِ لا تُغضبيني مرة أخرى، لا أستطيع تحمل هذا."

تمنت الأنسة جويرنج أن تطرح السيدة كوبرفيلد عليها الآن أسئلة تخص حياتها هي. كان لديها رغبة عارمة في أن تخبر أحداً ما بكل شيء حدث لها خلال العام المنصرم. غير أن السيدة كوبرفيلد جلست تتجرع مشروبها، ومن وقت لآخر تُريق القليل منه فوق ذقنها. لم تكن حتى تنظر إلى الأنسة جويرنج، وجلستا لعشر دقائق في صمت.

"أعتقد"، قالت السيدة كوبرفيلد أخيراً، "أنني سأتصل بياسيفيكا وأخبرها أن تمر بي خلال ثلاثة أرباع ساعة."

أخذتها الأنسة جويرنج إلى التليفون، وعادت إلى المائدة. رفعت نظرها بعد دقيقة، ولاحظت أن رجلاً آخر قد انضم إلى بن وأصدقائه. حين عادت صديقتها من التليفون، رأت الأنسة جويرنج على الفور أن أمراً خطيراً قد حدث. تهاوت السيدة كوبرفيلد فوق مقعدها.

"تقول إنها لا تعرف متى ستأتي، وإنه إن لم تكن هنا قبل الوقت الذي تشعرين فيه بالرغبة في الانصراف، فعلياً أن أعود إلى البيت معك، أو وحدي تماماً. لقد حدث الأمر لي الآن، أليس كذلك؟ غير أن جمالي هو أنني على بعد خطوة واحدة من اليأس طوال الوقت، وأني واحدة من قليلين أعرفهم يمكنهم القيام بعمل عنف بأيسر مجهود."

لوحث بيدها فوق رأسها.

"عادة ما تُؤدّي أعمال العنف في يسر،" قالت الأنسة جويرنج. كانت في تلك اللحظة متفززة تماماً من السيدة كوبرفيلد، التي قامت عن مقعدها ومشت في مسار متعرج إلى البار. وقفت هناك تتناول مشروباً بعد آخر من دون أن تلتفت برأسها الصغير الذي كان مخبأً تقريباً تماماً بياقة الفرو الهائلة لمعطفها.

ذهبت الأنسة جويرنج إلى السيدة كوبرفيلد مرة واحدة فقط، معتقدة أنها قد تقنع صديقتها بالعودة إلى المائدة. غير أن السيدة كوبرفيلد أظهرت للأنسة جويرنج وجهاً حانقاً ملطخاً بالدموع، وأشاحت بذراعها إلى جانب، ضاربة الأنسة جويرنج على أنفها بساعدها. عادت الأنسة جويرنج إلى مائدتها، وجلست تداوي أنفها.

لدهشتها الشديدة، بعد نحو عشرين دقيقة وصلت باسيفيكا، يصاحبها رجلها الشاب. قدمته إلى الأنسة جويرنج ثم أسرع إلى البار. وقف الشاب ويده في جيوبه وتلفت حوله في ارتباك.

"اجلس"، قالت الأنسة جويرنج. "اعتقدت أن باسيفيكا لن تأتي."  
"لم تكن ستأتي"، رد ببطء، "لكنها قرّرت أن تأتي لأنها قلقّت من  
أن تزعج صديقتها."  
"أخشى أن السيدة كوبرفيلد امرأة على درجة عالية من التوتر،"  
قالت الأنسة جويرنج.  
"لا أعرفها جيداً"، رد بتحفظ.

عادت باسيفيكا من البار مع السيدة كوبرفيلد التي كانت مرحة  
بشكل رهيب الآن، وأرادت أن تطلب مشروبات للجميع. لكن لا  
الولد ولا باسيفيكا قبلا عرضها. بدا الولد حزينا جداً وسرعان ما  
استأذن، قائلاً إنه نوى فقط أن يوصل باسيفيكا إلى المطعم ثم يعود إلى  
بيته. قرّرت السيدة كوبرفيلد أن تصحبه حتى الباب، مرتبةً على يده  
طوال الطريق، ومتعثرةً بشدة إلى درجة أنه اضطر لوضع يده حول  
خصرها كي يحميها من الوقوع. في تلك الأثناء، مالت باسيفيكا على  
الآنسة جويرنج.

"الأمر رهيب"، قالت. "يالها من طفلة صديقتك هذه! لا أستطيع  
تركها لعشر دقائق لأن هذا يكاد يكسر قلبها، وهي امرأة طيبة وسخية  
جداً، لديها شقة جميلة وملابس جميلة. ماذا أستطيع أن أفعل معها؟ إنها  
مثل طفلة صغيرة. حاولت أن أفسر الأمر لرجلي الشاب، لكنني لا  
أستطيع فعلاً أن أفسر الأمر لأي أحد."

عادت السيدة كوبرفيلد، واقترحت أن يذهبن جميعاً إلى مكان لتناول بعض الطعام.

"لا أستطيع"، قالت الآنسة جويرنج، وهي تغض بصرها. "عندي موعد مع رجل." كانت لتود أن تتحدث مع باسيفيكا لوقت أطول قليلاً. على نحو ما ذكّرتها باسيفيكا بالآنسة جيملون رغم أن باسيفيكا كانت بالتأكيد ألطف كثيراً وجسدها أكثر جاذبية. في هذه اللحظة لاحظت أن بن وأصدقائه يرتدون معاطفهم ويتأهبون للرحيل. ترددت لثانية فقط ثم ودعت باسيفيكا والسيدة كوبرفيلد على عجل. كانت تلف شالها حول كتفها حين، لدهشتها، رأت الرجال الأربعة يسيرون بسرعة كبيرة نحو الباب، مارين مباشرة بجوار مائدتها. لم يُشِر لها بن بأي شيء.

"من المؤكد أنه سيعود"، فكّرت، لكنها قرّرت أن تذهب إلى الردهة. لم يكونوا في الردهة، لهذا فتحت الباب ووقفت على السلام. من هناك رأتهم جميعاً يركبون سيارة بن السوداء. كان بن آخر من ركب، وفي اللحظة التي وضع فيها قدمًا في السيارة، التفت برأسه ورأى الآنسة جويرنج.

"يا!" قال، "لقد نسيت أمرك. عليّ أن أذهب بعيداً من أجل بعض الأعمال الهامة. لا أعرف متى سأعود. وداعاً."

أغلق الباب خلفه بقوة، وتحركت السيارة. شرعت الآنسة جويرنج في هبوط السلام الحجرية. بدا الدرج الطويل قصيراً لها، مثل حلم يُتذكّر بعد وقت طويل من الحلم به.

وقفت في الشارع وانتظرت أن تغمرها البهجة والارتياح. لكن سرعان ما وعت بوجود نوع جديد من الحزن داخلها. الأمل، شعرت، نبذ شكلاً طفولياً إلى الأبد.

"بالتأكيد أنا أقرب إلى أن أصبح قديسة،" تأملت الأنسة جويرنج، "لكن هل من المحتمل أن يكون جزء مني مخفي عن نظري يراكم خطيئة فوق خطيئة بنفس سرعة السيدة كويرفيلد؟" اعتبرت الأنسة جويرنج أن هذا الاحتمال على درجة لا بأس بها من إثارة الاهتمام لكنه ليس على قدر كبير من الأهمية.



الكتب خان للنشر والتوزيع®

١٣ شارع ٢٥٤ - دجلة - المعادي - القاهرة.

تليفون: +٢٠٢٢٥١٩٦٥٦٩ - +٢٠٢٢٥١٧٠٦٧٨

بريد إلكتروني: [info@kotobkhan.com](mailto:info@kotobkhan.com)

موقع إلكتروني: [www.kotobkhan.com](http://www.kotobkhan.com)

